سمير المؤمنات

في الأدب والثقافة والحكمة والأشعار
والأقوال والمواعظ والأخبار

سلوى محمد الكندري

مكتبة
دار حواء

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

جَمِيع الحُقوق مَحفوظَة

الطبعة الأولى
١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

مكتبة
دار حواء
الثقافة النامية

الكويت - حولي - شارع الحسن البصري
هاتف ٢٦٤٦٠٣١ - فاكس ٢٦٢٠٨٤٢ ص ب ٩٨٠٧ السالمية المركزي

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٨٣١٣٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي خلق فسوى وقدر فهدى ، وأحسن كل شيء خلقه فتبارك الله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سلك طريقه واهتدى بسنته وسار على دربه إلى يوم الدين وبعد :

فإن المرأة في حياتنا المعاصرة قد تجد بعض الوقت للقراءة ، وتكون عندها الرغبة في الاطلاع ، وفي بعض الأحيان تميل إلى الكتابات التي تكون فيها الفائدة دون تعقيد ، والمعلومة دون ملل ، والقصيدة دون شطط ، وتحقق بذلك أمرين : سد الفراغ والفائدة العلمية والثقافية والأدبية من قراءة النافع والمفيد .

وهذه باقة عطرة لأخواتنا المؤمنات جمعت بين الموقف الإيماني والأدبي والثقافي والتربوي ، جاءت هذه المواقف كلها من خلال آية كريمة أو حديث نبوي أو قصيدة شعرية أو وصية جامعة نافعة أو حكمة بليغة أو قصة اجتماعية نادرة فيها الفائدة والمنفعة إن شاء الله تعالى .

جاءت هذه المواقف كلها تخاطب المرأة المؤمنة خطاباً مباشراً أو جاءت هذه الفوائد والمقتطفات والوصايا من نساء رائدات في العلم والتربية والأدب .

قمت بإعداد هذه المجموعة المختارة أثناء قراءتي ومطالعاتي وقت الفراغ وحيثما

وجدت آية كريمة فيها تقويم وتهذيب ، أو حديثاً نبوياً فيه حث على الفضيلة والأدب ، وكلما أبصرت قصيدة شعرية فيها من المعاني السامية مما يساعد على ثقافة المرأة المسلمة ويهذب طباعها وأخلاقها ، وكلما وجدت موقفاً لامرأة من سلف هذه الأمة قلّ أن نجد له مثيلاً في أيامنا الحاضرة سارعت بكتابته وتدوينه لتعم به الفائدة ، فكانت هذه المجموعة الطيبة المباركة إن شاء الله تعالى التي تعين المؤمنة على قضاء وقت فراغها بالفائدة والمعلومة والخير والأدب والمعرفة وتكون صحفات هذا الكتاب سميراً مهذباً تقضي المسلمة بعض وقتها في قراءة صفحات هذا الكتاب .

وأخيراً لي رجاء من أخواتي الكريمات الدعاء لي في ظهر الغيب ، وأن يجعل ذلك خالصاً لوجهه الكريم سبحانه وأن يعيننا للعمل بما علمنا إنه سميع مجيب .

والحمد لله أولاً وآخراً .

دولة الكويت

١٩/ ٨/ ١٤١٥ هـ — المؤلفة

٢٠/ ١/ ١٩٩٥ م — سلوى محمد الكندري

الطاعة والمعصية

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: «قال الله تعالىٰ:

يا عبادي: إني حرَّمت الظلم علىٰ نفسي وجعلته محرماً بينكم فلا تظالموا.
يا عبادي: كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم.
يا عبادي: كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم.
يا عبادي: كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم.
يا عبادي: إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفرُ الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم.
يا عبادي: إنكم لن تبلغوا ضرّي فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني.

يا عبادي: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، كانوا علىٰ أتقىٰ قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً.
يا عبادي: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، كانوا علىٰ أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً.

يا عبادي: لو أنَّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر.

يا عبادي: إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه» أخرجه مسلم.

كثرة الضحك

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

مَنْ كثر ضحكه قلَّتْ هيبته، ومن كثر مزاحه استُخفَّ به، ومن أكثر من شيء عُرِف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومَنْ كثر سقطه قلَّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قلَّ ورعه مات قلبه.

حب الدنيا رأس كل خطيئة

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالىٰ في كتابه «الفوائد»:

كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها فلا بد أن يقول علىٰ الله غير الحق في فتواه وحكمه وخبره وإلزامه، لأن أحكام الرب سبحانه كثيراً ما تأتي علىٰ خلاف أغراض الناس، ولا سيما أهل الرياسة والذين يتبعون الشهوات، فإنه لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه.

فإذا كان العالم والحاكم محبين للرياسة متبعين للشهوات لم يتم لهما ذلك إلا بدفع ما يضاده من الحق، ولا سيما إذا قامت له شبهة فتتفق الشبهة والشهوة ويثور الهوىٰ فيخفىٰ الصواب، وينطمس وجه الحق وإن كان الحق ظاهراً لا خفاء به، ولا شبهة فيه أقدم علىٰ مخالفته وقال: لي مخرج بالتوبة، وفي هؤلاء وأشباههم قال الله: **﴿فخلف من بعدهم خلفٌ ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنىٰ ويقولون سيغفر لنا﴾** [الأعراف:

١٦٩]. فأخبر سبحانه أنهم أخذوا العرض الأدنىٰ مع علمهم بتحريمه عليهم وقالوا سيغفر لنا، وإن عرض لهم عَرَض آخر أخذوه.

فهم مُصرّون علىٰ ذلك، وذلك هو الحامل لهم علىٰ أن يقولوا علىٰ الله غير الحق فيقولون: هذا حكمه وشرعه ودينه، وهم يعلمون أن دينه وشرعه وحكمه خلاف ذلك، أولاً يعلمون أن ذلك دينه وشرعه وحكمه، فتارة يقولون علىٰ الله ما لا يعلمون، وتارة يقولون عليه ما يعلمون بطلانه.

القرآن نور الليل المظلم

عن جندب البجلي رضي الله عنه قال:

اتقوا الله، واقرؤوا القرآن، فإنه نور الليل المظلم، فإذا نزل البلاء فاجعلوا أموالكم دون أنفسكم، فإذا أنزل البلاء فاجعلوا أنفسكم دون دينكم، واعلموا أن الخائب من خاب دينُه، والهالك من هلك دينه.

ألا لا فقر بعد الجنة، ولا غنىٰ بعد النار، لأن النار لا يفكُّ أسيرها، ولا يبرأ حديرها، ولا يطفأ حريقها، وإنه ليحال بين الجنة وبين المسلم، بملء كف دم أصابه من أخيه المسلم، كلما ذهب ليدخل من باب من أبوابها وجدها تردُّ عنها.

واعلموا أن الآدمي إذا مات ودفن لأنتن أول شيء منه بطنه، فلا تجعلوا مع النتن خبثاً، واتقوا الله في أموالكم، والدماء فاجتنبوها.

الموت قادم

قال الربيع بن صبيح: قلنا للحسن: يا أبا سعيد عظنا، فقال: إنما يتوقع الصحيح منكم داء يصيبه، والشاب منكم هرماً يفنيه، والشيخ منكم موتاً يرديه أليس العواقب ما تسمعون، أليس غداً تفارق الروح الجسد، المسلوب غداً أهله وماله، الملفوف غداً في كفنه، المتروك غداً في حفرته، المنسي غداً من قلوب أحبته، الذين كان سعيه وحزنه لهم.

ابن آدم.. إذا نزل بك الموت فلا ترىٰ قادماً ولا تجيء زائراً ولا تكلم قريباً، ولا تعرف حبيباً، تنادى فلا تجيب، وتسمع فلا تعقل، قد خربت الديار، وعطلت العشار، وأيتمت الأولاد، قد شخص بصرك، وعلا نفسك، واصطكت أسنانك، وضعفت ركبتاك، وصار أولادك غرباء عند غيرك!!

اتقاء الشبهات

من رحمة الله تعالىٰ بالناس أنه لم يدعهم في غمة من أمر الحلال والحرام، بل بيّن الحلال وفصّل الحرام، كما قال تعالىٰ: ﴿**وقد فَصَّل لكُم ما حرم عليكم**﴾ [سورة الأنعام: ١١٩].

فأما الحلال البيِّن فلا حرج في فعله. وأما الحرام البيِّن فلا رخصة في إتيانه ـ في حالة الاختيار.

وهناك منطقة بين الحلال البيِّن والحرام البيِّن، هي منطقة الشبهات التي يلتبس فيها أمر الحل بالحرمة علىٰ بعض الناس، إما لاشتباه الأدلة

عليه، وإما للاشتباه في تطبيق النص علىٰ هذه الواقعة أو هذا الشيء بالذات.

وقد جعل الإسلام من الورع أن يتجنب المسلم هذه الشبهات، حتىٰ لا يجره الوقوع فيها إلىٰ مواقعة الحرام الصرف.

وهو نوع من سد الذرائع، ثم هو كذلك لون من التربية البعيدة النظر، الخبيرة بحقيقة الحياة والإنسان.

وأصل هذا المبدأ قول الرسول عليه الصلاة والسلام:
«الحلال بينٌ والحرام بينٌ وبين ذلك أمور مشتبهات، لا يدري كثير من الناس: أمن الحلال هي أم الحرام؟ فمن تركها استبراءً لدينه وعرضه فقد سلم، ومن واقع شيئاً منها يوشك أن يواقع الحرام، كما أنَّ من يرعىٰ حول الحمىٰ أوشك أن يواقعه. ألا وإن لكل ملك حمىٰ. ألا وإن حمىٰ الله محارمه». رواه البخاري ومسلم وغيرهما واللفظ في رواية الترمذي.

خصلتان

قال حكيم:

من كانت فيه خصلتان أحبه الله: التقوىٰ، وحسن الخلق.
من كانت فيه خصلتان أحبه الناس: السخاء، وبذل المعروف.
من كانت فيه خصلتان أحبه جيرانه: البشاشة، وكرم المعاملة.
من كانت فيه خصلتان أحبه إخوانه: تذكر معروفهم، ونسيان إساءتهم.
من كانت فيه خصلتان أحبه تلامذته: بذل الجهد في إفهامهم، ولين الجانب لهم.
من كانت فيه خصلتان أحبه أساتذته: سرعة الفهم، وتوفير الاحترام لهم.

من كانت فيه خصلتان أحبه أهله: لطف معاملتهم، وتفهم مشكلاتهم.
من كانت فيه خصلتان أحبه رؤساؤه: جميل طاعته لهم، وإتقان عمله عندهم.
من كانت فيه خصلتان أحبه الناس: فعل الخير، واجتناب الأذىٰ.

علو الهمة

حكي أن الأمير عمارة بن حمزة كان في بعض الأيام جالساً في مجلس الخليفة المنصور أبي جعفر الدوانيقي، وكان يوم نظره في المظالم، فنهض رجل علىٰ قدميه وقال: يا أمير المؤمنين أنا مظلوم.

فقال: عمارة بن حمزة اغتصب ضياعي، وابتز ملكي وعقاري.

فأمر المنصور أن يقوم من موضعه ويساوي خصمه للمحاكمة.

فقال عمارة بن حمزة: يا أمير المؤمنين، إن كانت الضياع له فما أعارضه فيها، وإن كانت لي فقد وهبتها له، ومالي حاجة في محاكمته ومماثلته ولا أبيع مكاني الذي أكرمني به أمير المؤمنين بضياع.

فتعجب الأكابر الحاضرون من علو همته، وشرف نفسه ومروءته.

كرم المال و النفس

سُئل حاتم الطائي أي إنسان أعظم منه كرماً وأفضل نفساً وأحسن شيماً؟
فقال: ذبحت يوماً أربعين حلوبة للأضياف، ثم سرت في البيداء أريد أمراً، فبلغت أجمة فيها رجل يحتطب.
فقلت له: أما سمعت بكرم حاتم طيء وسماحته؟
قال: بلىٰ.

قلت: هلا استضافك؟

قال: ثكلتني أمي لو أنه استضافني وقبلت ضيافته، ودعاني فأجبت دعوته، فإنني ما دمت أستطيع الكسب بعرق جبيني، وتعب يميني، فمن العار أن يكون لكريم يد أغضىٰ لها حين يغضب.

ولا خير في مال عليه ألية
وفي يمين عوقدت بالمآثم

فقلت للمحتطب: أنا حاتم، وأنت رب الكعبة أعلىٰ مني كعباً في الكرم، وأقرب إلىٰ المروءة، وأسبق إلىٰ محاسن الشيم.

مناجاة

يا من يرىٰ ما في الضمير ويسمعُ
أنت المعَدُّ لكل ما يُتوقع
يا من يُرجىٰ للشدائد كُلها
يا من إليه المشتكىٰ والمفزعُ
يا من خزائن رزقه في قول كن
أمنُنْ فإن الخير عندك أجمعُ
مالي سوىٰ فقري إليك وسيلة
فبالافتقار إليك فقري أدفع
ومن الذي أدعو وأهتفُ باسمه
إن كان فضلك عن فقيرك يُمنَع
حاشا لجودك أن تُقنّط عاصياً
الفضل أجزل والمواهب أوسع

ثم الصلاة على النبي وآله
من جاء بالقرآن نوراً يسطع

حوار جميل

قيل للسعادة: أين تسكنين؟

قالت: في قلوب الراضين.

قيل: فَبِمَ تتغذين؟

قالت: من قوة إيمانهم.

قيل: فبم تدومين؟

قالت: بحسن تدبيرهم.

قيل: فبم تُستجلبين؟

قالت: أن تعلم النفس أن لن يصيبها إلا ما كتب الله لها.

قيل: فبم ترحلين؟

قالت: بالطمع بعد القناعة، وبالحرص بعد السماحة، وبالهمِّ بعد السرور، وبالشك بعد اليقين.

علاج الغضب

كان بعض الملوك قد كتب ثلاث رقاع وقال لوزيره: إذا رأيتني غضبان فادفع إليّ رقعة بعد رقعة.

وكان في الأولى: **إنك لست بإله، وإنك ستموت، وتعود إلى التراب، فيأكل بعضك بعضاً.**

وفي الثانية: **ارحم من في الأرض، يرحمك من في السماء.**

وفي الثالثة: **اقض بين الناس بحكم الله، فإنهم لا يصلحهم إلا ذلك.**

كلمات من الحكمة

قال سعيد بن المسيب: وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه للناس ثماني عشرة كلمة حِكَم كلها، قال:

ما عاقبتَ من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه.
وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك منه ما يُغلبك.
ولا تظنَّنَّ بكلمة خرجت من مسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً.

ومن عرَّض نفسه للتهم فلا يلومنَّ من أساء به الظنَّ.
ومن كتم سره كانت الخيرة في يده.

وعليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم، فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء.

وعليك بالصدق وإن قتلك.
ولا تعرَّض فيما لا يعني.

ولا تسأل عما لم يكن، فإن فيما كان شغلاً عما لم يكن.
ولا تطلبنَّ حاجتك إلىٰ من لا يحب نجاحها لك.

ولا تتهاون بالحلف الكاذب فيهلكك الله.
ولا تصحب الفجار لتتعلم من فجورهم.

واعتزل عدوك.
واحذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا من خشي الله.

وتخشّع عند القبور.
وذلّ عند الطاعة.
واستعصم عند المعصية.
واستشر في أمرك الذين يخشون الله، فإن الله تعالىٰ يقول: **﴿إنما يخشىٰ الله من عباده العلماء﴾** [فاطر: ٢٨].

* * *

مفتاح وأسنان

قيل لوهب بن منبه: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلىٰ! ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان من أتىٰ الباب بأسنانه فُتح له، ومن لم يأت الباب بأسنانه لم يفتح له.

الدنيا لا بقاء لها

يَا مَنْ يُعَانِقُ دُنيَا لاَ بَقَاءَ لَهَا
يُمْسِي ويُصْبِحُ فِي دُنْيَاهُ سَفَّارَا
هَلاَّ تَرَكْتَ لِذِي الدُّنْيَا مُعَانَقَةً
حَتَّىٰ تُعَانِقَ فِي الفِرْدوسِ أَبْكَارَا
إِنْ كُنْتَ تَبْغِي جِنَانَ الخُلْدِ تَسْكُنُهَا
فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ لاَ تَأْمَنَ النَّارا

العز والغنى

قال الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ: إن العز والغنىٰ يجولان في طلب التوكل، فإذا ظفرا أوطنا، وأنشد:

يَجُولُ الغِنَىٰ وَالعِزّ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ
لِيَسْتَوْطِنَا قَلْبَ امْرِىءٍ إنْ تَوَكَّلاَ
وَمَنْ يَتَوَكَّلْ كانَ مَوْلاَهُ حَسْبُه
وَكَانَ لَهُ فِيهَا يُحَاوِلُ مَعْقَلاَ
إِذَا رَضِيتْ نَفْسِي بِمَقْدُورِ حَظِّهَا
تَعَالَتْ وَكَانَتْ أَفْضَلَ النَّاسِ مَنْزِلاَ

كتمان الشكر جحود

وصفت أعرابية زوجها بمكارم الأخلاق عند أمها، فقالت:

يا أمّاه! من نشر ثوب الثناء، فقد أدّى واجب الجزاء، وفي كتمان الشكر جحود لما وجب من الحق، ودخول في كفر النعم.

فقالت لها أمها: أيْ بنية! أطبت الثناء،وفهمت الجزاء، ولم تدعي للذم موضعاً، إني وجدت من عقل لم يعجل بذم ولا ثناء إلا بعد اختبار.

فقالت: يا أماه! ما مدحت حتى اختبرت، وما وصفت حتى عرفت.

لنكن إخوانه

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ أتى المقبرة فقال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا!!**» قالوا: أولسنا إخوانك يارسول الله؟ قال: «**أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد**» فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: «**أرأيت لو أن رجلا له خيل غُرٌّ محجلة بين ظهري خيل دُهْمٍ بُهْمٍ ألا يعرف خيله؟**» قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: «**فإنهم يأتون غرًّا محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليذادنَّ رجال عن حوضي، كما يذاد البعير الضال، أناديهم ألا هلمَّ، فيقال: إنهم بدلوا بعدك فأقول: سُحْقاً سحقاً**». رواه مسلم.

أهل الصفَّة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

«لقد رأيت سبعين من أهل الصُّفة، ما منهم رجل عليه رداء، إمَّا إزارٌ وإمَّا كساء، قد ربطوا في أعناقهم منها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن تُرىٰ عورته» رواه البخاري.

ترك المعاصي

أتىٰ رجلٌ إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالىٰ فقال: يا أبا إسحاق!! إني مسرف علىٰ نفسي، فاعرض عليَّ ما يكون لها زاجراً ومستنقذاً!!!

فقال إبراهيم: إن قبلتَ خمسَ خصال، وقدَرتَ عليها لم تضرك المعصية.

قال: هاتِ يا أبا إسحاق.

قال: أما الأولىٰ: فإذا أردت أن تعصي الله تعالىٰ، فلا تأكل رزقه.

قال: فمن أين آكل؟؟ وكل ما في الأرض رزقه؟

قال: يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه وتعصيه؟

قال: لا.. هاتِ الثانية!!!

قال: وإذا أردتَ أن تعصيه فلا تسكن شيئاً من بلاده؟

قال: هذه أعظم! فأين أسكن؟

قال: يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه، وتسكنَ بلاده، وتعصيه؟

قال: لا.. هات الثالثة!!!

قال: وإذا أردت أن تعصيه، وأنت تأكل رزقه، وتسكن بلاده، فانظر موضعاً لا يراك فيه فاعصه فيه.

قال: يا إبراهيم!!! ما هذا؟ وهو يطّلع علىٰ ما في السرائر.

قال: يا هذا أفيحسن بك أن تأكل رزقه، وتسكن بلاده، وتعصيه وهو يراك، ويعلم ما تجاهر به؟

قال: لا.. هاتِ الرابعة!!!

قال: فإذا جاءك ملك الموت ليقبضَ روحك، فقل له: أخرني حتىٰ أتوبَ توبة نصوحاً، وأعملَ لله صالحاً! قال: لا يقبل مني.

قال: يا هذا فأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك الموتَ لتتوب، وتعلمُ أنه إذا جاءَك لم يكن له تأخير، فكيف ترجو وجه الخلاص؟

قال: هات الخامسة!!!

قال: إذا جاءكَ الزبانية يوم القيامة، ليأخذوك إلىٰ النار، فلا تذهب معهم؟

قال: إنهم لا يَدَعوني، ولا يقبلون مني.

قال: فكيف ترجو النجاة إذن؟

قال: يا إبراهيم حسبي حسبي!!! أنا أستغفر الله وأتوب إليه.

فكان لتوبته وفيًّا، فلزم العبادة، واجتنب المعاصي، حتىٰ فارق الدنيا.

عظة الأحياء بالأموات

هِيَ القَنَاعَةُ فَالْزَمْهَا تَعِشْ مَلكاً
لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا إلّا رَاحَةُ الْبَدَنْ

وانْــظرْ لِمَنْ مَلَكْ الــدُّنْــيــا بِأَجْمَــعِــهَــا
هَلْ رَاحَ مِنْهَــا بِغَــيرِ الــقــطْنِ والـكَفَنْ

كم من ملك تحت التراب، وكم عاهل طواه الثَّرىٰ طيَّ السجل للكتاب، وكلهم ذهب ولم يترك وراءه أثراً، ولم يخلف بعده ذكراً ولا خبراً، إلّا جسداً بالياً، وعظاماً نخرة.

أين كسرىٰ، وأين ملكه وسلطانه؟ أين قصره وإيوانه، أين حشمه وخدمه وغلمانه؟ أين مجده وثراؤه؟ أين عماله ووزراؤه؟

ألم يلحقهم الموت والخراب؟ ألم يصبهم ما أصاب القرون الأولىٰ من الدمار والهلاك؟

فيا أصحاب الخدور المعزوزة، والأردية المطروزة، والدور المنجدة، والقصور المشيدة، إنكم لن تأمنوا حادثاً، ولن تعدوا وارثاً، فبادروا الخير ما أمكن، وأحسنوا الدهر ما أحسن.

بين عمر وابنه

كتب عمر بن الخطاب إلىٰ ابنه عبدالله رضي الله عنهما:

يا بني اتق الله، فإنه من اتقىٰ الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن شكره زاده، فلتكن التقوىٰ عماد عينيك، وجلاء قلبك، واعلم أنه لا نية له، ولا أجر لمن لا حسبة له، ولا مال لمن لا رفق له، ولا جديد لمن لا خُلقَ له.

وقال عمر رضي الله عنه: إن هذا الأمر لا يصلح له إلا الليِّن في غير ضعف، والقويُّ في غير عنف.

موعظة

يقول عون بن عبدالله حين يعظ الناس:

إنَّه ليخشىٰ الله من هو أبرأ منا، وإنا لنخشىٰ من لا يملكنا، وكيف يخاف البريء أم كيف يأمن المسيء؟ ثم يقول: ويلي! يخاف البريء بفضل علمه، ويأمن المسيء لنقص عقله.

أهل الجنة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ يوماً فقال:

«عُرضت علي الأمم فجعل يمرُّ النبي ومعه الرجل، والنبي ومعه الرجلان، والنبي ومعه الرهط، والنبي وليس معه أحد، فرأيت سواداً كثيراً سدَّ الأفق، فرجوت أن يكون أمتي. فقيل: هذا موسىٰ في قومه، ثم قيل لي: انظر، فرأيت سواداً كثيراً سدَّ الأفق، فقيل لي: انظر هكذا وهكذا، فرأيت سواداً كثيراً سدَّ الأفق.

فقيل: هؤلاء أُمتك، ومع هؤلاء سبعون ألفاً قدَّامهم يدخلون الجنة بغير حساب، هم الذين لا يتطيَّرون، ولا يسترقون، ولا يكتوون، وعلىٰ ربهم يتوكلون» فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: **«اللَّهم اجعله منهم»**. ثم قام رجلٌ آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: **«سبقك بها عكاشة»**. أخرجه البخاري ومسلم.

احذر الإعجاب

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

احفظوا عني خمساً لو ركبتم الإبل في طلبهن لأنضيتموهن قبل أن تدركوهن:

لا يرجو عبد إلا ربه.

ولا يخاف إلا ذنبه.

ولا يستحي جاهل أن يسأل عما لا يعلم.

ولا يستحي عالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم.

والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له.

ومن كلامه رضي الله عنه:

سيئة تسوؤك خيرٌ عند الله من حسنة تعجبك.

الأطيبان الأخبثان

رُوي أن لقمان النوبي الحكيم أعطاه سيده شاةً وأمره أن يذبحها، وأن يأتيه بأخبث ما فيها، فذبحها، وأتاه بقلبها ولسانها.

ثم أعطاه شاةً أخرى وأمره بذبحها وأن يأتيه بأطيب ما فيها فذبحها وأتاه بقلبها ولسانها.

فسأله عن ذلك فقال: يا سيدي: لا أخبث منهما إذا خبثا ولا أطيب منهما إذا طابا.

أفضل الأعمال

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟

قال: «**الإيمان بالله والجهاد في سبيله**».

قلت: أي الرقاب أفضل؟

قال: «**أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمناً**».

قلت: فإن لم أفعل؟

قال: «**تعين صانعاً أو تصنع لأخرق**».

قلت: يا رسول الله أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟

قال: «**تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك**».

رواه البخاري ومسلم. «**الأخرق**» الذي لا يُتقن ما يحاول فعله.

علامة المؤمن والمنافق

لما دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام حمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قال:

إنَّ رسول الله ﷺ قامَ فينا خطيباً كقيامي فيكم، فأمر بتقوى الله وصلة الرحم وصلاح ذات البين، وقال:

عليكم بالجماعة ـ وفي لفظ: بالسمع والطاعة ـ فإن يد الله على الجماعة، وإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، لا يخلونَّ رجلٌ بامرأة فإن الشيطان ثالثهما، ومن ساءته سيئته وسرَّته حسنته فهي أمارة المسلم المؤمن.

وأمارة المنافق الذي لا تسوؤه سيئته ولا تسره حسنته، إن عمل خيراً لم يرج من الله في ذلك الخير ثواباً، وإن عمل شراً لم يخف من الله في ذلك الشر عقوبة، فأجملوا في طلب الدنيا، فإن الله قد تكفل بأرزاقكم، وكل سيتم له عمله الذي كان عاملاً.

استعينوا بالله علىٰ أعمالكم فإنه يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله.

حقيقة الكرم

وقفت أعرابية علىٰ جماعة وقالت لهم: ما الكرم يرحمكم الله؟

فقالوا: بذل المعروف، والإيثار علىٰ النفس.
قالت: هذا في الدنيا، فما هو في الدين؟
قالوا: طاعة الله تعالىٰ، وبذل المجهود في عبادته، واجتناب محارمه، والوقوف عند حدوده.
قالت: أفتريدون بذلك جزاءً؟
قالوا: نعم، قالت: ولم؟
قالوا: لأن الله تعالىٰ وعد بالحسنة عشر أمثالها.
قالت: سبحان الله، فإذا أعطيتم واحدة علىٰ أنكم تأخذون عشرة فأين الكرم؟
قالوا: فما هو يرحمك الله؟
قالت: هو أن يُعبد الله حق عبادته لا يراد علىٰ ذلك جزاء، يفعل بكم مولاكم ما يشاء، ألا تستحيون من الله أن يطلع علىٰ قلوبكم، فيعلم منها أنكم تريدون شيئاً بشيء.

ثلاث له وثلاث عليه

قال مكحول: ثلاث من كن فيه كن له، وثلاث من كن فيه كن عليه، فأما الثلاث اللاتي له، فالشكر، والدعاء، والاستغفار:

قال الله تعالىٰ: ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم﴾ [آل عمران: ١٤٧].

وقال: ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ [الأنفال: ٣٣].

وقال: ﴿ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم﴾ [الفرقان: ٧٧].

وأما الثلاث اللاتي عليه، فالمكر، والبغي، والنكث:

قال الله تعالىٰ: ﴿ومن نكث فإنما ينكث علىٰ نفسه﴾ [الفتح: ١٠].

وقال: ﴿ولا يحيق المكر السيّء إلا بأهله﴾ [فاطر: ٤٣].

وقال: ﴿إنما بغيكم علىٰ أنفسكم﴾ [يونس: ٢٣].

ما أغرّ الدنيا

رُبَّ أمْـرٍ يَسُـوء ثمّ يَسُرُّ
وَكَـذاك الأمـورِ حُلوٌ ومـرّ
وَكـذَاكَ الأمُـورُ تعـبُرُ بالـنّـاس
فَخَـطْبٌ يَمْضِي وخَـطْبٌ يَكـرّ
مَا أَغْـرّ الـدّنـيـا لِذي اللّهـو فِيهـا
عَجَـبـاً لِلدّنْـيـا وَكَـيْـفَ تَغُـرّ

وَلِمكْرِ الدّنيا خَطاطيفَ لَهْوٍ
وَخَطاطِيفُها إليهَا تُجَرّ
ولَقلّ امرُؤٌ يُفَارِقُ مَا
يعتادُ إلاّ وقَلْبُهُ مُقْشَعِرٌّ
وَإذَا ما رَضِيتَ كلّ قَضَاءِ الله
لَمْ تَخْشَ أَنْ يُصيبَكَ ضُرّ

من ديوان أبي العتاهية

التذلل في الطاعة

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:
من ينصف الناس من نفسه يُعطىٰ الظفر في أمره.
والتذلل في الطاعة أقرب إلىٰ البر من التعزز بالمعصية.

صحة اليقين

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

رأس الدين صحة اليقين.
وتمام الإخلاص تجنب المعاصي.
وخير القول الصدق، والسلامة مع الاستقامة.
سل عن الرفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدار.
كن من الدنيا علىٰ بلغة.
احمل لمن دلّ عليك، واقبل عذر من اعتذر إليك.

وارحم أخاك وإنْ عصاك، وصله وإن جفاك.

وعوّد نفسك السماح، وتخيّر لها من كل أحسنه.

لا تتكلم بما يُرديك، ولا ما كثيره يزريك.

أنصف من نفسك قبل أن ينتصف منك.

الجنازة تشهد

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال:

«إذا وُضعت الجنازة واحتملها النَّاس أو الرِّجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت: قدِّموني قدِّموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها! أين تذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلاَّ الإنسان ولو سمعه صعق» رواه البخاري.

العمل لما بعد الموت

يروى أن عثمان بن عفان رضي الله عنهما خطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس! اتقوا الله، فإن تقوى الله غنم، وإن الكيّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، واكتسب من نور الله نوراً لظلمة القبر.

وليخش عبد أن يحشره الله أعمى وقد كان بصيراً وقد يكفي الحكيم جوامع الكلم والأصمُّ ينادى من مكان بعيد، واعلموا أن من كان الله معه لم يخف شيئاً، ومن كان الله عليه فمن يرجو بعده.

أكثر من ذكر الموت

جاء ابن سعيد بن العاص إلىٰ عمر بن عبدالعزيز، فقال: يا أمير المؤمنين إن من كان قبلك من الخلفاء كانوا يعطون عطايا منعتناها، ولي عيال وضيعة، أفتأذن لي أن أخرج إلىٰ ضيعتي وما يصلح عيالي؟

فقال عمر: أحبكم إلينا من كفانا مؤنته، فخرج من عنده فلما صار عند الباب قال عمر: أبا خالد أبا خالد، فرجع، فقال: أكثر من ذكر الموت فإن كنت في ضيق من العيش وسّعَه عليك، وإن كنت في سعة من العيش ضيّقَه عليك.

أيها المغرور

مَنْ يَعِشْ يَكْبُرْ وَمَنْ يَكْبُرْ يَمُتْ
والمَنَايا لاَ تُبالي مَنْ أَتَتْ
كَمْ وكَمْ قَدْ دَرَجَتْ مِنْ قَبلِنا
مِنْ قُرونٍ وقُرونٍ قَدْ مَضَتْ
أيّها المَغْرُور مَا هَذا الصِّبَا
لَوْ نَهَيتَ النّفْسَ عَنْهُ لانْتَهَتْ
أَنَسِيتَ المَوْتَ جَهْلًا والبِلىٰ
وَسَلَتْ نَفْسُكَ عَنْهُ وَلَهَتْ
نَحْنُ فِي دارِ بَلاءٍ وأَذىً
وَشَقَاءٍ وَعَنَاءٍ وعَنَتْ

مَنْـــزِلٌ مَا يَثْـبُــتُ المَــرْءُ بِهِ
سَالِمــاً إلاّ قَليــلاً إنْ ثَبَــتْ
بَيْـنَـما الإنـــسـانُ في الـدّنْـيـا لَهُ
حَرَكَـاتٌ مُقْـلِقَـاتٌ إذْ خفـتْ
أَبَــتِ الــدّنْـيــا علىٰ سُكّـانِها
في الـبِـلىٰ والـنّـقْصِ إلاّ ما أَبَــتْ
إنّــما الـدّنــيــا متـاعٌ بُلغَــةٌ
كَيْـفَـما زَجّـيـتَ في الـدّنـيـا زَجت
رَحِــمَ الله امــرأً أَنْـصَـفَ مِنْ
نَفْـسِـهِ إذْ قال خيْراً أو سَكَــتْ

من ديوان أبي العتاهية

الإنسان والدنيا

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بالسوق والناس تكتنفه فمر بجدي أسك ميِّت فتناوله بأذنه ثم قال: «**أيكم يحب أن يكون هذا له بدرهم؟**» فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به؟ ثم قال: «**أتحبون أنه لكم؟**» قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً أنه أسك فكيف وهو ميت! فقال: «**فوالله للدنيا أهون علىٰ الله من هذا عليكم**» رواه مسلم.

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول الله ﷺ علىٰ حصير فقام وقد أثر في جنبه قلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء. فقال: «**ما لي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

لو تعلمون ما أعلم

عن أنس رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ خُطبة ما سمعت مثلها قطُّ فقال:

«لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» قال: فغطَّىٰ أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين. أخرجه البخاري ومسلم.

طريق القيامة

قام أبو ذر الغفاري عند الكعبة فقال: يا أيها الناس أنا جندب الغفاري، هلموا إلىٰ الأخ الناصح المشفق، فاكتنفه الناس، فقال: أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفراً أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه؟ قالوا: بلىٰ! قال: فسفر طريق القيامة أبعد ما تريدون، فخذوا منه ما يصلحكم، قالوا: وما يصلحنا؟

قال: حجوا حجة لعظام الأمور، صوموا يوماً شديداً حره لطول النشور، صلوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور، كلمة خير تقولها، أو كلمة سوء تسكت عنها لوقوف يوم عظيم، تصدق بمالك لعلك تنجو من عسيرها.

اجعل الدنيا مجلسين: مجلساً في طلب الآخرة، ومجلساً في طلب الحلال، والثالث يضرك ولا ينفعك لا تريده.

اجعل المال درهمين: درهماً تنفقه علىٰ عيالك من حله، ودرهماً تقدمه لآخرتك، والثالث يضرك ولا ينفعك لا تريده، ثم نادىٰ بأعلىٰ صوته: يا أيها الناس قد قتلكم حرص لا تدركونه أبداً.

الهجرة إلى الله

عن خباب بن الأرتِّ رضي الله عنه قال:

هاجرنا مع رسول الله ﷺ نلتمس وجه الله تعالىٰ فوقع أجرنا علىٰ الله، فمنَّا من مات ولم يأكل من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عمير رضي الله عنه قتل يوم أحد وترك نمرة فكنَّا إذا غطَّينا بها رجليه بدا رأسه، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نُغطِّي رأسه ونجعل علىٰ رجليه شيئاً من الإذخر، ومنَّا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها. أخرجه البخاري ومسلم.

دار القرار

خطب عمر بن عبدالعزيز فقال: إن الدنيا ليست بدار قراركم، دار كتب الله عليها الفناء، وكتب علىٰ أهلها منها الظعن، فكم عامر موثق عما قليل مخرب، وكم مقيم مغتبط عما قليل يظعن، فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما يحضركم من النقلة، وتزودوا فإن خير الزاد التقوىٰ.

إنما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب. بينا ابن آدم في الدنيا ينافس فيها وبها قرير العين إذ دعاه الله بقدره، ورماه بيوم حتفه، فسلبه آثاره ودنياه، وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه، إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر، إنها تسر قليلاً، وتجر حزناً طويلاً.

تقوى الله

قال عون بن عبدالله: قيل لرجل من الفقهاء: من يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، فقال الفقيه:

والله! إنه ليجعل لنا المخرج وما بلغنا من التقوىٰ ما هو أهله، وإنه ليرزقنا وما اتقيناه كما ينبغي، وإنه ليجعل لنا من أمرنا يسراً وما اتقيناه، وإنا لنرجو الثالثة: ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً.

موت القلوب

حكي أن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالىٰ، مر بسوق البصرة فاجتمع الناس إليه، فقالوا: يا أبا إسحاق: ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا؟!

قال: لأن قلوبكم ميتة بعشرة أشياء:

عرفتم الله، ولم تؤدوا حقه.

وزعمتم أنكم تحبون رسوله، وتركتم سنته.

وقرأتم القرآن، ولم تعملوا به.

وأكلتم نعم الله، ولم تؤدوا شكرها.

وقلتم: إن الشيطان عدوكم، ووافقتموه.

وقلتم: إن الجنة حق، ولم تعملوا لها.

وقلتم: إن النار حق، ولم تهربوا منها.

وقلتم: إن الموت حق، ولم تستعدوا له.

واشتغلتم بعيوب الناس، ونسيتم عيوبكم.
ودفنتم موتاكم، ولم تعتبروا بهم.

وقال بعضهم في هذا المعنىٰ:

نَحنُ نَدْعو الإلٰه في كلِّ كرْبٍ
ثم نَنْسَاهُ عندَ كشْفِ الكروبِ؟
كيفَ نرْجو إجابَة لِدُعاء
قَدْ سَدَدْنا طريقَها بالذّنوبِ؟

مشية الخيلاء

حكي أن مطرف بن عبدالله بن الشخير نظر إلىٰ المهلب بن أبي صفرة وعليه حُلة يسحبها ويمشي الخُيلاء.
فقال: يا أبا عبدالله ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله؟
فقال المهلب: أما تعرفني؟
فقال: بل أعرفك. أوَّلك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وحشوك فيما بين ذلك بول وعذرة.
فأخذ ابن عوف هذا الكلام فنظمه شعراً فقال:

عجبت من معجب بصورته
وكان بالأمس نطفة مذرة
وفي غد بعد حسن صورته
يصير في اللحد جيفة قذرة
وهو علىٰ تيهه ونخوته
ما بين ثوبيه يحمل العذرة

أربع وصايا

عن عقبة بن أبي الصهباء قال: لما ضرب ابن ملجم علياً دخل عليه الحسن وهو باك، فقال له: ما يبكيك يا بني؟ قال: وما لي لا أبكي وأنت في أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا، فقال: يا بني! احفظ أربعاً وأربعاً لا يضرك ما عملت معهن، قال: وما هن يا أبت؟

قال: إن أغنىٰ الغنىٰ العقل.

وأكبر الفقر الحمق.

وأوحش الوحشة العجب.

وأكرم الكرم حسن الخلق.

قال: قلت: يا أبت! هذه الأربع، فأعلمني الأربع الأخرىٰ.

قال: إياك ومصادقة الأحمق! فإنه يريد أن ينفعك فيضرك.

وإياك ومصادقة الكذاب! فإنه يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب.

وإياك ومصادقة البخيل! فإنه يبعد عنك أحوج ما تكون إليه.

وإياك ومصادقة الفاجر! فإنه يبيعك بالتافه.

الفناء والبقاء

مما جاء في وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لولده الحسن رضي الله عنهما قال له:

اعلم أي بني أنك خلقت للآخرة لا للدنيا، وللفناء لا للبقاء، وأنك

في منزل قلعة ودار وطريق الآخرة، وأنك طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه، ولا يفوته طالبه.

فاحذر أن يدركك وأنت علىٰ حال سيئة، وأعمال مردية فتقع في ندامة للأبد وحسرة لا تنفد، فتفقد دينك لنفسك، فدينك لحمك ودمك، ولا ينقذك غيره.

الرحمة والمغفرة

عن قبيصة قال: سمعت عمر رضي الله عنه يقول علىٰ المنبر:
من لا يَرْحم لا يُرْحم.
ومن لا يَغْفر لا يُغْفر له.
ومن لا يتوب لا يُتاب عليه.
ومن لا يتق لا يُوقه.

عاقبة الأمور

أوصىٰ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولده الحسن فقال:

بادر الفرصة قبل أن تكون غصّةً، ومن الحزم العزم، ومن سبب الحرمانْ التواني، ومن الفساد إضاعة الزاد ومفسدة المعاد، لكل أمر عاقبة، فرُبَّ مشير بما يضر، لا خير في معين مهين، ولا في صديق ظنين.

ولا تدع الطلب فيما يحل ويطيب فلا بدَّ من بلغة، وسيأتيك ما قُدّر لك، التاجر مخاطر، من حلم ساد، ومن تفهم ازداد ولقاء أهل الخير عمارة

القلوب، ساهل ما ذلَّ لك بقوة، وإياك أن تطمح بك مطيةُ اللجاج!

وإن قارفت سيئة فعجّل محوها بالتوبة، ولا تخن من ائتمنك وإن خانك، ولا تذع سره وإن أذاع سرَّك، خذ بالفضل، وأحسن البذل، وأحبب للناس الخير، فإن هذه من الأخلاق الرفيعة، وإنك قلَّ ما تسلم ممن تسرعت إليه، وكثيراً ما يحمد من تفضلت عليه.

من أقوال عثمان

عن عبيدالله بن عديّ بن خيار أنه دخل علىٰ عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو محصور في داره قبل مقتله فقال:

- إنك إمام عامة، ونزل بك ما نرىٰ، ويصلي لنا إمام فتنة ونتحرج.
- فقال: الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم وإذا أساؤوا فاجتنب إساءتهم.

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه:
إنما أعطاكم الله الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يعطكموها لتركنوا إليها، إن الدنيا تفنىٰ، والآخرة تبقىٰ، فلا تبطرنكم الفانية، ولا تشغلنكم عن الباقية.

ومن كلامه رضي الله عنه:
ما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن.
أنتم إلىٰ إمام فعال أحوج منكم إلىٰ إمام قوال.
اتقوا الله عز وجل، فإن تقواه جنة من بأسه، ووسيلة عنده والزموا جماعتكم لا تصيروا أحزاباً.

ميت حي وحي ميت

مِن الـنـاس ميّـت وهـو حَيٌّ بِذِكْـرِهِ
وحـيٌّ سَليـمٌ وهـو في الـنّـاس ميّتُ
فأمّـا الـذي قَدْ مَاتَ والـذّكْـر ناشِرٌ
فمَـيـتٌ له ديـنٌ به الـفَضْـلُ يُنْـعَـتُ
وأمّـا الـذي يَمْشي وقـد ماتَ ذِكْـره
فأحْمَـقُ أفـنـىٰ ديـنَـه وهـو أمْـوَتُ
ومـا زال مِنْ قَوْمـي خَطيبٌ وشـاعـر
وحـاكِـمُ عدلٍ فاصِـل مُتَـثَـبِّـتُ
وحـيّـةُ أرضٍ لَيْسَ يُرْجـىٰ سليمُـهـا
تراهـا إلىٰ أعـدائـه تتـفـلّت

من ديوان أبي العتاهية

الذنب والقلب

قال جعفر بن برقان: سمعت ميمون بن مهران يقول:

إن العبد إذا أذنب ذنباً نكت في قلبه بذلك الذنب نكتة سوداء، فإن تاب محيت من قلبه فترىٰ قلب المؤمن مجلياً مثل المرآة، ما يأتيه الشيطان من ناحية إلا أبصره.

وأما الذي يتتابع في الذنوب فإنه كلما أذنب ذنباً نكت في قلبه نكتة

سوداء، فلا يزال ينكت في قلبه حتىٰ يسود قلبه ولا يبصر الشيطان من حيث يأتيه.

السؤال بين يدي الرحمن

كان أول ما أنكر من عمر بن عبدالعزيز أنه خرج في جنازة، فأتي ببرد كان يلقىٰ للخلفاء يقعدون عليه إذا خرجوا إلىٰ جنازة، فألقي له فضربه برجله ثم قعد علىٰ الأرض، فقالوا: ما هذا؟ فجاء رجل فقام بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين اشتدت بي الحاجة، وانتهت بي الفاقة، والله سائلك عن مقامي غداً بين يديك، وفي يده قضيب قد اتكأ عليه بسنانه، فقال: أعد ما قلت، فأعاد عليه.

قال: يا أمير المؤمنين اشتدت بي الحاجة، وانتهت بي الفاقة، والله سائلك عن مقامي هذا بين يديك، فبكىٰ حتىٰ جرت دموعه علىٰ القضيب، ثم قال: ما عيالك؟ قال: خمسة، أنا وامرأتي وثلاثة أولادي قال: فإن الفرض لك ولعيالك عشرة دنانير، ونأمر لك بخمسمائة، مائتين من مالي وثلاثمائة من مال الله تبلغ بها حتىٰ يخرج عطاؤك.

ما لك لا تتعظ؟

فما لَكَ لَيْسَ يعمـلُ فيـكَ وَعْظٌ
ولا زَجْـرٌ كأنَّـكَ مِنْ جَمَادِ
سَتَـنْـدمُ إنْ رَحَـلْتَ بغـير زادٍ
وَتَـشْـقَـىٰ إذْ يُنَـادِيـكَ المُـنَـادِي

فلا تأمَنْ لِذي الدّنيا صلاحاً
فإنّ صلاحها عينُ الفَسادِ
ولا تَفْرَحْ بمالٍ تَقْتَنِيهِ
فإنّكَ فيهِ مَعْكُوسُ المُرَادِ
وتُبْ ممّا جَنَيتَ وأنْتَ حَيٌّ
وكُنْ مُتَنَبّهاً قَبْلَ الرّقادِ
أتَرْضَى أنْ تكونَ رَفيقَ قَوْمٍ
لَهُمْ زادٌ وأنْتَ بغَيرِ زادِ

من ديوان أبي العتاهية

الأجر عند الله

كان عبدالله بن المبارك يقاتل ويحرض المؤمنين على القتال، ويجاهد ويكون في أول الصفوف، ويجالد بقوة ويتقدم حيث يتأخر الأبطال، وهذا ما حدَّث به أحد المرافقين لابن المبارك في إحدى المعارك مع الروم.

حدَّث عبده المروزي قال: كنا في سرية مع عبدالله بن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى المبارزة فخرج إليه رجل فقتله الرومي، ثم آخر فقتله، فتأخر عنه المسلمون فصال وجال بين الصفين ودعا إلى المبارزة.

فخرج إليه رجل فطارده ساعة، ثم طعنه فقتله، فازدحم إليه الناس، فكنت فيمَن ازدحم إليه، فإذا هو يُلثِّم وجهه بكمه حتى لا يعرفه الناس، فأخذت بطرف كمه فمددته وأزحته عن وجهه، فإذا هو عبدالله بن المبارك.
فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يشنّع علينا.

يوم النشور

كان أبو ذر رضي الله عنه يقول: يا أيها الناس إني لكم ناصح، إني عليكم شفيق، صلوا في ظلمة الليل لوحشة القبور، صوموا في الدنيا لحر يوم النشور، تصدقوا مخافة يوم عسير، يا أيها الناس إني لكم ناصح، إني عليكم شفيق.

تصابي الكهول

أيَـا عَجَبـاً للنّـاسِ في طُولِ ما سَهَـوا
وفي طولِ ما اغْـتَرّوا وفي طولِ ما لَهوا
يقـولـون: نَرْجـو الله ثمّ افـتَرَوْا به
ولَـوْ أنّهُم يرجـوه خافـوا كما رَجَـوا
تَصَـابـىٰ رجـال من كُهـول وَجِـلّة
إلىٰ الـلّهـو حتىٰ لا يُبـالـون ما أتـوا
فيـا سَوْءةً للشّـيـب إذْ صارَ أهْـلُه
إذا هيّـجَتـهـم للصّبـا صَبْـوَةٌ صَبَـوا

من ديوان أبي العتاهية

الغضب و الحلم

تقدم إياس بن معاوية وهو صبي، إلى أحد القضاة ومعه شيخ فقال: أصلح الله القاضي، هذا شيخ ظلمني، واعتدى علي، وأخذ مالي.

فقال له القاضي: يا هذا ارفق بالشيخ، ولا تصادره بمثل هذا القول.
فأجابه إياس: أصلح الله القاضي، إن الحق أكبر مني ومنه ومنك.
فقال له: اسكت ولا تتكلم.
فقال له: إن سكتُّ فمن يقوم بحجتي؟
فسكت القاضي. ثم قال: تكلم فوالله ما تتكلم بخير.
فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فرفع صاحب الخبر هذا الخبر فعُزِل القاضي وولي إياس مكانه.

الحق والباطل

تحدى الباطل الحق يوماً:

فقال الباطل: إن عندي من الوسائل ما أغطي به وجهك عن الناس.
فأجابه الحق: وعندي من القوة ما أهتك به تغريرك بالناس.
قال الباطل: سأظل ملاحقاً لك بالأكاذيب حتى تمل.
قال الحق: وسأهتك سترك الجديد كما فعلت بالقديم.
قال الباطل: سأظل متتبعاً لك بالأكاذيب حتى تمل.
قال الحق: لن أمل ما دام للكون إلّه عادل، وللناس عقول تفكر.
قال الباطل: وما أكثر الناس ولو حرصت بمفكرين.
قال الحق: وما أكثر دعاتي ـ ولو غضبت ـ بيائسين.
قال الباطل: هب أنك أقنعت الناس جميعاً فإن سندي إبليس باق إلى يوم يبعثون.
قال الحق: ولكن ربي الله هو الذي يحكم بين الناس فيما كانوا فيه يختلفون. يوم يكون سندك الأكبر يتلظى في نار جهنم هو وأتباعك جزاء وفاقاًلما كنتم في الحياة تفسدون.

الحق فوق الجميع

غضب هشام على رجل من أشراف الناس فشتمه، فوبخه الرجل، وقال له:

أما تستحيي أن تشتمني وأنت خليفة الله في أرضه؟

فأطرق هشام واستحيى وقال له: اقتص.

قال: إذاً أنا سفيه مثلك.

فقال: خذ عن ذلك عوضاً من المال.

قال: ما كنت لأفعل.

فقال: فهبها لله.

قال: هي لله، ثم لك.

فنكس هشام رأسه وقال: والله لا أعود لمثلها أبدا.

الاجتهاد في الطاعة

قال كعب الأحبار: كنت عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لي: يا كعب خوفنا، قال: قلت:

يا أمير المؤمنين أليس فيكم كتاب الله تعالىٰ وحكمة رسول الله ﷺ؟

قال: بلىٰ! ولكن خوفنا يا كعب، قال: قلت: يا أمير المؤمنين اعمل عمل رجل لو وافيت يوم القيامة بعمل سبعين نبياً لازدريت عملك مما ترىٰ.

قال: فأطرق عمر ملياً ثم أفاق فقال: زدنا يا كعب، قال: قلت: يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلىٰ دماغه حتىٰ يسيل من حرها.

فأطرق عمر ملياً ثم أفاق فقال: زدنا يا كعب قال: قلت: يا أمير المؤمنين إن جهنم لتزفر يوم القيامة زفرة ما يبقىٰ مَلَك مُقرب ولا نبي مرسل إلا خرَّ جاثياً علىٰ ركبتيه، حتىٰ إن إبراهيم عليه السلام خليله ليخرّ جاثياً ويقول: نفسي نفسي لا أسألك اليوم إلا نفسي.

قال: فأطرق عمر ملياً قال: قلت: يا أمير المؤمنين أو لستم تجدون هذا في كتاب الله تعالىٰ؟ قال: قال عمر: كيف؟ قلت: يقول الله تعالىٰ في هذه الآية: ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفىٰ كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون﴾ [النحل: ١١١].

حفّت الدنيا بالشهوات

كان ميمون بن مهران رحمه الله يقول:

الدنيا حلوة خضرة قد حفت بالشهوات، والشيطان عدو حاضر متربص، وأمر الآخرة آجل، وأمر الدنيا عاجل.

دار زوال ودار مقام

كان بلال بن سعد يقول في موعظته:

عباد الرحمن لو سلمتم من الخطايا فلم تعملوا فيها بينكم وبين الله خطيئة، ولم تتركوا لله طاعة إلا جهدتم أنفسكم في أدائها إلا حبكم الدنيا لوسعكم ذلك شراً، إلا أن يتجاوز الله ويعفو.

وكان يقول: عباد الرحمن! اعلموا أنكم تعملون في أيام قصار لأيام

طوال، وفي دار زوال لدار مقام، وفي دار نَصَبٍ وحُزن لدار نعيم وخلد، ومن لم يعمل علىٰ اليقين فلا يغتر.

وقال أيضاً: عباد الرحمن! هل جاءكم مخبر يخبركم أن شيئاً من أعمالكم تقبل منكم، أو شيئاً من خطاياكم غفر لكم؟ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون، والله لو عجل لكم الثواب في الدنيا لاستقللتم كلكم ما افترض ولا تنافسون في جنة ﴿**أُكُلها دائم وظِلُّها، تلك عقبىٰ الذين اتقوا، وعقبىٰ الكافرين النار**﴾ [الرعد: ٣٥].

تمسك بالتقى

تمسّك بالتُّقىٰ حتىٰ تموتا
ولا تدَعْ الكلام ولا السّكوتا
فَقُلْ حسناً وأمْسِك عن قبيح
ولا تنفكّ عَنْ سُوءٍ صمُوتا
لَكَ الدّنيا بأجمعها كمالاً
إذا عُوفِيتَ ثمّ أصبْت قوتا
إذا لَمْ تَحْتَفِظْ بالشيء يوماً
فلا تَأْمَنْ عَلَيْهِ أنْ يَفُوتا
يُعَلّلني الطبيب إلىٰ قضاء
فإمّا أَنْ أُعافى أَوْ أَموتا
سقىٰ الله القُبور وسَاكِنيها
محلًّا أَصْبَحوا فيها خُفُوتا

من ديوان أبي العتاهية

من صفات الكفّار والمنافقين

الظلم:

قال الله تعالىٰ: ﴿فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم﴾ [الزخرف: ٦٥].

الكذب والإفك:

قال الله تعالىٰ: ﴿ويل لكل أفَّاك أثيم﴾ [الجاثية: ٧].

اللهو عن ذكر الله واللعب والغفلة عن العمل لليوم الآخر:

قال الله تعالىٰ: ﴿ذَرْهم يأكلوا ويتمتعوا ويُلْهِهم الأمل فسوف يعلمون﴾ [الحجر: ٣].

﴿فَذَرهم يخوضوا ويلعبوا حتىٰ يُلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾ [الزخرف: ٨٣].

كتمان الشهادة:

قال الله تعالىٰ: ﴿ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله﴾؟! [البقرة: ١٤٠].

إخفاء المعالم والتضليل وكتمان الحق:

قال الله تعالىٰ: ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون﴾ [البقرة: ٤٢].

الانحياز إلىٰ فئة ضالة اعتزازاً بقوتها، فلا قوة إلا بالله:

قال الله تعالىٰ: ﴿ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت﴾ [الأنفال: ١٩].

اليقين والصدق

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

الهوىٰ شريك العمىٰ، ومن التوفيق سعة الرزق، نعم طارد الهموم اليقين، وفي الصدق النجاة، عاقبة الكذب شر عاقبة.

رب بعيد أقرب من قريب ورب قريب أبعد من بعيد، والغريب من لم يكن له حبيب، من تعدىٰ الحق ضاق مذهبه، من اقتصر علىٰ قدره كان أبقىٰ له.

وأوثق العرىٰ التقوىٰ، من أعتبك قد هوىٰ، وقد يكون اليأس إدراكاً إذا كان الطمع هلاكاً، كم من مريب قد شقي به غيره ونجا هو من البلاء.

جانبك من يجني عليك، وقد تعدىٰ الصحاح مبارك الجرب، وليس كل عورة تظهر، ربما أخطأ البصير قصده، وأصاب العمىٰ رشده.

الخير الكثير

يروىٰ عن عون بن عبدالله أنه قال:

الخير من الله كثير، ولكنه لا يبصره من الناس إلا يسير، وهو للناس من الله معروض، ولكنه لا يبصره من لا ينظر إليه، ولا يجده من لا يبتغيه، ولا يستوجبه من لا يعلم به، ألم تروا إلىٰ كثرة نجوم السماء فإنه لا يهتدي بها إلا العلماء، ورأس التقوىٰ الصبر، وتحقيقها العمل، وكمالها الورع.

أمسك عليك لسانك

قال علي بن أبي طالب موصياً ولده الحسن رضي الله عنهما:

يا بني! أمسك عليك لسانك، ولا تنطق فيما تخاف الضرر فيه، فإن الصمت خير من الكلام في غير منفعة، وتلافيك ما فرط من همتك أيسر من إدراكك ما فات من منطقك، واحفظ ما في الوعاء بشد الوكاء.

واعلم أن حفظ ما في يديك خير من طلب ما في يد غيرك، وحسن التدبير مع الكفاف أكفىٰ لك من الكثير في الإسراف، وحسن اليأس خير لك من الطلب إلىٰ الناس، يا بني! لا تحدث من غير ثقة فتكون كذاباً، والكذب داء فجانبه وأهله.

بين المغيرة.. ورستم

يذكر الإمام ابن كثير رحمه الله تعالىٰ في البداية والنهاية:

عن سيف بن عمرو عن شيوخه قال: ولما تَوجهَ الجيشان بعث رستم إلىٰ سعد رضي الله عنه أن يبعث إليه برجل عاقل عالم بها أسأله عنه، فبعث إليه المغيرة بن شعبة، فلما قدم إليه جعل رستم يقول له: إنكم جيراننا وكنا نحسن إليكم ونكف الأذىٰ عنكم، فارجعوا إلىٰ بلادكم، ولا نمنع تجارتكم من الدخول إلىٰ بلادنا.

فقال له المغيره: إنا ليس طلبنا الدنيا، وإنما همنا وطلبنا الآخرة، وقد بعث الله إلينا رسولاً، قال له: إني قد سلطت هذه الطائفة علىٰ من لم

يدن بديني، فأنا منتقم منهم، وأجعل لهم الغلبة ما داموا مُقرِّين به، وهو دين الحق، لا يرغب عنه أحد إلا ذلَّ، ولا يعتصم به إلا عزَّ.

فقال له رستم: فما هو؟ فقال: **أما عموده الذي لا يصلح شيء منه إلا به فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله.** فقال: ما أحسن هذا! وأي شيء أيضاً؟ قال: **وإخراج العباد من عبادة العباد إلىٰ عبادة الله.** قال وحسنٌ أيضاً، وأيُّ شيء أيضاً؟ قال: **والناس بنو آدم فهم إخوة لأب وأم.** قال: وحسن أيضاً.

ثم قال رستم: أرأيت إن دخلنا في دينكم أترجعون عن بلادنا؟ قال: إي والله، ثم لا نقرب بلادكم إلا في تجارة أو حاجة. قال: وحسن أيضاً.

قال: ولما خرج المغيرة من عنده ذاكر رستم رؤساء قومه في الإسلام، فأنفوا ذلك وأبوا أن يدخلوا فيه، قبحهم الله وأخزاهم، وقد فعل.

الراغب في الدنيا عبد لها

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما:

من طلب الدنيا قعدت به، ومن زهد فيها لم يبال من أكلها.

الراغب فيها عبد لمن يملكها، أدنىٰ ما فيها يكفي، وكلها لا تُغني.

من اعتدل يومه فيها فهو مغرور، ومن كان يومه خيراً من غده فهو مغبون.

ومن لم يتفقد النقصان عن نفسه في نقصان، ومن كان في نقصان فالموت خيرٌ له.

من صفات المؤمنين

من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب:
قال الله تعالىٰ: **﴿إنما تُنذر من اتبع الذِّكر وخَشِي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم﴾** [يسٓ: ١١].

الذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلىٰ الله:
قال الله تعالىٰ: **﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلىٰ الله لهم البشرىٰ فبشِّر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾** [الزمر: ١٧].

الذين آمنوا وكانوا يتقون:
قال الله تعالىٰ: **﴿لهم البشرىٰ في الحياة الدنيا وفي الآخرة، لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾** [يونس: ٦٤].

الفرج قريب

لما جلس الملك بَزْرَجُمَهْرُ سأله أحبابه: بماذا تتعزى؟ فقال: بأربع كلمات:
الأولى: أن كل شيء يجري بقضاء الله وحكمه.
الثانية: بقولي: إن لم أحتمل ماذا أصنع.
الثالثة: بقولي: إنه ممكن أن أقع بشرٍّ أعظم من هذا.
الرابعة: بقولي: لعل الفرج قريب وأنا لست أعلم.

الدنيا والنساء

قال رسول الله ﷺ: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإنَّ الله تعالىٰ مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتَّقوا الدُّنيا واتقوا النساء» رواه مسلم.

يوم إلى الليل

قال وهب بن منبه: مرّ نبي من الأنبياء علىٰ عابد في كهف جبل فمال إليه فسلم عليه، فلما ردَّ عليه السلام قال له النبي: يا عبدالله مذ كم أنت هٰهنا؟

قال: منذ ثلاثمائة سنة.

قال: فمن أين معيشك؟

قال: من ورق الشجر.

قال: فمن أين شرابك؟

قال: من ماء العيون.

قال: فأين تكون في الشتاء؟

قال: تحت هذا الجبل.

قال: وكيف صبرك علىٰ العبادة؟

قال: وكيف لا أصبر، وإنما هو يومي إلىٰ الليل، وأما أمسي فقد مضىٰ بما فيه، وأما غدي فلم يأت.

قال: فعجب النبي من حكمة قوله: إنما هو يومي إلىٰ الليل.

إخلاص القليل من العمل

قال ميمون بن مهران: يا ابن آدم خفف عن ظهرك، فإن ظهرك لا يطيق كل الذي تحمل عليه من ظلم هذا، وأكل مال هذا، وشتم هذا، وكل هذا تحمله علىٰ ظهرك فخفف عن ظهرك.

وقال أيضاً: إن أعمالكم قليلة فأخلصوا هذا القليل. وقال: ما أتىٰ قوم في ناديهم المنكر إلا كان عند ذلك هلاكهم.

سلعة الله غالية

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إنَّ سلعة الله غالية، ألا إنَّ سلعة الله الجنَّة**» رواه الترمذي.

الأجل المعلوم

جاء في خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم، فمن استطاع أن ينقضي الأجل وهو في عمل الله فليفعل، ولن تنالوا ذلك إلا بالله، إن أقواماً جعلوا آجالهم لغيرهم، فنهاكم الله أن تكونوا أمثالهم، ﴿**ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم**﴾ [الحشر: ١٩]. أين من تعرفون من إخوانكم! قدموا علىٰ ما قدَّموا في أيام سلفهم وحلوا فيه بالشقاوة والسعادة.

أين الجبارون الأولون الذين بنوا المدائن وحفَّفوها بالحوائط! قد صاروا تحت الصخر والآثار، هذا كتاب الله لا تفنىٰ عجائبه، فاستضيئوا منه ليوم ظلمة، وانتصحوا بشفائه وبيانه، إن الله عز وجل أثنىٰ علىٰ زكريا وأهل بيته فقال: ﴿**كانوا يُسارعون في الخيرات، ويدعوننا رغباً ورهباً، وكانوا لنا خاشعين**﴾ [الأنبياء: ٩٠].

لا خير في قول لا يراد به وجه الله، ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله، ولا خير فيمن يغلب جهلُه حلمه، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم.

حاسب نفسك

عن جعفر بن برقان قال: بلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلىٰ بعض عماله فكان في آخر كتابه:

أن حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة، فإن من حاسب في الرخاء قبل حساب الشدة عاد مرجعه إلىٰ الرضاء والغبطة، ومن ألهته حياته وشغلته سيئاته عاد مرجعه إلىٰ الندامة والحسرة، فتذكر ما توعظ به لكي تنتهي عما تنهىٰ عنه.

تعجيل وتأخير

دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه علىٰ النبي ﷺ وهو علىٰ سرير من الليف، قد أثّر في جنبه الشريف، فبكىٰ عمر، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما يبكيك يا عمر**»؟ **فقال: تذكرت كسرىٰ وقيصر وما كانا فيه من سعة**

الدنيا، وأنت رسول الله تنام علىٰ سرير قد أثّر في جنبك! فقال ﷺ: «هؤلاء قوم عُجِّلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا، ونحن قوم أُخِّرت لنا طيباتنا في الآخرة» رواه البخاري.

الذاكرين والغافلين

يروىٰ عن عون بن عبدالله أنه قال لابنه:

يا بني كن ممن نأيه عمن نأىٰ عنه يقين ونزاهة، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة، ليس نأيه بكِبْرٍ ولا بعظمة ولا دنوه خداع ولا خلابة، يقتدي بمن قبله فهو إمام لمن بعده، ولا يعزب علمه، ولا يحضر جهله، ولا يعجل فيما رابه، ويعفو فيما يتبين له، يغمض في الذي له، ويزيد في الحق الذي عليه، والخير منه مأمول، والشر منه مأمون، إن كان مع الغافلين كتب من الذاكرين، وإن كان مع الذاكرين لم يكتب من الغافلين.

لا يغره ثناء من جهله، ولا ينسىٰ إحصاء ما قد عمله، إن مُدح خاف ما يقولون واستغفر لما لا يعلمون، أنا أعلم بي من غيري، وربي أعلم بي من نفسي، فهو يستبطىء نفسه في العمل، ويأتي ما يأتي من الأعمال الصالحة علىٰ وجل.

يظل يذكر ويمسي وهمه أن يشكر، يبيت حذراً، ويصبح فرحاً، حذراً لما حُذّر من الغفلة، وفرحاً لما أصاب من الغنيمة والرحمة، إن عصته نفسه فيما يكره لم يطعها فيما أحبت، فرغبته فيما يخلد، وزهادته فيما ينفد، يمزج العلم بالحلم، ويصمت ليسلم، وينطق ليفهم.

الفاحشة تقصم القلب

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وصية لولده الحسن:

يا بني! العفة مع الشدة خير من الغنىٰ مع الفجور، من فكّر أبصر، ومن كثر خطأه هُجر، ورب مضيع ما يسره، وساع فيما يضره، من خير حظِّ المرء قرين صالح، فقارن أهل الخير تكن منهم، وباين أهل الشر تبن منهم، ولا يغلبن عليك سوء الظن، فإنه لن يدع بينك وبين خليلك ملجأ.

قد يقال: من الحزم سوء الظن، وبئس الطعام الحرام، وظلم الضعيف أفحش الظلم، الفاحشة تقصم القلب، إذا كان الرفق خرقاً كان الخرق رفقاً، وربما كان الداء دواءً والدواء داءً، وربما نصح غير الناصح وغشَّ المنتصح.

إياك والاتكال على المنىٰ! فإنها بضائع، ولا تكن كحاطب الليل وغثاء السيل، كفر النعمة لؤم، وصحبة الجاهل شؤم، والعقل حفظ التجارب، وخير ما جربت ما وعظك، ومن الكرم لين الشيم.

الوقوف على باب الله

يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالىٰ في كتابه «صيد الخاطر»:

ينبغي للعاقل أن يلازم باب خالقه علىٰ كل حال، وأن يتعلق بذيل

فضله إن عصىٰ وإن أطاع.

وليكن له أنس في خلوته به، فإن وقعت وحشة فليجتهد في رفع الموحش، كما قال الشاعر:

أمستوحش أنت مما جنيت
فأحسن إذا شئت واستأنس

فإن رأىٰ نفسه مائلاً إلىٰ الدنيا طلبها منه، أو إلىٰ الآخرة سأله التوفيق للعمل لها.

فإن خاف ضرر ما يرومه من الدنيا سأل الله إصلاح قلبه، وشفاء مرضه، فإنه إذا صلح لم يطلب ما يؤذيه.

ومن كان هكذا كان في العيش الرغد، وإن من ضرورة هذه الحال ملازمة التقوىٰ، فإنه لا يصلح الأنس إلا بها، وقد كان أرباب التقوىٰ يتشاغلون عن كل شيء إلا عن اللجوء والسؤال.

إذا أسأت فأحسن

وعظ عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً فقال:

لا تُلهك الناس عن نفسك، فإن الأمر يصير إليك دونهم، ولا تقطع النهار سارباً، فإنه محفوظ عليك ما عملت، وإذا أسأت فأحسن، فإني لا أرىٰ شيئاً أشد طلباً ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثة لذنب قديم.

صحبة المتقين

قال علي بن أبي طالب لابنه الحسن رضي الله عنهما:

يا بني! رأس الدين صحبة المتقين.

وتمام الإخلاص اجتناب المحارم.

وخير المقال ما صدقه الفعال.

اقبل عذر من اعتذر إليك.

واقبل العفو من الناس.

وأطع أخاك وإن عصاك، وصله وإن جفاك.

الدنيا الغرور

نَصَبْتِ لنا دُونَ التَّفكّر يا دُنيا
أمانيَّ يفنىٰ العُمرُ من قَبْلِ أن تفنىٰ
متىٰ تنقضي حاجاتُ مَنْ لَيْسَ وَاصِلاً
إلىٰ حاجةٍ حتىٰ تكونَ لَهُ أُخرىٰ
لِكُلِّ امرىء فيما قضىٰ الله خُطّةٌ
من الأمْرِ فيها يستوي العبدُ والمولىٰ
وإنَّ امرأً يسعىٰ لغَيرِ نِهايةٍ
لَمُنْغَمِسٌ في لُجّةِ الفَاقَةِ الكُبْرىٰ

من ديوان أبي العتاهية

هذه الخواتيم

خطب علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوماً فحمد الله وأثنىٰ عليه وصلىٰ علىٰ النبي ﷺ ثم قال:

يا عباد الله! لا تغرنَّكم الحياة الدنيا فإنها دار بالبلاء محفوفة، وبالفناء معروفة، وبالقدر موصوفة، وكل ما فيها إلىٰ زوال، وهي ما بين أهلها دول وسجال، لن يسلم من شرها نزالها، بينما أهلها في رخاء وسرور، إذا هم منها في بلاء وغرور، العيش فيها مذموم، والرخاء فيها لا يدوم، وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة، ترميهم بسهامها، وتقصمهم بحِمامها.

عباد الله! إنكم وما أنتم من هذه الدنيا عن سبيل مَنْ قد مضىٰ ممن كان أطول منكم أعماراً، وأشد منكم بطشاً، وأعمر دياراً، وأبعد آثاراً، فأصبحت أصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها، وأجسادهم بالية، وديارهم خالية، وآثارهم عافية، واستبدلوا القصـور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة بالصخور، والأحجار المسندة في القبور، وشيد بالتراب بناؤها، فمحلها مقترب، وساكنها مغترب، بين أهل عمارة موحشين، وأهل محلة متشاغلين، لا يستأنسون بالعمران، ولا يتواصلون تواصل الجيران، علىٰ ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار.

وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكلة البلىٰ وأكلتهم الجنادل والثرىٰ، فأصبحوا بعد الحياة أمواتاً، وبعد نضارة العيش رفاتاً، فجع بهم الأحباب، وسكنوا التراب، فطعنوا فليس لهم إياب، هيهات هيهات!

﴿كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلىٰ يوم يبعثون﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

فكأن قد صرتم إلىٰ ما صاروا إليه من الوحدة والبلىٰ في دار الموتىٰ، تناهتْ الأمور، وبُعثرت القبور، وحُصّل ما في الصدور، وأوقفتم للتحصيل بين يدي ملك جليلٍ، فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب، وهتكت عنكم الحجب والأستار، فظهرت منكم العيوب والأسرار، هنالك تُجزىٰ كل نفس بما كسبتْ.

تبلغ من الدنيا

تبارك من يجري الفِراقُ بأمرِهِ
ويَجْمَعُ مِنْ شتىٰ علىٰ غيرِ موعِد
أيا صاح إنّ الدّار دارُ تبلّغٍ
إلىٰ برزخِ الموتىٰ ودارُ تزَوّد
ألسْتَ ترىٰ أنّ الحوادِث جَمّةً
يرُوحُ علينا صَرْفُهُنّ ويَغْتَدي
تَبَلّغْ من الدّنيا، ونَلْ من كَفافِها
ولا تَعْتَقِدها في ضَميرٍ ولا يَدِ
وكنْ دَاخِلاً فيها كأنّكَ خارجٌ
إلىٰ غَيْرِها منْها مِنَ اليَوْمِ أو غَدِ

من ديوان أبي العتاهية

ظلمات القبور

خطب أبو بكر رضي الله عنه فقال:

أوصيكم بالله لفقركم وفاقتكم أن تتقوه، وأن تُثْنوا عليه بما هو أهله، وأن تستغفروه إنه كان غفاراً، واعلموا أنكم ما أخلصتم لله فربَّكم أطعتم، وحقه وحقكم حفظتم، فأعطوا ضرائبكم في أيام سلفكم، واجعلوها نوافلَ بين أيديكم حتىٰ تستوفوا سلفكم، وضرائبكم حين فقركم وحاجتكم، ثم تفكروا عباد الله فيمن كان قبلكم، أين كانوا أمس وأين هم اليوم!

أين الملوك الذين كانوا أثاروا الأرض وعمروها! قد نُسوا ونُسي ذكرهم فهم اليوم بلا شيء، فتلك بيوتهم خاويةٌ وهم في ظلمات القبور، ﴿هل تُحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً﴾ [مريم: ٩٨].

وأين من تعرفون من أصحابكم وإخوانكم! قد وُردوا علىٰ ما قدموا، فجعلوا للشقاوة أو السعادة، إن الله عز وجلَّ ليس بينه وبين أحد من خلقه نسبٌ يعطيه به خيراً، ولا يصرف عنه سوءاً إلا بطاعته واتباع أمره، وإنه لا خيرَ بخيرٍ بعده النار، ولا شرَّ بشرٍّ بعده الجنة، أقول قوْلي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الدنيا والآخرة

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: نظرت في هذا الأمر فجعلت إذا أردت الدنيا أضرُّ بالآخرة، وإذا أردت الآخرة أضرُّ بالدنيا، فإذا كان الأمر هكذا فأضرّوا بالدنيا الفانية.

لا أجر ولا وزر

قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: لما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنـه دخلت عليه فقلت له:

أبشرْ يا أمير المؤمنين، فإن الله قد مصّر بك الأمصار، ودفع بك النفاق وأفشىٰ بك الرزق، قال: أفي الإمارة تثني علي يا ابن عباس؟ فقلت: وفي غيرها، قال: والذي نفسي بيده لوددت أني خرجت منها كما دخلت فيها لا أجر ولا وزر.

بين الدعاء والإجابة

قال علي بن أبي طالب في وصية لولده الحسن رضي الله عنهما:

اعلم أن الذي بيده خزائن السماوات والأرض قد أذن لك في الدعاء وضمن الإجابة، وأمرك أن تسأله فيعطيك، وتطلب إليه فيرضيك، وهو رحيم لم يجعل بينك وبينه حجاباً، ولم يُلجئك إلىٰ من تشفع به إليه.

ولم يمنعك إن أسأتَ التوبة، ولم يعاجلك بالنقمة، ولم يحرمك من رحمته، ولم يسدَّ عليك باب التوبة، وجعل توبتك النزوع عن الذنب، وجعل سيئتك واحدة وجعل حسنتك عشراً.

إذا ناديته أجابك، وإذا ناجيته علم نجواك، فأفضيت إليه بحاجتك، وشكوت إليه همومك، واستعنته علىٰ أمورك، وسألته من خزائن رحمته التي لا يقدر علىٰ إعطائها غيره من زيادة الأعمار وصحة الأبدان، وسعة

الرزق وتمام النعمة، فألحح في المسألة، فبالدعاء تفتح أبواب الرحمة.

ولا يقنطك إبطاء إجابته، فإن العطية علىٰ قدر النية، فربما أُخرَتْ الإجابة لتطول مسألة السائل، فيعظم أجره، ويُعطىٰ سؤله، وربما ذخر ذلك له في الآخرة، فيعطىٰ أجر تعبده، ولا يفعل بعبده إلا ما هو خير له في العاجلة والآجلة، ولكن لا يجد لطفه أحد، ولا يعرف دقائق تدبيره إلا المصطفَون، ولتكن مسألتك لما يبقىٰ ويدوم في صلاح دنياك وتسهيل أمرك وشمول عافيتك، فإنه قريب مجيب.

إخلاص النية

كتب عمر بن الخطاب إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنهما:
مَنْ خلصت نيته كفاه الله تعالىٰ ما بينه وبين الناس، ومَنْ تَزيّن للناس بغير ما يعلم الله من قلبه شانه الله عز وجل، فما ظنك في ثواب الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته.

البيع الخاسر

هِيَ النّفْسُ لا أعتاض عَنْها بغَيْرِها
وكلُّ ذي عَقْلٍ إلىٰ مثلِها يدنُو
لَها أطلُبُ الأخرىٰ فإن أنا بِعْتُها
بشيءٍ منَ الدّنيا فذاكَ هو الغبنُ

من ديوان أبي العتاهية

العلم خليل الرجل

قال أحد الصالحين يوصي ولداً له:

ينبغي للعاقل أن يكون في شأنه، فيحفظ فرجه ولسانه ويعرف أهل زمانه، والعلم خليل الرجل، والعقل دليله، والحلم وزيره، والعمل قرينه، والصبر أمير جنوده، والرفق والده، واليسر أخوه.

يا بني! لا تستخفنَّ برجل تراه أبداً، إن كان أكبر منك فعدَّ أنه أبوك، وإن كان مثلك فهو أخوك، وإن كان أصغر منك فاحسب أنه ابنك.

أهل الخلود والبقاء

قال بلال بن سعد في إحدىٰ مواعظه:

يا أهل الخلود، يا أهل البقاء، إنكم لم تخلقوا للفناء، وإنما خلقتم للخلود والأبد، ولكنكم تنقلون من دار إلىٰ دار، كما نقلتم من الأصلاب إلىٰ الأرحام، ومن الأرحام إلىٰ الدنيا، ومن الدنيا إلىٰ القبور، ومن القبور إلىٰ الموقف، ثم إلىٰ الخلود في الجنة أو النار.

نعم كثيرة

كان ميمون بن مهران يقول في دعائه:

رب ما أرفع حجتك، وأكثر مدحتك، رب ما أبين كتابك، وأشد عقابك، رب ما أكرم مآبك، وأحسن ثوابك، رب ما أجزل عطاءك، وأجل ثناءك، رب ما أحسن بلاءك، وأسبغ نعماءك، رب ما أعلىٰ مكانك،

وأعظم سلطانك، رب ما أمتن كيدك، وأغلب مكرك، رب ما أعز ملكك، وأتم أمرك، رب ما أعظم عرشك، وأشد بطشك.

رب ما أوسع رحمتك، وأعرض جنتك، رب ما أعزّ نصرك، وأقرب فتحك، رب ما أعمر بلادك، وأكثر عبادك، رب ما أوسع رزقك، وأزيد شكرك، رب ما أسرع فرجك، وأحكم صنعك.

رب ما ألطف خيرك، وأقوىٰ أمرك، رب ما أنور عفوك، وأجل ذكرك، رب ما أعدل حكمك، وأصدق قولك، رب ما أوفىٰ عهدك، وأنجز وعدك، رب ما أحضر نفعك، وأتقن صنعك.

ثلاثة وثلاثة

عن سمرة بن جندب قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الرجال ثلاثة والنساء ثلاثة:

فأما النساء:

فامرأة عفيفة مسلمة لينة ودودة ولود تعين أهلها علىٰ الدهر ولا تعين الدهر علىٰ أهلها وقليلاً ما تجدها.

وامرأة دعَّاء لا تزيد علىٰ أن تلد الأولاد.

والثالثة غلٌّ قَملٌ يجعلها الله في عنق من يشاء، فإذا شاء أن ينزعه نزعه.

والرجال ثلاثة:

رجل عفيف هين لين ذو رأي ومشورة، فإذا نزل به أمر ائتمر رأيه، وصدر الأمور مصادرها.

ورجل لا رأي له، إذا أُنزل به أمر أتىٰ ذا الرأي والمشورة فنزل عند رأيه.

ورجل حائر باتر، لا يتم رشداً، ولا يُطيع مرشداً.

محاسبة وعتاب

كان عون بن عبدالله يبكي عند ذكر خطيئته ويقول:

ويحي! بأي شيء لم أعصِ ربي، ويحي! إنما عصيته بنعمته عندي، ويحي! من خطيئة ذهبت شهوتها وبقيت تبعتها عندي في كتاب كتبه كتّاب لم يغيبوا عني، واسوأتاه! لم أستحيهم ولم أراقب ربي، ويحي! نسيت ما لم ينسوا مني، ويحي! غفلت ولم يغفلوا عني، لم أستحيهم ولم أراقب، واسوأتاه! ويحي! حفظوا ما ضيعت مني، ويحي! طاوعت نفسي وهي لا تطاوعني.

ويحي! طاوعتها فيما يضرها ويضرني، ويحها! ألا تطاوعني فيما ينفعها وينفعني أريد إصلاحها وتريد أن تفسدني، ويحها! إني لأنصفها وما تنصفني، أدعوها لأرشدها وتدعوني لتغويني، ويحها! إنها لعدو لو أنزلتها تلك المنزلة مني، ويحها! تريد اليوم أن ترديني وغداً تخاصمني.

رب لا تسلطها علىٰ ذلك مني، رب إن نفسي لم ترحمني فارحمني، رب إني أعذرها ولا عذرتني. إنه إن يك خيراً أخذلها وتخذلني، وإن يك شراً أحبها وتحبني، رب فعافني منها وعافها مني، حتىٰ لا أظلمها ولا تظلمني، وأصلحني لها وأصلحها لي، فلا أهلكها ولا تهلكني، ولا تكلني إليها ولا تكلها إلي.

ويحي ! كيف أفر من الموت وقد وكل بي، ويحي ! كيف أنساه ولا ينساني، ويحي ! إنه يقص أثري فإن فررت لقيني، وإن قمت أدركني، ويحي ! هل عسىٰ أن يكون قد أظلني فمساني؟ وصبحني! أو طرقني فبغتني؟

ثمانية تطلبك كل يوم

قيل للإمام الشافعي رحمه الله تعالىٰ: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت تطلبني ثمانية:

الله تعالىٰ بالفرض.
ورسوله ﷺ بالسُّنة.
والدهر بصروفه.
والعيال بقُوتهم.
والحفظة بما ينطق لساني.
والشيطان بالمعاصي.
والنفس بالشهوات.
وملك الموت بقبض روحي.

القبر وساكنه

قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله لرجل من جلسائه: أبا فلان لقد أرقت الليلة تفكراً، قال: فيم يا أمير المؤمنين! قال:

في القبر وساكنه، إنك لو رأيت الميت بعد ثالثة في قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك بناحيته، ولرأيت بيتاً تجول فيه الهوام،

ويجري فيه الصديد، وتخترقه الديدان، مع تغير الريح، وبلىٰ الأكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح، ونقاء الثوب، ثم شهق شهقة وخرَّ مغشياً عليه.

فقالت فاطمة: يا مزاحم ويحك، أخرج هذا الرجل عنا فلقد نغص علىٰ أمير المؤمنين الحياة منذ ولي، فليته لم يتول أمر المسلمين، قال: فخرج الرجل فجاءت فاطمة تصب علىٰ وجهه الماء وتبكي حتىٰ أفاق من غشيته فرآها تبكي فقال: ما يبكيك يا فاطمة؟ قالت: يا أمير المؤمنين رأيت مصرعك بين أيدينا فذكرت به مصرعك بين يدي الله للموت، وتخليك من الدنيا وفراقك لنا، فذاك الذي أبكاني.

فقال: حسبك يا فاطمة فلقد أبلغت، ثم مال ليسقط فضمته إلىٰ نفسها، فقالت: بأبي أنت يا أمير المؤمنين ما نستطيع أن نكلمك بكل ما نجد لك في قلوبنا، فلم يزل علىٰ حاله تلك حتىٰ حضرته الصلاة، فصبت علىٰ وجهه ماء ثم نادته :الصلاة يا أمير المؤمنين، فأفاق فزعاً.

أهوال شديدة

قال علي بن أبي طالب في وصية لولده الحسن رضي الله عنهما:

اجعل نفسك ميزاناً بينك وبين غيرك، وأحبب لغيرك ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك، ولا تقل ما لا تعلم، بل أقل مما تعلم، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك.

اعلم يا بني أن الإعجاب ضد الصواب، وآفة الألباب، فاسع في

كدحك، ولا تكن خازناً لغيرك، فإذا هديت لقصدك فكن أخشع ما تكون لربك.

واعلم أن أمامك طريقاً ذا مشقة بعيدة، وأهوالاً شديدة، وأنك لا غنىٰ بك عن حسن الانقياد، وقدر بلاغك من الزاد من خفة الظهر، فلا تحملن علىٰ ظهرك فوق طاقتك، فيكون ثقله وبالاً عليك، وإذا وجدت من أهل الحاجة من يحمل لك زادك ويوافيك به حيث تحتاج إليه فاغتنمه، واغتنم ما أقرضت من استقرضك في حال غناك.

واعلم أن أمامك عقبة كؤود مهبطها علىٰ جنة أو علىٰ نار، فارتد لنفسك قبل نزولك، فليس بعد الموت مستعتب، ولا إلىٰ الدنيا منصرف.

أداء حق الله

قال ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما:

عليك بالفرائض وما طوف الله تعالىٰ عليك من حقه فأده، واستعن بالله علىٰ ذلك فإنه لا يعلم من عبد صدق نية وحرصاً فيما عنده من حسن ثوابه إلا أخره عما يكره، وهو الملك يصنع ما يشاء.

المال والبنون

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

المال والبنون حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة، وقد يجمعها الله لأقوام.

جواب وسؤال

عن أنس بن مالك قال: بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد، إذ دخل رجل علىٰ جمل، فأناخه في المسجد، ثم عقله، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي ﷺ متكىء بين ظهرانيهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكىء.

فقال له الرجل: يا بن عبدالمطلب، فقال له النبي ﷺ: «**قد أجبتك**»
فقال: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد عليّ في نفسك.
فقال: «**سل ما بدا لك**».
فقال: أسألك بربك ورب من قبلك: آللّه أرسلك إلىٰ الناس كلهم؟
فقال: «**اللهم نعم**».
فقال: أنشدك بالله، آللّه أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟
قال: «**اللهم نعم**».
قال: أنشدك بالله، آللّه أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟
قال: «**اللهم نعم**».
قال: أنشدك بالله، آللّه أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا، فتقسمها علىٰ فقرائنا؟
فقال النبي ﷺ: «**اللهم نعم**».
فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر. رواه البخاري.

المأمون والمغتاب

اغتاب رجل رجلاً عند المأمون «أي عابه وذكره بما يكره» فقال له المأمون:

لقد استدللنا علىٰ كثرة عيوبك، بما تذكر من عيوب الناس، لأن طالب العيوب إنما يطلبها بقدر ما هي فيه، لا بقدر ما فيه منها.

ولقد صدق الشاعر:

المرء يعرف في الأنام بفعله
وخلائق الحرّ الكريم كأصله
لا تذكرنْ أحداً بذم ربما
إن قلت شيئاً قيل فيك بمثله
هل أنت تجني سكراً من حنظل؟
والشيء يرجع في المذاق لأصله

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

إذا رمت أن تحيا سليماً من الردىٰ
وذنبك مغفور وعرضك صينٌ
لسانك لا تذكر به عورة امرىء
فكلك عورات وللناس ألسن
وعينك إن أبدت إليك معائباً
فدعها وقل يا عين للناس أعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدىٰ
وفارق ولكن بالتي هي أحسن

وعاشروهن بالمعروف

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «**إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عليّ غضبىٰ**»، قالت: من أين تعرف ذلك؟!

فقال: «**أما إذا كنت عني راضية، فإنك تقولين: لا وربِّ محمد، وإذا كنت غضبىٰ قلت: لا وربِّ إبراهيم**».

قالت: قلت: أجل ـ والله ـ يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك. رواه البخاري.

هكذا تكون الصدقة

أصاب الناس قحط في خلافة أبي بكر رضي الله عنه فلما اشتد بهم الأمر جاؤوا إلىٰ أبي بكر وقالوا: يا خليفة رسول الله ﷺ إن السماء لم تمطر والأرض لم تنبت وقد توقع الناس الهلاك فما تصنع؟ فقال لهم: انصرفوا واصبروا فإني أرجو الله أن لا تمسوا حتىٰ يفرج الله عنكم.

فلما كان آخر النهار ورد الخبر بأن عيراً لعثمان بن عفان جاءت من الشام وتصبح في المدينة فلما جاءت خرج الناس يتلقونها فإذا هي ألف بعير موثوقة بُرًّا وزيتاً، وزبيباً، فلما جعلها في داره جاء التجار.

فقال لهم: ما تريدون؟ قالوا: إنك لتعلم ما نريد، بعْنا من هذا الذي وصل إليك فإنك تعلم ضرورة الناس إليه، قال: حباً وكرامة كم تربحونني

علىٰ شرائي، قالوا: الدرهم بدرهمين، قال: أعطيت زيادة علىٰ هذا، قالوا: خمسة، قال: أعطيت أكثر من هذا، قالوا: يا أبا عمرو ليس في المدينة تجار غيرنا، وما سبقنا إليك أحد، فمن ذا الذي أعطاك؟

قال: إن الله أعطاني بكل درهم عشرة، أعندكم زيادة؟ قالوا: لا، قال: فإني أشهد الله أني جعلت ما حملت هذه العير صدقة لله علىٰ المساكين وفقراء المسلمين..

من الدعاء المأثور

أقنع دعاء قول الله تعالى: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة﴾.

وأجمع دعاء، دعاء النبي ﷺ: **«اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم»**.

وأروع دعاء، دعاء النبي ﷺ:

«اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي، أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضى، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيماً لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، وأسألك الشوق إلى لقائك، في غير ضرّاء مضرّة، ولا فتنة مضلة، اللهم زيّنا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهديين».

قالوا في الأمانة

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يعجبكم من الرجل طنطنته، ولكن من أدّىٰ الأمانة، وكف عن أعراض الناس، فهو الرجل.

وقال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أداء الأمانة مفتاح الرزق.

وقال الإمام أبو حنيفة النعمان: من كان فقيراً فليأت إليّ أعطه رأس مال يستغني به عن الناس، ألا وهو الأمانة.

وقال مصلح الدين سعدي: كن ثابتاً في الأمانة، وإلا كانت مساعيك باطلة.

وقيل في منثور الحكم: من ضيع الأمانة، ورضي الخيانة، فقد بريء من الديانة.

وقال أحد الشعراء:

أد الأمانة والخيانة فاجتنب
واعدل ولا تظلم يطل لك مكسب

وقال آخر:

وإذا اؤتمنت علىٰ الأمانة فارعها
إن الكريم علىٰ الأمانة راعي

كتم السر

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

من كتم سره كان الخيار في يده.

أشقى الولاة من شقيت به رعيته.
اتقوا من تبغضه قلوبكم.
أعقل الناس أعذرهم للناس.
من لم يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه.

الدنيا والآخرة

قال مالك: قال لقمان لابنه: يا بني إن الناس قد تطاول عليهم ما يوعدون، وهم إلى الآخرة سراعا يذهبون، وإنك قد استدبرت الدنيا منذ كنت، واستقبلت الآخرة، وإن داراً تسير إليها أقرب إليك من دار تخرج منها.

وقيل لمالك: كيف أصبحت؟ فقال: في عمر ينقص، وذنوب تزيد.

ومن كلام مالك: الدنو من الباطل هلكة، والقول بالباطل بعد عن الحق، ولا خير في شيء وإن كثر من الدنيا بفساد دين المرء ومروءته.

ويقول: إذا ظهر الباطل على الحق كان الفساد في الأرض، وقليل الباطل وكثيره هلكة، وإن لزوم الحق نجاة.

ومن كلامه: من لم يكن فيه خير لنفسه لم يكن فيه خير لغيره، إن نفسه أولى الأنفس كلها، فإذا ضيعها فهو لما سواها أضيع، ومن أحب نفسه حاطها وأبقى عليها.

وتكلم عن الزهد فقال: الزهد في الدين طيب المكسب، وقصر الأمل.

وقال في الزهد أيضاً: ما زهد أحد في الدنيا إلا أنطقه الله بالحكمة.

وقال في الزهد أيضاً: بغيتك منها ما يكفيك، فأقلّ عيشها يغنيك، وما قلَّ وكفى خير مما كثر وألهى.

فراق الأحباب

كانت آخر خطبة خطبها عمر بن عبدالعزيز رحمه الله أن صعد المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال:

أما بعد: فإن ما في أيديكم أسلاب الهالكين، وسيتركها الباقون كما تركها الماضون، ألا ترون أنكم في كل يوم وليلة تشيعون غادياً أو رائحاً إلىٰ الله تعالىٰ، وتضعونه في صدع من الأرض ثم في بطن الصدع، غير ممهد ولا موسد.

قد خلع الأسلاب، وفارق الأحباب، وأسكن التراب، وواجه الحساب، فقير إلىٰ ما قدم أمامه، غني عما ترك بعده، أما والله إني لأقول لكم هذا وما أعرف من أحد من الناس مثل ما أعرف من نفسي، ثم أخذ بطرف ثوبه علىٰ عينه فبكىٰ ثم نزل، فما خرج حتىٰ أخرج إلىٰ حفرته.

وكتب عمر بن عبدالعزيز إلىٰ رجل، أما بعد:

فإني أوصيك بتقوىٰ الله، والانشمار لما استطعت من مالك وما رزقك الله إلىٰ دار قرارك، فكأنك والله ذقت الموت وعاينت ما بعده بتصريف الليل والنهار فإنهما سريعان في طي الأجل ونقص العمر، لم يفتهما شيء إلا أفنياه، ولا زمن مرا به إلا أبلياه، مستعدان لمن بقي بمثل الذي أصاب من قد مضىٰ، فنستغفر الله لسيء أعمالنا، ونعوذ به من مقته إيانا علىٰ ما نعظ به مما نقصر عنه.

وصية

يروىٰ عن عون بن عبدالله أنه كان يكتب بهذه: أما بعد: فإني أوصيك بوصية الله التي حفِظها سعادة لمن حفظها، وإضاعتها شقاوة لمن ضيعها:

فرأس التقوىٰ الصبر، وتحقيقها العمل، وكمالها الورع، وإن تقوىٰ الله شرطه الذي اشترط، وحقّه الذي افترض، والوفاء بعهد الله أن تجعل له ولا تجعل لمن دونه، فإنما يطاع من دونه بطاعته، وإنما تقدم الأمور وتؤخر بطاعته، وأن ينقض كل عهد للوفاء بعهده، ولا ينقض عهده لوفاء بعد غيره. هذا إجماع من القول له تفسير لا يبصره إلا البصير، ولا يعرفه إلا اليسير.

إياك والمعصية

كتب عمر بن عبدالعزيز إلىٰ بعض ولاته فقال:

عليك بتقوىٰ الله في كل حال ينزل بك، فإن تقوىٰ الله أفضل العدة، وأبلغ المكيدة، وأقوىٰ القوة، ولا تكن في شيء من عداوة عدوك أشد احتراساً لنفسك ومن معك من معاصي الله، فإن الذنوب أخوف عندي علىٰ الناس من مكيدة عدوهم.

وإنما نعادي عدونا ونستنصر عليهم بمعصيتهم، ولولا ذلك لم تكن لنا قوة بهم، لأن عددنا ليس كعددهم، ولا قوتنا كقوتهم، فإننا لا ننصر عليهم بمقتنا ولا نغلبهم بقوتنا، ولا تكونن لعداوة أحد من الناس أحذر

منكم لذنوبكم ولا أشد تعاهداً منكم لذنوبكم.

واعلموا أن عليكم ملائكة الله حفظة عليكم يعلمون ما تفعلون في مسيركم ومنازلكم، فاستحيوا منهم وأحسنوا صحابتهم، ولا تؤذوهم بمعاصي الله، وأنتم خرجتم في سبيل الله.

ولا تقولوا إن عدونا شر منا، ولن ينصروا علينا وإن أذنبنا، فكم من قوم قد سلط ـ أو سخط ـ عليهم بأشرّ منهم لذنوبهم، وسلوا الله العون علىٰ أنفسكم كما تسألونه العون علىٰ عدوكم، نسأل الله ذلك لنا ولكم، وارفق بمن معك في مسيرهم فلا تجشمهم مسيراً يتعبهم، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم، حتىٰ يلقوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم ولا كراعهم، فإنكم تسيرون إلىٰ عدو مقيم جامع الأنفس والكراع، وإلا ترفقوا بأنفسكم وكراعكم في مسيركم يكن لعدوكم فضل في القوة عليكم في إقامتهم في جمام الأنفس والكراع، والله المستعان.

المؤمن والناس

قال ميمون بن مهران: ما أقل أكياس الناس، لا يبصر الرجل أمره حتىٰ ينظر إلىٰ الناس وإلىٰ ما أمروا به، وإلىٰ ما قد أكبوا عليه من الدنيا.

فيقول: ما هؤلاء إلا أمثال الأباعر التي لا همّ لها إلا ما تجعل في أجوافها، حتىٰ إذا أبصر غفلتهم نظر إلىٰ نفسه، فقال: والله إني لأراني من شرّهم بعيراً واحداً.

خصال الإيمان

قال عبدالله بن عمر: قال لي عمر رضي الله عنهما: عليك بخصال الإيمان:

الصوم في شدة الصيف.

وضرب الأعداء بالسيف.

وتعجيل الصلاة في يوم الغيم.

في الصدق النجاة

خرج الشعبي مع ابن الأشعث علىٰ الحجاج، فظهر الحجاج علىٰ ابن الأشعث فاستشار الشعبي أصحابه، فأشاروا عليه بالاعتذار.

قال الشعبي: فلما دخلت خالفت مشورتهم، ورأيت والله غير الذي قالوا فسلمت عليه بالإمارة ثم قلت: أيد الله الأمير، إن الناس قد أمروني أن أعتذر بغير ما يعلم الله أنه الحق، ولك الله ألا أقول في مقامي هذا إلا الحق. قد جهدنا وحرضنا فما كنا بالأقوياء الفجرة، ولا الأتقياء البررة، ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا، فإن سطوت فبذنوبنا، وإن عفوت فبحلمك، والحجة لك علينا.

قال الحجاج: أنت والله أحب إلينا قولاً ممن يدخل علينا وسيفه يقطر من دمائنا ويقول: والله ما فعلت، ولا شهدت، أنت آمن يا شعبي فقلت: أيها الأمير، اكتحلت والله بعدك السهر، واستجلست الخوف لزمته ولم أفارقه وقطعت الإخوان، ولم أجد من الأمير خلفاً. قال: صدقت، وانصرفت.

من صفات الكفار والمنافقين

نقض الأيمان بعد توكيدها:

قال الله تعالىٰ: ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾ [النحل: ٩١].

اتخاذ الأيمان وسيلة للخداع والتأثير علىٰ الناس:

قال الله تعالىٰ: ﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها﴾ [النحل: ٩٤].

تحريف الكتاب:

قال الله تعالىٰ: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله﴾ [البقرة: ٧٩].

الأمر بالمنكر، والنهي عن المعروف، والبخل:

قال الله تعالىٰ: ﴿يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم﴾ [التوبة: ٦٧].

الطمع والجشع والغش في التجارة:

قال الله تعالىٰ: ﴿إذا اكتالوا علىٰ الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾ [المطففين: ٢-٣].

قسوة القلب عند ذكر الله:

قال الله تعالىٰ: ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾ [الزمر: ٢٢].

ذنوب ومغفرة

كان عون بن عبدالله يبكي ويقول:

سبحانك خالقي أنا الذي لم أزل لك عاصياً فمن أجل خطيئتي لا تقرّ عيني، وهلكتُ إن لم تعف عني، سبحانك خالقي بأي وجه ألقاك؟ وبأي قدم أقف بين يديك؟ وبأي لسان أناطقك؟ وبأي عين أنظر إليك؟ وأنت قد علمتَ سرائر أمري، وكيف أعتذر إليك إذا ختمتَ علىٰ لساني، ونطقتْ جوارحي بكل الذي قد كان مني.

سبحانك خالقي فأنا تائب إليك خائف، فاقبل توبتي، واستجب دعائي وارحم شبابي، وأقلني عثرتي، وارحم طول عبرتي، ولا تفضحني بالذي قد كان مني.

سبحانك خالقي أنت غياث المستغيثين، وقرة أعين العابدين، وحبيب قلوب الزاهدين، فإليك مستغاثي ومنقطعي، فارحم شبابي، واقبل توبتي، واستجب دعوتي، لا تخذلني بالمعاصي التي كانت مني.

إلٰهي علمتني كتابك الذي أنزلته علىٰ رسولك محمد ﷺ، ثم وقعت علىٰ معاصيك وأنت تراني، فمن أشقىٰ مني إذا عصيتك وأنت تراني، وفي كتابك المنزل قد نهيتني، إلٰهي أنا إذا ذكرت ذنوبي ومعاصيَّ لم تقر عيني للذي كان مني، فأنا تائب إليك فاقبل ذلك مني، ولا تجعلني لنار جهنم وقوداً بعد توحيدي، وإيماني بك، فاغفر لي ولوالديَّ ولجميع المسلمين برحمتك آمين يا رب العالمين.

نذير الموت

لا تَعجبَنَّ مِنَ الأيّام والدّوَلِ
ومن خُطوبٍ جرت بالرّيثِ والعجل
مَنْ يأْمَن الموتَ إذ صارَت له عِلَل
تكون في الزُّبد أحياناً وفي العسل
وليس شيءٌ وإن طال الزّمان به
إلّا سيفنىٰ علىٰ الآفاتِ والعِلَل
أما الجديدان في صرْفِ اختلافِهما
فإن وَجدتَ مقالاً فيهما فقُل
وقد أتاك نذير الموتِ يقدُمُهُ
في عَارضيك مشيبٌ غير مُنتَقِلِ
يا للّيالي وللأيام إنّ لها
في الخلقِ خطفاً كخطفِ البرق في مهل
ماذا يقولُ امرُؤٌ ليست له قَدَم
يومَ العَناءِ ويوم الكَبْوِ والزّلَلِ

من ديوان أبي العتاهية

الأسوة الحسنة

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بالسوق والنَّاس تكتنفه فمرَّ بجدي أسكَّ ميِّت فتناوله فأخذ بأذنه ثُمَّ قال:

«أيكم يحب أن يكون هذا له بدرهم؟» فقالوا: ما نحب أنَّه لنا بشيء وما نصنع به؟ ثم قال: «أتحبُّون أنَّه لكم؟» قالوا: والله لو كان حيًّا كان عيباً إنَّه أسك فكيف وهو ميت! فقال:

«فو الله للدُّنيا أهون علىٰ الله من هذا عليكم» رواه مسلم.

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول الله ﷺ علىٰ حصير فقام وقد أثَّر في جنبه قلنا: يا رسول الله لو اتَّخذنا لك وطاء. فقال:

«ما لي وللدُّنيا؟ ما أنا في الدُّنيا إلَّا كراكب استظلَّ تحت شجرة ثمَّ راح وتركها» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

الطمع هلاك

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

الهوىٰ شريك العمىٰ، ومن التوفيق سعة الرزق، نِعْمَ طارد الهموم اليقين، وفي الصدق النجاة، عاقبة الكذب شر عاقبة.

رُبّ بعيد أقرب من قريب، ورُبَّ قريب أبعد من بعيد، والغريب من لم يكن له حبيب، من تعدىٰ الحق ضاق مذهبه، من اقتصر علىٰ قدره كان أبقىٰ له.

وأوثق العرىٰ التقوىٰ، من أعتبك قد هوىٰ، وقد يكون اليأس إدراكاً إذا كان الطمع هلاكاً، كم من مريب قد شقي به غيره ونجا هو من البلاء.

جانيك من يجني عليك، وقد تعدىٰ الصحاح مبارك الجرب، وليس كل عورة تظهر، ربما أخطأ البصير قصده، وأصاب الأعمىٰ رشده.

زيادة الدنيا ونقصان الآخرة

قال عون بن عبدالله: إن الحلم والحياء والفقه من الإيمان، وهن مما ينقصن من الدنيا ويزدن في الآخرة، وما يزدن في الآخرة أكثر مما ينقصن من الدنيا، ألا وإن البذاء والجفاء والبيان من النفاق، وهنّ مما يزدن في الدنيا وينقصن من الآخرة، وما ينقصن من الآخرة أكثر مما يزدن في الدنيا.

الجوع أخرجهم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال:

«**ما أخرجكما من بيوتكما هذه السَّاعة؟**» قالا: الجوع يا رسول الله. قال: «**وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما قُوما**» فقاما معه فأتىٰ رجلاً من الأنصار فإذا هو ليسه في بيته، فلمَّا رأته المرأة قالت: مرحباً وأهلاً.

فقال لها رسول الله ﷺ: «**أين فلان؟**» قالت: ذهب يستعذب لنا الماء إذ جاء الأنصاريُّ فنظر إلىٰ رسول الله ﷺ وصاحبيه ثم قال: الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني، فانطلق فجاءهم بعذق فيه بُسر وتمر ورطب فقال: كلوا وأخذ المدية، فقال له رسول الله ﷺ: «**إياك والحلوب**» فذبح لهم فأكلوا من الشَّاة ومن ذلك العذق وشربوا.

فلمَّا أن شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما:

«والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النَّعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثمَّ لم ترجعوا حتَّىٰ أصابكم هذا النعيم» رواه مسلم.

من صفات الكفار والمنافقين

العداء للحق والنور:

قال تعالىٰ: ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره﴾ الصف: ٨].

مقاطعة الأهل والإفساد في الأرض:

قال الله تعالىٰ: ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل، ويُفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ [الرعد: ٢٥].

القتل بغير حق:

قال الله تعالىٰ: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها﴾ [النساء: ٩٣].

﴿ومن قتل نفساً بغير نفسٍ أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً﴾ [المائدة: ٣٢].

أن يقول الإنسان ما لا يفعل:

قال الله تعالىٰ: ﴿لم تقولون ما لا تفعلون؟! كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ [الصف: ٢-٣].

أن يبخل الإنسان ويأمر الناس بالبخل:

قال الله تعالىٰ: ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله﴾ [النساء: ٣٧].

مطالب عالية

رأىٰ ذو النون المصري امرأة في بعض سواحل الشام.

فقـال لها: من أين أقبلت رحمك الله؟

قالت: من عند أقوام تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً.

قال: وأين تريدين؟

قالت: إلىٰ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

قال: صفيهم لي.

قالت:

قومٌ همومُهـمُ بالله عُلِّقـتْ
فما لهم همٌ تسـمـو إلىٰ أحـد

فمـطلب الـقـوم ملاذهـم وسيـدهـم
يا حسـن مطلبـهم للواحـد الـصـمـد

ما إن تنـازعـهـم دنـيـا ولا شرف
من المـطاعـم والـلذات والـولـد

ولا للبس ثياب فائق أنق
ولا لروح سرور حلَّ في بلد
إلا مسارعة في إثر منزلة
قد قارب الحظو فيها باعد الأبد
فهو رهائن عذران وأودية
وفي الشوامخ تلقاهم مع العدد

لا تخف الفقر

عن عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه قال: إنَّ رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجرَّاح إلىٰ البحرين يأتي بجزيتها. وكان رسول الله ﷺ، صالح أهل البحرين، وأمَّر عليهم العلاء بن الحضرميِّ.

فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة، فوافقت صلاة الصبح مع النبي ﷺ فلمَّا صلَّىٰ بهم الفجر انصرف، فتعرَّضوا له، فتبسَّم رسول الله ﷺ حين رآهم.

وقال: «**أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء**» قالوا: أجل يا رسول الله! قال:

«**فأبشروا وأمِّلوا ما يسركم، فوالله لا الفقر أخشىٰ عليكم، ولكن أخشىٰ عليكم أن تُبسط عليكم الدُّنيا كما بُسطت علىٰ من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتُهلككم كما أهلكتهم**» رواه البخاري ومسلم.

من صفات المؤمنين

الجنوح للسَّلم عند الجنوح لها:
قال الله تعالىٰ: ﴿**وإن جنحوا للسَّلم فاجنح لها وتوكل علىٰ الله**﴾ [الأنفال: ٦١].

التعفف عما في أيدي الناس والاستعانة بما عند الله:
قال الله تعالىٰ: ﴿**يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف**﴾ [البقرة: ٢٧٣].

الصبر في مواجهة الشدائد والآلام:
قال الله تعالىٰ: ﴿**والصابرين في البأساء، والضراء، وحين البأس**﴾ [البقرة: ١٧٧].

أداء الأمانة لأهلها:
قال الله تعالىٰ: ﴿**فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه**﴾ [البقرة: ٢٨٣].

اتقاء شح النفس والتغلب علىٰ نوازعها غير الخيرة:
قال الله تعالىٰ: ﴿**ومن يوق شحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾ [التغابن: ١٦].

الاعتدال في جميع الأمور فلا تبذير ولا تقتير:
قال الله تعالىٰ: ﴿**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً**﴾ [الفرقان: ٦٧].

درء السيئة بالحسنة:
قال الله تعالىٰ: ﴿**ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبىٰ الدار**﴾ [الرعد: ٢٢].

المعصية مهلكة

عن يحيىٰ بن يعمر أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه خطب الناس فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال:

يا أيها الناس! إنما هلك من كان قبلكم بركوبهم المعاصي، ولم ينههم الربانيون والأحبار فأنزل الله بهم العقوبات.

ألا فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، قبل أن ينزل بكم الذي نزل بهم، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقاً، ولا يُقرّب أجلاً.

إن الأمر ينزل من السماء إلىٰ الأرض كقطر المطر إلىٰ كل نفس، فإذا أصاب أحدكم النقصان في أهل أو مال أو نفس ورأىٰ لغيره وغيره فلا يكونن ذلك له فتنة، فإن المرء المسلم ما لم يغش دناءة يظهر تخشعاً لها إذا ذُكرت.

فكذلك المرء المسلم البريء من الخيانة إنما ينتظر إحدىٰ الحسنيين إذا ما دعا الله، فما عند الله هو خيرٌ له، وإما أن يرزقه الله مالاً هو ذو أهل ومال.

الحرث حرثان: المال والبنون حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعها الله لأقوام. قال سفيان بن عيينة: ومن يحسن يتكلم بهذا الكلام إلا علي بن أبي طالب؟

التمسك بالقرآن

خطب عمر بن عبدالعزيز رحمه الله هذه الخطبة وكانت آخر خطبة خطبها فقام فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال:

إنكم لم تخلقوا عبثاً، ولم تتركوا سدىٰ، وإن لكم معاداً ينزل الله فيه ليحكم بينكم ويفصل بينكم، وخاب وخسر من خرج من رحمة الله وحرم جنة عرضها السموات والأرض، ألم تعلموا أنه لا يأمن غداً إلا من حذر الله اليوم وخافه وباع نافداً بباق، وقليلاً بكثير، وخوفاً بأمان.

ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وستصير من بعدكم للباقين، وكذلك حتىٰ تردوا إلىٰ خير الوارثين، ثم إنكم تشيعون كل يوم غادياً ورائحاً، قد قضىٰ نحبه، وانقضىٰ أجله، حتىٰ تغيبوه في صدع من الأرض، في شق صدع، ثم تتركوه غير ممهد ولا موسد، فارق الأحباب، وباشر التراب، ووجه للحساب، مرتهن بما عمل غني عما ترك، فقير إلىٰ ما قدم.

فاتقوا الله وموافاته وحلول الموت بكم، أما والله إني لأقول هذا وما أعلم عند أحد حاجته لا يسع له ما عندنا إلا تمنيت أن يبدأ بي وبخاصتي حتىٰ

يكون عيشنا وعيشه واحداً، أما والله لو أردت غير هذا من غضارة العيش لكان اللسان به ذلولاً، وكنت بأسبابه عالماً، ولكن سبق من الله كتاب ناطق، وسنة عادلة، دلّ فيها علىٰ طاعته، ونهىٰ فيها عن معصيته ثم رفع طرف ردائه فبكىٰ وأبكىٰ من حوله.

الرجال والمصائب

حكي عن معن بن زائدة الشيباني، أنه أتي بجملة من الأسرى، فعرضهم على السيف.

فقال له بعضهم: أصلح الله الأمير، نحن أسراك، وبنا جوع وعطش، فلا تجمع علينا الجوع العطش والقتل! فأمر لهم بطعام وشراب، فأكلوا وشربوا، ومعن ينظر إليهم، فلما فرغوا قال أحدهم:

أصلح الله الأمير: كنا أسراك، ونحن الآن أضيافك، فانظر ماذا تصنع بأضيافك؟

قال: قد عفوت عنكم.

فقال الرجل: أيها الأمير! ما ندري أي يوم أشرف؟ يوم ظفرك بنا، أو يوم عفوك عنا؟ فأمر لهم بمال وكسوة!!.

وصية بالذهب

قال أبان بن تغلب: شهدت أعرابية توصي ولداً لها يريد سفراً وتقول له: أي بُنيّ اجلس أمنحك وصيتي وبالله توفيقك، فإن الوصية أجدى عليك من كثير عقلك، ثم قالت:

إياك والنميمة فإنها تزرع الضغينة وتفرق بين المحبين، وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضاً، وخليق ألا يثبت الغرض على كثرة السهام، وقلّما اعتورت السهام غرضاً إلا كلمته حتىٰ يهيء ما اشتد من قوته.

وإياك والجود بدينك والبخل بمالك، وإذا هززت فاهزز كريماً يلين لهزتك، ولا تهز اللئيم، فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها، ومثل لنفسك مثال من استحسنت من غيرك فاعمل به، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه، فإن المرء لا يرىٰ عيب نفسه، ومن كانت مودته بشره وخالف ذلك منه فعله كان صديقه منه على مثل الريح في تصرفها، والغدر أقبح ما تعامل به الناس بينهم.

أرض الله واسعة

عن ميمون بن مهران قال: سمعت ابن عباس يقول: ما بلغني عن أخ مكروه قط إلا أنزلته إحدى ثلاث منازل: إن كان فوقي عرفت له قدره، وإن كان نظيري تفضلت عليه، وإن كان دوني لم أحفل به. هذه سيرتي في نفسي، فمن رغب عنها فأرض الله واسعة.

المرء يأمل والآمال كاذبة

إنّ السّلامةَ أن نرضىٰ بما قُضِينا
ليَسْلَمَنّ بإذْن الله مَن رَضِينا
المرءُ يأمُلُ والآمالُ كاذِبَةٌ
والمرءُ تصحَبُهُ الآمالُ ما بَقِينا
يا رُبّ باكٍ علىٰ مَيْتٍ وباكِيَةٍ
لم يلبثا بعد ذاك الَميتِ أن بكيا
ورُبّ ناعٍ نعى حِيناً أحبّتَهُ
ما زالَ يَنْعىٰ إلىٰ أن قيلَ قد نُعِيا
عِلمي بأنّي أذوقُ الموتَ نغّصَ لي
طِيبَ الحياةِ فما تَصفو الحياةُ لِيا
كم من أخٍ تغتذي دودُ التّرابِ بِهِ
وكانَ صَبًّا بحُلو العَيش مُغتَذيا

من ديوان أبي العتاهية

الاستعداد للرحيل

يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالىٰ في كتابه «صيد الخاطر»:

إني أعجب من عاقل يرىٰ استيلاء الموت علىٰ أقرانه وجيرانه كيف يطيب عيشه، خصوصاً إذا علت سنه.

واعجباً لمن يرىٰ الأفاعي تدب إليه وهو لا ينزعج، أما يرىٰ الشيخ دبيب الموت في أعضائه، قد أخرج سكين القوىٰ وأنزل أسباب الضعف، وقلب السواد بياضاً، ثم في كل يوم يزيد الناقص.

ففي نظر العاقل إلىٰ نفسه ما يشغله عن النظر إلىٰ خراب الدنيا وفراق الإخوان، وإن كان ذلك مزعجاً.

ولكن شغل من احترق بيته بنقل متاعه يلهيه عن ذكر بيوت الجيران، وإنه لما يُسلي عن الدنيا ويهون فراقها استبدال المعارف ثم تنكره لمن حوله أو تنكرهم له.

فقد رأينا أغنياء كانوا يؤثرون، وفقراء كانوا يصبرون، ومحاسبين لأنفسهم يتورعون، فاستبدل السفهاء عن العقلاء، والبخلاء عن الكرماء، فيا سهولة الرحيل، لعل النفس تلقىٰ من فقدت، فتلحق بمن أحبت.

النصيحة والغيبة

قال حاتم الأصم:
إذا رأيت من أخيك عيباً فإن كتمت عنه فقد خنته.
وإن قلته لغيره فقد اغتبته.
وإن واجهته به أوحَشْته.
فقال: كيف أصنع؟.
قال: تكني عنه وتعرض به وتجعله في جملة الحديث.

إخلاص السريرة

قال أحد العلماء: من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن أخلص سريرته أخلص الله علانيته، واجتمعت العرب والعجم علىٰ أربع كلمات: قالوا:

لا تحملنَّ علىٰ قلبك ما لا يُطيق.
ولا تعملنَّ عملاً ليس لك فيه منفعة.
ولا تثق بجاهل.
ولا تغترّ بمال وإن كثر.

لكل سفر زاد

يروىٰ أن عمر بن عبدالعزيز رحمه الله قال في بعض خطبه:

إن لكل سفر زاداً لا محالة، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلىٰ الآخرة التقوىٰ، وكونوا كمن عاين ما أعدّ الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسىٰ قلوبكم، وتنقادوا لعدوكم، فإنه والله لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه، ولا يمسي بعد صباحه، ولربما كانت بين ذلك خطفات المنايا.

فكم رأيت ورأيتم من كان بالدنيا مغتراً، وإنما تقرّ عين من وثق بالنجاة من عذاب الله، وإنما يفرح من أمن من أهوال يوم القيامة.

أعوذ بالله أن آمركم بما أنسي عنه نفسي فتخسر صفقتي، وتظهر غيلتي، وتبدو مسكنتي، في يوم يبدو فيه الغنىٰ والفقر، والموازين منصوبة، ولقد عنيتم بأمر لو عنيت به النجوم لانكدرت، ولو عنيت به الجبال لذابت، ولو عنيت له الأرض لتشققت، أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة، وإنكم سائرون إلىٰ إحداهما.

الدنيا لا تساوي شربة ماء

دخل بعض الفقراء علىٰ الرشيد العباسي، وتاجه يومئذٍ سبيكة العصر الـذهبي في تاريخ الإسـلام، والإسلام يومئذ ترتجف به دفتا الشرق والغرب، وكأن الشمس والقمر يتلألآن علىٰ أرجاء ملكه ذهباً وفضة.

وكانت في يد الرشيد كأس ماء وقد رفعها إلىٰ فمه، فلما أبصر ذلك الرجل الفقير الذي لا يملك شيئاً أمسك ثم قال له: عظني.

قال: أرأيت يا أمير المؤمنين لو مُنعت عنك هذه الشربة التي في يدك أفكنت تطلبها بكل ملكك؟

قال: نعم.

قال الرجل الصالح: فانظر يا أمير المؤمنين! ما قيمة ملك لا يُساوي عند الله قدر شربة!

ديوان الحسنات والسيئات

قال عون بن عبدالله: يخرج لابن آدم يوم القيامة دواوين، ديوان فيه

الحسنات، وديوان فيه السيئات، وديوان فيه النعم، فلا تخرج حسنة إلا خرجت نعمة تستوعبها، وتبقىٰ السيئات لله فيها المشيئة.

اعملوا وأبشروا

قال عمر بن البكالي: يا أيها الناس! اعملوا وأبشروا، فإن فيكم ثلاثة أعمال ليس منهن عمل إلا وهو يوجب لأهله الجنة، قالوا: وما هنَّ؟

قال: رجل يُلقىٰ في الفتنة فينصب نحره حتىٰ يراق دمه، فيقول الله لملائكته: ما حمل عبدي علىٰ ما صنع؟ يقولون: ربنا رجّيتَه شيئاً فرجاه، وخوّفْته شيئاً فخافه، فيقول: فإني أشهدكم أني أوجبت له ما رجا، وآمنته مما يخاف.

قال: ورجل يقوم في الليلة الباردة من دفئه وفراشه إلىٰ الوضوء والصلاة فيقول الله لملائكته: ما حمله علىٰ ما صنع؟ يقولون: ربنا! أنت أعلم، يقول: أنا أعلم، ولكن أخبروني ما حمله علىٰ ما صنع، يقولون: ربنا! رجّيتَه شيئاً فرجاه، وخوّفتَه شيئاً فخافه، قال: أشهدكم أني قد أوجبت له ما رجا، وآمنته مما يخاف.

قال: والقوم يكونون جميعاً، فيقرأ الرجل عليهم القرآن فيبكون، فيقول الله لملائكته: ما حمل عبادي هؤلاء علىٰ ما صنعوا؟ يقولون: ربنا أنت رجّيتَهم شيئاً فرجوه، وخوّفتهم شيئاً فخافوه، فيقول: إني أشهدكم أني قد أوجبت لهم ما رجوا، وآمنتهم مما خافوا. أخرجه ابن منده، والبغوي وابن عساكر.

البخل والنفاق

البخلاء:

قال الله تعالى: ﴿والذين يكنـزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾[التوبة: ٣٤].

من يقفون في وجه العدالة ويقتلون حراسها:

قال الله تعالى: ﴿ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم﴾[آل عمران: ١٣٨].

المنافقون:

قال الله تعالى: ﴿بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليماً﴾ [النساء: ١٣٨].

من يصم أذنيه عن سماع كلام الله ويعرض عنه مستكبرا:

قال الله تعالى: ﴿وإذا تُتْلى عليه آياتُنا ولّى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقْراً فبشره بعذاب أليم﴾[لقمان: ٧].

الخير والشر

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

ألا إن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر وإن الآخرة أجل صادق يقضي فيها ملك قادر، ألا! وإن الخير كله بحذافيره في الجنة، ألا! وإن الشر كله بحذافيره في النار، ألا! فاعلموا وأنتم من الله علىٰ حذر واعلموا أنكم معروضون علىٰ أعمالكم، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.

حتى متى تصبو ؟

حتـىٰ متـىٰ تصْبُـو ورأسُـك أشـمَطُ
أَحَسِبْتَ أنّ المَـوْتَ في اسمِـكَ يَغلط
أمْ لسـتَ تحسـبُـهُ عليـك مُسـلَّطاً
وبـلىٰ وربِّـك إنّـهُ لُمسَـلَّط
ولـقـد رأيْـتَ المـوْتَ يفْـرصُ تارَة
جُثَـثَ المُـلُوكِ وتـارةً يتـخـبّط
فتـآلَـفِ الخُـلاّنِ مُفْـتَـقِـداً لهم
سَتَـشِطّ عمّـن تألـفـنّ وتـشـحط
وكـأنّـني بكَ بيْـنَهُـم واهـي الـقُـوىٰ
نِضْـواً تقـلَّصُ بيـنُهـم وتـبـسَّط
وكـأنّـني بكَ بيـنَهُـم خَفِـقَ الحـشـا
بالمَـوْتِ في غَمَـراتِـهِ يتـشـحّط
وكـأنّـني بكَ في قمـيصٍ مُدْرَجـاً
في ربْـطَتَـيـنِ مُلفَّـفٌ ومُخَـيَّطُ
لا رَبْـطَتَـيـنِ كرَبْـطَتَيْ مُتَـنَـسِّـمٍ
رُوحَ الحـيـاةِ وَلا الـقَـمـيصُ مُخَيَّطُ

من ديوان أبي العتاهية

أقوال مأثورة

عن أبي عيسىٰ الخراساني عن سعيد بن المسيِّب قال: «لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم، لكيلا تحبط أعمالكم الصالحة».

وقال رحمه الله تعالىٰ: «من استغنىٰ بالله افتقر الناس إليه».

وقال رحمه الله تعالىٰ: «الدنيا نذلة، وهي إلىٰ كل نذل أميل، وأنذل منها من أخذها من غير وجهها، ووضعها في غير سبيلها».

وقال رحمه الله تعالىٰ: «إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه».

وقال رحمه الله تعالىٰ: «من كان فضله أكثر من نقصه، وهب نقصه لفضله».

وقال رحمه الله تعالىٰ: «يد الله فوق عباده، فمن رفع نفسه وضعه الله، ومن وضعها رفعه الله، الناس تحت كنفه يعملون أعمالهم، فإذا أراد الله فضيحة عبد أخرجه من تحت كنفه، فبدت للناس عورته».

وقال رحمه الله تعالىٰ: «لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله، يعطي منه حقه، ويكف به وجهه عن الناس».

وقال رحمه الله تعالىٰ: «لا خير فيمن لا يحب هذا المال، يصل به رحمه، ويؤدي به أمانته، ويستغني به عن خلق ربه».

وقال رحمه الله تعالىٰ: «ما يئس الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء».

وقال رحمه الله تعالىٰ: «لا تقولن: مُصَيحف، ولا مُسَيجد، ولكن عظموا ما عظم الله، كل ما عظم الله فهو عظيم حسن».

عن علي بن زيد، قال: «رآني سعيد بن المسيِّب ـ وعلي جبة خز ـ فقال: إنك لجيد الجبة. قلت: وما تغني عني، وقد أفسدها علي سالم، فقال سعيد: أصلح قلبك، والبس ما شئت».

قال بُرْد ـ مولىٰ ابن المسيِّب ـ: «ما رأيت أحسن ما يصنع هؤلاء! قال سعيد: وما يصنعون؟ قال: يصلي أحدهم الظهر، ثم لا يزال صافاً رجليه يصلي حتىٰ العصر. فقال سعيد: ويحك يا برد، أما والله ما هي العبادة، تدري ما العبادة؟ إنما العبادة: التفكر في أمر الله، والكف عن محارم الله».

قال سعيد بن عبدالعزيز: «لما احتضر عبدالملك أمر بفتح الأبواب من قصره، فلما فتحت، سمع قصاراًبالوادي، فقال: ما هذا؟ فقيل له: إنه قصار، فقال: يا ليتني كنت قصّاراً، أعيش من عمل يدي، فلما بلغ سعيد بن المسيِّب قوله قال: الحمد لله الذي جعلهم عند موتهم، يفرون إلينا ولا نفر إليهم».

قال يحيىٰ بن سعيد: كان سعيد بن المسيِّب يكثر أن يقول: «اللهم سلِّمْ سلِّم».

فوائد عظيمة

من لم ينتفع بعينه لم ينتفع بأذنه.

للعبد ستر بينه وبين الله وستر بينه وبين الناس، فمن هتك الستر الذي بينه وبين الله هتك الله الستر الذي بينه وبين الناس.

للعبد رب هو ملاقيه وبيت هو ساكنه، فينبغي له أن يسترضي ربه قبل لقائه ويعمر بيته قبل انتقاله إليه.

إضاعة الوقت أشد من الموت، لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها.

الدنيا من أولها إلى آخرها لا تساوي غم ساعة، فكيف بغم العمر؟

محبوب اليوم يعقب المكروه غداً، ومكروه اليوم يعقب المحبوب غداً.

أعظم الربح في الدنيا أن تشغل نفسك كل وقت بما هو أولى بها وأنفع لها في معادها.

كيف يكون عاقلا من باع الجنة بما فيها بشهوة ساعة؟

يخرج العارف من الدنيا ولم يقض وطره من شيئين: بكاؤه على نفسه، وثناؤه على ربه.

المخلوق إذا خفته استوحشت منه وهربت منه، والرب تعالى إذا خفته أنست به وقربت إليه.

لو نفع العلم بلا عمل لما ذم الله سبحانه أحبار أهل الكتاب، ولو نفع العمل بلا إخلاص لما ذم المنافقين.

دافع الخطرة، فإن لم تفعل صارت فكرة. فدافع الفكرة، فإن لم تفعل صارت شهوة. فحاربها، فإن لم تفعل صارت عزيمة وهمة، فإن لم تدافعها صارت فعلاً، فإن لم تتداركه بضده صار عادة فيصعب عليك الانتقال عنها.

عليك بخمس

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

عليكم بخمس، لو رحلتم فيهنَّ المطيَّ لأنضيتموهن قبل أن تدركوا مثلهن: لا يرجو عبد إلا ربه، ولا يخافنَّ إلا ذنبه، ولا يستحيي من لا يعلم أن يتعلم، ولا يستحيي عالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم.

واعلموا أن منزلة الصبر من الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، وإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان.

النية والعمل

قام أبو بكر رضي الله عنه في الناس خطيباً فحمد الله تعالىٰ وصلىٰ علىٰ رسوله ﷺ وقال:

ألا! إنَّ لكل أمر جوامع، فمن بلغها فهو حسبه، ومن عمل لله عز وجل كفاه الله.

عليكم بالجد والقصد، فإن القصد أبلغ، ألا! إنه لا دين لأحد لا إيمان له، ولا أجر لمن لا حسبة له، ولا عمل لمن لا نية له.

ألا! وإن لكتاب الله من الثواب علىٰ الجهاد في سبيل الله ما ينبغي للمسلم أن يُحب أن يخصه، هي النجاة التي دلّ الله عليها، ونجا بها من الخزي، وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة.

معاتبة النفس

يقول عون بن عبدالله رحمه الله تعالىٰ مخاطباً نفسه:

يا نفس ويحك! ألا تستفيقين مما أنت فيه؟
إن سقمت تندمين، وإن صححت تأثمين، مالك؟
إن افتقرت تحزنين، وإن استغنيت تفتنين، مالك؟
إن نشطت تزهدين، فلم إن دعيت تكسلين؟
أراك ترغبين قبل أن تنصبي، فلم لا تنصبين فيما ترغبين؟
يا نفس ويحك! لم تخالفين؟
تقولين في الدنيا قول الزاهدين، وتعملين فيها عمل الراغبين، ويحك! لم تكرهين الموت؟
لم لا تذعنين وتحبين الحياة، لم لا تصنعين؟
يا نفس ويحك! أترجين أن ترضي ولا تراضين، وتجانبين وتعصين، مالك؟
إن سألت تكثرين، فلم إن أنفقت تقترين؟

أتريدين الحياة؟ ولم تحذرين بتغير الزيادة، ولم تشكرين، تعظمين في الرهبة حين تسألين، وتقصرين في الرغبة حين تعملين، تريدين الآخرة بغير عمل، وتؤخرين التوبة لطول الأمل.

لا تكوني كمن يقال هو في القول مدل، ويستصعب عليه الفعل، بعض بني آدم إن سقم ندم، وإن صح أمن، وإن افتقر حزن، وإن

استغنىٰ فتن، وإن نشط زهد، وإن رغب كسل، يرغب قبل أن ينصب، ولا ينصب بما يرغب.

يقول قول الزاهد، ولا يعمل عمل الراغب، يكره الموت لما لا يدع، ويحب الحياة لما لا يصنع، إن سأل أكثر، وإن أنفق قتر، يرجو الحياة ولم يحذر، ويبغي الزيادة ولم يشكر، يبلغ في الرغبة حين يسأل، ويقصر في الرغبة حين يعمل، يرجو الأجر بغير عمل.

البكاء والحزن

يقول عبدالله بن مسعود:

ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذ الناس نائمون وبنهاره إذ الناس مفطرون وبحزنه إذ الناس يفرحون وببكائه إذ الناس يضحكون وبصمته إذ الناس يخوضون وبخشوعه إذ الناس يختالون وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزوناً حكيماً حليماً سكيناً.

الحكمة مع الناس

قال عكرمة: قال لي ابن عباس: انطلق فأفت الناس فأنا لك عون، قال: قلت: لو أن الناس مثلهم بين لأفتيتهم، قال: انطلق فأفت الناس، فمن جاءك يسألك عما يعنيه فأفته، ومن سألك عما لا يعنيه فلا تفته، فإنك تطرح عنك ثلثي مؤونة الناس.

خير الزاد التقوى

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في موعظة بليغة:

أيها الناس! أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب بالله، وأوثق العرىٰ كلمة التقوىٰ، وخير المِلَل ملة إبراهيم، وخير السنن سنة محمد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عوازمها، وشر الأمور محدثاتها، وأحسن الهدي هدي الأنبياء.

وأشرف الموت قتل الشهداء، وأعمىٰ العمىٰ الضلالة بعد الهدىٰ، وخير العلم ما نفع، وخير الهدىٰ ما اتبع، وشرّ العمىٰ عمىٰ القلب، واليد العليا خير من اليد السفلىٰ، وما قل وكفىٰ خير مما كثر وألهىٰ، وشرّ المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة ندامة يوم القيامة، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دبراً، ومنهم من لا يذكر الله إلا هجراً.

وأعظم الخطايا اللسان الكذوب، وخير الغنىٰ غنىٰ النفس، وخير الزاد التقوىٰ، ورأس الحكمة مخافة الله، وخير ما وقر في القلب اليقين، والارتياب من الكفر، والنياحة من عمل الجاهلية، والغلول من جثىٰ جهنم، والكنز كي من النار، وشر المكاسب كسب الربا، وشر المآكل مال اليتيم.

والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من شقي في بطن أمه، وإنما يصير أحدكم إلىٰ موضع أربع أذرع، والأمر إلىٰ آخره، وملاك العمل خواتمه،

وشر الروايا روايا الكذب، وكل ما هو آت قريب، وسباب المسلم فسوق، وقتال المؤمن كفر، وأكل لحمه من معصية الله، وحرمة ماله كحرمة دمه.

ومن يتألَّ علىٰ الله يكذِّبه، ومن يغفر يغفر الله له، ومن يعفو يعفو الله عنه، ومن يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يصبر علىٰ المصيبة يعوضه الله، ومن يتبع السمعة يسمع الله به، ومن يصبر يُضعف الله له، ومن يعص الله يعذِّبه الله، أستغفر الله لي ولكم.

بادروا بالأعمال

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«بادروا بالأعمال سبعاً هل تنتظرون إلّا فقراً مُنسياً، أو غنىً مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مُفنداً، أو موتاً مجهزاً أو الدّجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمرّ؟!» رواه الترمذي وقال حديث حسن.

الذل والشرف

قيل لامرأة: ما الجرح الذي لا يندمل؟
قالت: حاجة الكريم إلىٰ اللئيم ثم يرده.
قيل لها: فما الذل؟
قالت: وقوف الشريف بباب الدنيء ثم لا يؤذن له.
قيل لها: فما الشرف؟
قالت: اتخاذ المنن في رقاب الرجال.

العمر فرصة

يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالىٰ في كتابه «صيد الخاطر»:

من عجائب ما أرىٰ من نفسي ومن الخلق كلهم، الميل إلىٰ الغفلة عما في أيدينا مع العلم بقصر العمر، وأن زيادة الثواب هناك بقدر العمل ههنا.

فيا قصير العمر اغتنم يومي مني، وانتظر ساعة النفر، وإياك أن تشغل قلبك بغير ما خلق له.

واحمل نفسك علىٰ المرِّ واقمعها إذا أبت، ولا تسرح لها في الطول، فما أنت إلا في مرعىٰ.

وقبيح بمن كان بين الصفين أن يتشاغل بغير ما هو فيه.

أكثر ذكر النار

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: كان عمر يقول:
أكثروا ذكر النار، فإن حرَّها شديد.
وإن قعرها بعيد.
وإن مقامها حديد.

أبواب الجنة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة».

قال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يُدعىٰ أحد من تلك الأبواب كلها؟ فقال: **«نعم. وأرجو أن تكون منهم»**.

رواه البخاري ومسلم.

إفشاء السر

ذكر العُتبي أن معاوية أسَرَّ إلى عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان حديثاً، قال عثمان: فجئت إلىٰ أبي فقلت: إن أمير المؤمنين أسر إليّ حديثاً فأحدثك به؟ قال: لا إنه من كتم حديثه كان الخيار عليه، فلا تجعل نفسك مملوكاً بعد أن كنت مالكاً. فقلت له: أوَ يدخل هذا بين الرجل وأبيه؟ فقال: لا، ولكني أكره أن تذلل لسانك بإفشاء السر. قال: فرجعت إلى معاوية، فذكرت ذلك له فقال معاوية: أعتقك أخي من رقّ الخطأ.

شاكر وجاحد

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول:

«إنَّ ثلاثة في بني إسرائيل، أبرص وأقرع وأعمىٰ، بدا لله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً فأتىٰ الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن، ويـذهب عني هذا، قد قذرني النـاس، قال: فمسحه، فذهب عنه، فأُعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً، فقال: أيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: الإبل، فأُعطي ناقة عُشراء، وقال: يُبارك لك فيها.

وأتىٰ الأقرع فقال: أيُّ شيء أحبُّ إليك؟ قال: شعرٌ حسنٌ، ويذهب عنِّ هذا، قد قذرني النَّاس، قال: فمسحه فذهب، وأُعطي شعراً حسناً، قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: البقر. قال: فأعطاه بقرة حاملاً. وقال: يُبارك لك فيها.

وأتىٰ الأعمىٰ فقال: أيُّ شيء أحبُّ إليك؟ قال: يرد الله إليَّ بصري، فأبصر به النَّاس، قال: فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاةً والداً، فأُنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا واد من إبل، ولهذا واد من بقر، ولهذا واد من الغنم.

ثمَّ إنه أتىٰ الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجلٌ مسكين تقطَّعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ اليوم إلاَّ بالله، ثمَّ بك، أسألك بالَّذي أعـطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال، بعيراً أتبلَّغُ عليه في

سفري، فقال له: إنَّ الحقوق كثيرةٌ، فقال له: كأنِّي أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك النَّاس، فقيراً فأعطاك الله؟ فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر، فقال: إن كنت كاذباً فصيَّرك الله إلىٰ ما كنت.

وأتىٰ الأقرع في صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا، فردَّ عليه مثل ما ردَّ عليه هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيَّرك الله إلىٰ ما كنت.

وأتىٰ الأعمىٰ في صورته فقال: رجلٌ مسكينٌ، وابن سبيل، وتقطَّعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلَّا بالله، ثُمَّ بك، أسألك بالذي ردّ عليك بصرك، شاةً أتبلَّغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمىٰ فردَّ الله بصري، وفقيراً فلقد أغناني، فخُذ ما شئت، فوالله! لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال: أمسك مالك، فإنَّما ابتُليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط علىٰ صاحبيك» رواه البخاري ومسلم.

آفات

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:
ليس حسن الجوار كف الأذىٰ ولكن الصبر علىٰ الأذىٰ.

وقال: خير المال ما وقى العرض.

وقال: لكل شيء آفة وآفة العلم النسيان، وآفة العبادة الرياء، وآفة اللّب العجب، وآفة النجابة الكِبْر، وآفة الظرف الصلف، وآفة الجود السرف، وآفة الحياء الضعف، وآفة الحلم الذل، وآفة الجلد الفحش.

لا طاعة في المعصية

عن علي رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ سرية، فاستعمل رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه، فغضب فقال: أليس أمركم النبي ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلىٰ. قال: فاجمعوا لي حطباً. فجمعوا، فقال: أوقدوا ناراً، فأوقدوها، فقال: ادخلوها. فهمّوا، وجعل بعضهم يمسك بعضاً ويقولون: فررنا إلىٰ النبي ﷺ من النار، فما زالوا حتىٰ خمدت النار، فسكن غضبه. فبلغ النبي ﷺ فقال: «**لو دخلوها ما خرجوا منها إلىٰ يوم القيامة، والطاعة في المعروف**».

رواه البخاري ومسلم

لو أقمنا ما نفعناك

لما مات ذر بن عمر بن ذر الهمداني ـ وكان موته فجأة ـ فجعل أهل بيته يبكون، فقال أبوه مالكم؟! إنا والله ما ظلمنا ولا قهرنا، ولا ذهب لنا بحق، ولا أخطأ بنا، ولا أريد غيرنا، ومالنا علىٰ الله معتب.

فلما وضعه في قبره قال: رحمك الله يا بني! والله لقد كنت بي باراً، ولقد كنت عليك حدباً، وما بي إليك من وحشة، ولا إلىٰ أحد بعد الله فاقة، ولا ذهبت لنا بعزٍّ، ولا أبقيت علينا من قلٍّ، ولقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك، يا ذر لولا هول المطلع ومحشره لتمنيت ما صرت إليه، فليت شعري يا ذر ما قيل لك وماذا قلت؟

ثم قال: اللهم إنك وعدتني الثواب بالصبر علىٰ ذر، اللهم فعلىٰ ذر مغفرتك ورحمتك، اللهم إني قد وهبت ما جعلت لي من أجر علىٰ ذر لذر صلة مني، وتجاوز عنه فإنك أرحم به مني، اللهم وإني قد وهبت لذر إساءته إلي فهب لي إساءته إليك، فإنك أجود مني وأكرم، فلما ذهب لينصرف قال: يا ذر قد انصرفنا وتركناك، ولو أقمنا ما نفعناك.

أصول الفضائل

أصول الفضائل أربعة، وعنها تترتب كل فضيلة وهي:
العدل، والفهم، والنجدة، والجود.

وأصول الرذائل أربعة، وعنها تتركب كل رذيلة وهي:
الجور، والجهل، والجبن، والشح.

قال خالد بن صفوان لابنه: يا بنيّ أوصيك باثنين، لن تزال بخير ما تمسكت بهما: درهمك لمعاشك، ودينك لمعادك.

العاجز من عجز عن سياسة نفسه.
السعادة أن تسعى لإسعاد من حولك.
السعادة عند الأشرار إيلام الآخرين.
السعادة أمل عسير المنال لأنه لا سبيل للظفر بها إلا بإسعاد الآخرين.
عجلة الحظ لا يدفعها غير العمل.
ارضع من ثدي المحبة ما استطعت لأنها تدر لك لبن التسامح والمعرفة.

أمة محمد (ﷺ)

قال كعب الأحبار: قال موسىٰ عليه السلام:

إني لأجد في الألواح صفة قوم علىٰ قلوبهم من النور مثل الجبال الرواسي تكاد الجبال والرمال أن تخر لهم سجداً من النور، فسأل ربه وقال: اجعلهم من أمتي قال الله: يا موسىٰ إني اخترت أمة محمد وجعلتهم أئمة الهدىٰ وهؤلاء طوائف من أمته.

قال: يا رب فيما بلغوا هـؤلاء حتىٰ آمر بني إسرائيل يعملوا مثل عملهم وأبلغ نعمتهم؟ قال: يا موسىٰ إن الأنبياء كادوا أن يعجزوا عما أعطيت أمة محمد، يا موسىٰ بلغوا أنهم تركوا الطعام الذي أحللت لهم رغبة فيما عندي وكان عيشهم في الدنيا الفلق من الخبز والخلق من الثياب أيسوا من الدنيا وأيست الدنيا منهم، أقربهم مني وأحبهم إليَّ أشدهم جوعاً وأشدهم عطشاً.

يا موسىٰ لم يتقرب أحد إليَّ بشيء أفضل من كبد عَطِشتْ وجاعتْ، يا موسىٰ ليس للجوع عندي ثواب إلا الجنة، يا موسىٰ اصبر وتوكل علي فهو أشرف العمل عندي، يا موسىٰ من جاع وعطش في الدنيا من خشيتي شبع وروي في الآخرة، يا موسىٰ قل لبني إسرائيل يتقربون إليَّ بذوب الشحوم واللحوم في الدنيا بقلة الطعام فإنها أحب الأشياء إليَّ، يا موسىٰ طوبىٰ لمن صحبهم وصحبوه أقربهم مني، وأبغض الناس إليّ من أبغض جائعاً عرياناً من مخافتي.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكعب الأحبار يوماً: خوّفنا يا كعب، فقال: يا أمير المؤمنين إنك من أمة مرحومة، ثم قالها الثانية ثم قالها الثالثة، ثم قال كعب: والذي نفسي بيده لو قد أفضيت إلىٰ يوم القيامة ونظرت إلىٰ النار ثم كان لك عمل سبعين نبياً لظننت أنك لا تنجو.

والذي نفسي بيده إنها لتزفر يومئذ زفرة لا يبقىٰ مَلَك مقرب، ولا نبي مرسل، إلا سقط علىٰ ركبتيه يقول: يا رب نفسي نفسي، حتىٰ إن إبراهيم ليقول يا رب إني أنشدك خلتي إياك، فبكىٰ عمر فاشتد بكاؤه فقال: يا أمير المؤمنين ألا أبشرك؟ والذي نفسي بيده ما يزال الله يومئذ برحمته وصفحه وحلمه حتىٰ لو كان لك عمل أربعين عاصياً لظننت أنك ستنجو، إن إبليس يومئذ ليتطاول طمعاً مما يرىٰ من الرحمة.

الناس في الخير

الناس في الخير أربعة أقسام:

منهم من يفعله ابتداء.
ومنهم من يفعله اقتداء.
ومنهم من يتركه حرماناً.
ومنهم من يتركه استحساناً.
فمن فعله ابتداء فهو كريم.
ومن فعله اقتداء فهو حكيم.
ومن تركه حرماناً فهو شقي.
ومن تركه استحساناً فهو دنيء.

الرجاء والخوف

كان عمر بن ذر يقول في دعائه:

أسألك اللهم خيراً يبلغنا ثواب الصابرين لديك، وأسألك اللهم شكراً يبلغنا مزيد الشاكرين لك، وأسألك اللهم توبة تطهرنا بها من دنس الآثام حتىٰ نحل بها عندك محل المنيبين إليك، فأنت ولي جميع النعم والخير، وأنت المرغوب إليك في كل شدة وكرب وضر.

اللهم وهب لنا الصبر علىٰ ما كرهنا من قضائك، والرضا بذلك طائعين، وهب لنا الشكر علىٰ ما جرىٰ به قضاؤك من محبتنا والاستكانة لحسن قضائك متذللين لك خاضعين رجاء المزيد والزلفىٰ لديك يا كريم.

اللهم فلا شيء أنفع لنا عندك من الإيمان بك، وقد مننت به علينا فلا تنزعه منا ولا تنزعنا منه حتىٰ تتوفانا عليه موقنين بثوابك، خائفين لعقابك، صابرين علىٰ بلائك، راجين لرحمتك يا كريم.

وصية

عن يحيىٰ بن عقيل عن علي بن أبي طالب أنه قال لعمر رضي الله عنه:

يا أمير المؤمنين! إن سرك أن تلحق بصاحبيك فاقصر الأمل، وكل دون الشبع، واقصر الإزار، وارقع القميص، واخصف النعل، تلحق بهما.

الصبر والتقوى

أوصى أحد الصالحين تلاميذه فقال:

من لم يكن عنده علم لم يكن له قيمة في الدنيا ولا في الآخرة.
ومن لم يكن عنده حلم لم ينفعه علم.
ومن لم يكن عنده سخاء لم يكن له من ماله نصيب.
ومن لم يكن عنده شفقة على خلق الله لم تكن له شفاعة عند الله.
ومن لم يكن عنده صبر لم تكن له في الأمور سلامة.
ومن لم يكن عنده تقوى لم تكن له منزلة عند الله.
ومن حرم هذه الخصال فليس له منزلة في الجنة.

لي ساعة وشيكة

ألا إنَّ لي يوماً أُدانُ كما دِنْتُ
لِيُحصي كتابي ما أسأتُ وأحسنتُ
أما والذي أرجوه للعَفْو إنَّه
ليعلم ما أسررتُ منه وأعلنتُ
كفىٰ حزناً أنّي أحِسّ ضَنَىٰ البِلىٰ
يُقَبّحُ ما زينتُ فيّ وحسّنتُ
وأعجبُ مِنْ هذا هناتٌ تَغُرّني
تَيَقّنتُ منهنّ الذي قد تيقّنتُ
تصعّدتُ مُغتراً وصَوّبت في المنىٰ
وحركت من نفسي إليه وسكّنتُ

وكـــم قد دعــتــني هِمّتي فأجــبــتــهــا
وكــم لَوّثــتــني هِمتي فتَــلَوّثــتُ
أصــونُ حُقــوق الــوُدّ طُرًّا علىٰ المــلا
فإن خُنـت إنســانــاً فنفسي الــذي خُنتُ
ولي ساعَــةٌ لا شَكّ فيــهــا وشــيــكــة
كأنّي وقــد حُنّــطتُ فيــهــا وكُــفّــنــتُ
ألم ترَ أنّ الأرضَ مَنْــزل قُلْعَــةٍ
وإن طَالَ تَعْــمــيري عليــهــا وأزْمَــنــتُ
وإنّي لَرَهْــنٌ بالخُــطوبِ مُصَرَّفٌ
ومُــنْــتَــظِرٌ كأس الــرّدىٰ حيثــما كنتُ

من ديوان أبي العتاهية

معاتبة النفس

يقول عون بن عبدالله عند ذكر ذنبه وبكائه من خطيئته:

ويحي! كيف لا يذهب ذكر خطيئتي كسلي، ولا يبعثني إلىٰ ما يذهبها عني، بل ويلي! إن لم يرحمني ربي.

ويحي! كيف تنسىٰ فرحتي ما تكسب يدي، ويح نفسي بل ويلي! إن لم يرحمني ربي.

ويحي! لا تنهاني الأولىٰ من خطيئتي عن الآخرة، ولا تذكرني الآخرة من خطيئتي بسوء ما ركبت من الأولىٰ، فويلي ثم ويلي! إن لم يتم عفو ربي.

ويحي! لقد كان لي فيها استوعبت من لساني وسمعي وقلبي وبصري اشتغال، فويلي إن لم يرحمني ربي.

ويحي! إن حجبت يوم القيامة عن ربي فلم يزكني، ولم ينظر إلي ولم يكلمني، فأعوذ بنور وجه ربي من خطيئتي، وأعوذ به أن أعطىٰ كتابي بشمالي أو وراء ظهري، فيسودّ به وجهي، وتزرق به مع العمىٰ عيني، بل ويلي! إن لم يرحمني ربي.

ويحي! بأي شيء أستقبل ربي؟ بلساني أم بيدي أم بسمعي أم بقلبي أم ببصري، ففي كل هذا له الحجة والطلبة عندي، فويل لي إن لم يرحمني ربي، كيف لا يشغلني ذكر خطيئتي عما لا يعنيني؟

ويحك يا نفسي مالك لا تنسين مالا ينسىٰ؟ وقد أتيت ما لا يؤتىٰ، وكل ذلك عند ربك يحصىٰ، في كتاب لا يبيد ولا يبلىٰ.

ويحك! لا تخافين أن تجزي فيمن يجزىٰ يوم تجزىٰ كل نفس بما تسعىٰ، وقد آثرت ما يفنىٰ علىٰ ما يبقىٰ.

رحمة الله

قال ابن عمر رضي الله عنه: كان رأس عمر رضي الله عنه علىٰ فخذي في مرضه الذي مات فيه، فقال لي: ضع رأسي علىٰ الأرض قال: فقلت: وما عليك كان علىٰ فخذي أم علىٰ الأرض؟ قال: ضعه علىٰ الأرض، قال: فوضعته علىٰ الأرض فقال: ويلي وويل أمي إن لم يرحمني ربي.

مغفرة ورحمة

قال العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه: كنت جاراً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فما رأيت أحداً من الناس كان أفضل من عمر، إن ليله صلاة، وإن نهاره صيام وفي حاجات الناس.

فلما توفي عمر سألت الله عز وجل أن يرينيه في النوم، فرأيته في النوم مقبلاً متشحاً من سوق المدينة، فسلمت عليه وسلم علي ثم قلت: كيف أنت؟ قال: بخير، فقلت له: ما وجدت؟ قال: الآن فرغت من الحساب، ولقد كاد عرشي يهوي بي لولا أني وجدت رباً رحيماً.

الدنيا والآخرة

قال عون بن عبدالله: الدنيا والآخرة في قلب ابن آدم ككفتي الميزان ترجح إحداهما بالأخرى، وما تحابّ رجلان في الله إلا كان أفضلهما أشدهما حباً لصاحبه.

وقال: إن صاحب عمل الآخرة لا يفجأك إلا سرَّك مكانه، وإن صاحب عمل الدنيا لا يفجأك إلا ساءك مكانه.

وقال: ما اجتمع رجلان فتفرقا حتىٰ يعقد الشيطان في قلب كل واحد منهما عقدة، فإن لقي أخاه فسلم عليه حُلّت العقدة، وإلا كانت العقدة كما هي.

وقال: إذا سرك أن تنظر إلىٰ الرجل أحسن ما يكون عليه حالاً، فانظر إليه وهو قائم يصلي.

صحبة الفاجر

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:
لا تعترض فيما لا يعنيك، واعتزل عدوك.
واحتفظ من خليلك إلا الأمين، فإن الأمين من القوم لا يعادله شيء.
ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره، ولا تفش إليه سرك.
واستشر في أمرك الذين يخشون الله عز وجل.

التنافس في الخير

لا تَكُ في كلِّ هوىً تَنهَمِك
ولا تكُونَنَّ لجوجاً مَحِك
نافِسْ إذا نافَستَ في حِكْمَةٍ
ولا تدعُ خيراً ولا تترك
واصْنَعْ إلىٰ الناس جميلاً كما
تُحِبّ أن يصنعه الناس بِك
من قرّ عيناً بِغنىٰ بُلْغَةٍ
يوماً بيوم عاشَ عَيْشَ المَلِك

من ديوان أبي العتاهية

عفو من الرحمن

قال بلال بن سعد: أربع خصال جاريات عليكم من الرحمن مع ظلمكم أنفسكم وخطاياكم:

أما رزقه فدار عليكم.
وأما رحمته فغير فمقسومة لكم.
وأما ستره فسابغ عليكم.
وأما عقابه فلم يعجل لكم.

ثم أنتم علىٰ ذلك لاهون تجرؤون علىٰ إلهكم، أنتم تكلمون ويوشك الله تعالىٰ يتكلم وتسكنون، ثم يثور مرآه كالدخان تسودّ منه الوجوه ﴿**واتقوا يوماً ترجعون فيه إلىٰ الله، ثم توفى كل نفس ما كسبت، وهم لا يظلمون**﴾ [البقرة: ٢٨١].

عباد الرحمن! لو غفرت لكم خطاياكم الماضية لكان فيما تستقبلون شغل، ولو عملتم بما تعلمون لكنتم عباد الله حقاً.

بلغوا ما تسمعون

عن سليمان بن حبيب قال: دخلت في نفر علىٰ أبي أمامة رضي الله عنه فإذا شيخٌ قد رق وكبر، وإذا عقله ومنطقه أفضل مما يرىٰ من منظره، فقال في أول ما حدثنا:

إن مجلسكم هذا من بلاغ الله إياكم، وحجته عليكم، فإن رسول الله ﷺ قد بلغ ما أرسل به، وأن أصحابه قد بلَّغوا ما سمعوا، فبلِّغوا ما تسمعون.

ثلاثة كلهم ضامن علىٰ الله حتىٰ يدخله الجنة أو يرجعه بما نال من أجر وغنيمة: فاصل فُصِلَ في سبيل الله فهو ضامن علىٰ الله حتىٰ يدخله الجنة أو يرجعه بما نال من أجر وغنيمة، ورجلٌ توضأ ثم غدا إلىٰ المسجد فهو ضامن علىٰ الله حتىٰ يدخله الجنة أو يرجعه بما نال من أجر وغنيمة، ورجل دخل بيته بسلام.

ثم قال: إن في جهنم جسراً له سبع قناطر، علىٰ أوسطهن القضاة فيجاء بالعبد حتىٰ إذا انتهىٰ إلىٰ القنطرة الوسطىٰ قيل: ماذا عليك من الدَّين؟ فيحسبه، فيقول: يا رب! عليَّ كذا وكذا، فيقول: اقضِ دَيْنك، فيقول: مالي شيء، ما أدري ما أقضي به! فيقال: خذوا من حسناته، فما زال يؤخذ من حسناته حتىٰ ما يبقىٰ له من حسنة، فإذا فنيت حسناته فيقال: خذوا من سيئات من يطلبه، فزيدوا عليه.

قال: فلقد بلغني أن رجالاً يجيئون بأمثال الجبال من الحسنات، فلا يزالُ يؤخذ لمن يطلبهم حتىٰ ما يبقىٰ لهم حسنة، ثم يزاد عليهم سيئات من يطلبهم حتىٰ يرد عليهم أمثال الجبال.

ثم قال: إياكم والكذب! فإن الكذب يهدي إلىٰ الفجور، والفجور يهدي إلىٰ النار، وعليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلىٰ البر، والبر يهدي إلىٰ الجنة.

ثم قال: أيها الناس! لأنتم أضلُّ من أهل الجاهلية، إن الله تعالىٰ قد جعل لأحدكم الدينار ينفقه في سبيل الله بسبعمائة دينار، والدرهم بسبعمائة درهم، ثم إنكم صارُّون تمسكون.

البكاء من الجود

قدم رجل من قريش من سفر فمر على رجل من الأعراب، على قارعة الطريق، قد أقعده الدهر، وأضر به المرض، فقال له: يا هذا أعنّا على الدهر. فقال القرشي لغلامه: ما بقي معك من النفقة فادفعه إليه، فصب في حجره أربعة آلاف درهم، فهمّ ليقوم، فلم يقدر من الضعف، فبكىٰ، فقال له القرشي: ما يبكيك؟ لعلك استقللت ما دفعناه إليك؟ فقال لا والله، ولكن ذكرت ما تأكل الأرض من كرمك فأبكاني.

المجد والكرامة

قيل للسعادة: أين تسكنين؟ قالت: في قلوب الراضين.

قيل فبم تتغذين؟ قالت: من قوة إيمانهم.

قيل فبم تدومين؟ قالت: بحسن تدبيرهم.

قيل فبم تُستجلبين؟ قالت: أن تعلم النفس أن لن يصيبها إلا ما كتب الله لها.

قيل: فبم تَرحلين؟ قالت: بالطمع بعد القناعة، وبالحرص بعد السماحة، وبالهم بعد السرور، وبالشك بعد اليقين.

الموت والحرص

نعي نفْسي إلىٰ مَرّ اللّيالي
تصرّفُهنّ حالاً بعد حالِ
فما لي لستُ مشغُولاً بنفسِي
وما لي لا أخافُ الموتَ ما لي
لقد أيْقَنْتُ أنّي غيرُ باقٍ
ولكِنّي أراني لا أُبالي
أما لي عِبْرَةٌ في ذِكْر قومٍ
تفانوْا رُبّما خَطرُوا ببِالي
كأنّ مُمَرّضِي قد قام يَمْشي
بِنَعْشِي بينَ أربعة عِجالِ
وخَلْفي نُسْوَةٌ يبكِينَ شجواً
كأنّ قُلُوبَهُنّ علىٰ مقالي
سأقْنَعُ ما بقيتُ بقُوتِ يومٍ
ولا أبْغي مُكاثَرَةً بمالِ
تعالىٰ الله يا سَلْمَ بنَ عَمرٍو
أذلّ الحِرْصُ أعْناقَ الرّجالِ

من ديوان أبي العتاهية

الخير في كثرة العلم

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباهي بعبادة ربك.

فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله.

ولا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجل أذنب ذنباً، فهو تدارك ذلك بتوبة، أو رجل يسارع في الخيرات.

ولا يقل عمل في تقوى. وكيف يقل ما يتقبل.

كأس الموت مرّة

لكم فلتةٍ لي قد وقىٰ الله شرَّها
طَلَبْتُ لنَفْسِي نَفْعَ شيءٍ فضرّها
لك الحمدُ يا مولايَ يا خالقَ الوَرىٰ
كثيراً علىٰ ما ساءَ نفسِي وسرّها
أرىٰ العينَ عينَ السّخطِ عيناً سخينة
ويا عينُ يا عينَ الرّضىٰ ما أقرّها
وما زالَتِ الدّنْيا تُكَدّرُ صَفْوَها
وما زَالَتِ الدّنْيا تُنَغّص درّها
بُلِينَا مِنَ الدّنيا علىٰ حُبّنا لها
بِدارِ غُرُورٍ ويحَها ما أغَرّها

ألسْنَا نَرىٰ الأيّام يجري صرُوفُها
ألسْنَا نرىٰ حثّ اللّيالي ومرّها
ألسْنا نرىٰ غَدْرَ الزّمَانِ بأهْلِهِ
ألسْنا نرىٰ عَطْفَ المَنَايا وكرّها
لعَمْرُ أبي إنّ الحياةَ لحُلْوَةٌ
ولِلمَوْتُ كأسٌ يا لها ما أمرّها

من ديوان أبي العتاهية

بين الأمس واليوم والغد

قال أبو حازم: بيني وبين الملوك يوم واحد:
أما أمسي فلا يجدون لذّته ولا أجد شدّته.
وأمّا غدي فإني وإياهم منه علىٰ خطر.
وما هو إلا اليوم، فما عسىٰ أن يكون!

أعلم وأكبر منك

قال مصطفى السباعي رحمه الله:
احتفظ بوقارك في أربعة مواطن:

في مذاكرتك مع من هو أعلم منك.
وتعليمك لمن هو أكبر منك.
ومخاصمتك مع من هو أقوى منك.
ومناقشتك مع من هو أسفه منك.

الثناء والجزاء

وصفت أعرابية زوجها بمكارم الأخلاق عند أمها، فقالت:

يا أمّاه! من نشر ثوب الثناء، فقد أدّى واجب الجزاء، وفي كتمان الشكر جحود لما وجب من الحق، ودخول في كفر النعم.

فقالت لها أمها: أيْ بنية! أطبت الثناء، وفهمت الجزاء، ولم تدعي للذم موضعا. إني وجدت من عقل لم يعجل بذم ولا ثناء إلا بعد اختبار.
فقالت: يا أماّه! ما مدحت حتى اختبرت، وما وصفت حتى عرفت.

الترغيب بالعلم

عن علي الأزدي قال: سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن الجهاد فقال: ألا أدلك على ما هو خير لك من الجهاد؟ تجيء مسجداً فتعلم فيه القرآن والفقه في الدين (أو قال: السنة).

ثلاث خصال

من برىء من الشر نال العز.
ومن برىء من البخل نال المجد.
ومن برىء من الكبر نال الكرامة.

العلم النافع

قال حكيم من رزقه الله عشر خصال نال درجة التقوىٰ:

صدق دائم معه قلب قانع.
وصبر كامل معه شكر دائم.
وفقر دائم معه زهد حاضر.
وفكر دائم معه بطن جائع.
وحزن دائم معه خوف متصل.
وجهد دائم معه بدن متواضع.
ورفق دائم معه رحم حاضر.
وحب دائم معه حياء زائد.
وعلم نافع معه حلم دائم.
وإيمان دائم معه عقل ثابت.

العدل والسلطان

وقال آخر: سبعة لا تصلح بغير سبعة.

لا يصلح العقل بغير ورع.
ولا الفضل بغير علم.
ولا الفوز بغير خشية.
ولا السلطان بغير عدل.
ولا الحسب بغير أدب.
ولا السرور بغير أمن.
ولا الغنىٰ بغير جود.

إحسان مع العفو

أمر مصعب بن الزبير بقتل رجل فقال: ما أقبح أن أقوم يوم القيامة من مثواي. فأنظر إلىٰ صورتك هذه الحسنة، ووجهك الذي يُستضاء به، فأتعلق بأطواقك، وأقول: أي رب! سل مصعباً لم قتلني؟.

فأطرق مصعب هنية وقال: أطلقوا سراحه، فلما أطلقوه قال:
أيها الأمير اجعل ما وهبت لي من حياتي في خفض عيش.
قال مصعب: قد أمرت لك بمائة ألف درهم!.

سلوك قبيح

نسيان الله وإهمال حقوقه والانشغال بغيره عنه:

قال الله تعالىٰ: ﴿**ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم**﴾ [الحشر: ١٩].

من يخادع ويراوغ كالثعلب ويستخدم خداعه ضد الإسلام والمسلمين:

قال الله تعالىٰ: ﴿**يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم**﴾ [البقرة: ١٠٢].

المن، والأذىٰ، والرياء:

قال الله تعالىٰ: ﴿**لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذىٰ كالذي ينفق ماله رِئاء الناس**﴾ [البقرة: ٢٦٤].

كراهية الإنفاق والضيق بفعل الخير:

قال الله تعالىٰ: ﴿**ولا ينفقون إلا وهم كارهون**﴾ [التوبة: ٥٤].

إغراء الناس بما يبعدهم عن سبيل الله ويلهيهم عن طاعته:

قال الله تعالىٰ: ﴿**ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم**﴾ [لقمان: ٦].

الجدال بغير علم ودليل:

قال الله تعالىٰ: ﴿**ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدىٰ ولا كتاب منير**﴾ [لقمان: ٢٠].

التكبر، والزهو، والمرح، والخيلاء، والعُجْب:
قال الله تعالىٰ: ﴿ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً﴾ [لقمان: ١٨].

○ ○ ○

رأس التقوى

يروىٰ عن عون بن عبدالله قال: الخير من الله كثير، ولكنه لا يبصره من الناس إلا يسير، وهو للناس من الله معروض، ولكنه لا يبصره من لا ينظر إليه، ولا يجده من لا يبتغيه، ولا يستوجبه من لا يعلم به. ألم تروا إلىٰ كثرة نجوم السماء فإنه لا يهتدي بها إلا العلماء، ورأس التقوىٰ الصبر، وتحقيقها العمل، وكمالها الورع.

○ ○ ○

الأخلاء الثلاثة

قال أحد الحكماء: للمرء ثلاثة أخلاء:
خليل يقول له: أنا معك حيًّا وميتاً، وهو عمله.
وخليل يقول له: أنا معك حتىٰ تموت وهو ماله.
وخليل يقول له: أنا معك حتىٰ باب قبرك ثم أخليك، وهو ولده.

من صفات الكفار والمنافقين

سوء معاملة الضيف:

قال الله تعالى: ﴿حتى إذا أتيا أهل القرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما﴾ [الكهف: ٧٧].

الجهل والجدال بالباطل:

قال الله تعالى: ﴿الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم﴾ [غافر: ٣٥].

الادعاء الكاذب والغرور الفاضح:

قال الله تعالى: ﴿الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا﴾ [آل عمران: ١٨٨].

إتيان البيوت من غير أبوابها:

قال الله تعالى: ﴿وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ [البقرة: ١٨٩].

من المغضوب عليهم: السماعون للكذب، والأكالون للسحت:

قال الله تعالى: ﴿سمّاعون للكذب، أكّالون للسحت﴾ [المائدة: ٤٢].

السلبية أمام ما يشاهده من منكرات:

قال الله تعالى: ﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾ [المائدة: ٧٩].

إسلام سفانة

وجه رسول الله ﷺ إلى طيء فريقاً من جنده يتقدمهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ففزع من ذلك عدي بن حاتم وكان من أشد الناس عداء لرسول الله ﷺ، فصبّح على القوم واستاق خيلهم ونعمهم ورجالهم ونساءهم إلى رسول الله ﷺ، فلما عرض عليه الأسرى نهضت من بين القوم سفانة بنت حاتم فقالت: يا محمد، هلك الوالد وغاب الوافد فإن رأيت أن تخلي عني، ولا تشمت بي أحياء العرب فإن أبي كان سيد قومه، يفك العاني - الأسير - ويقتل الجاني ويحفظ الجار، ويحمي الدار، ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام ويفشي السلام ويحمل الكل - المحتاج - ويعين على نوائب الدهر، وما أتاه أحد في حاجة فرده خائباً، أنا بنت حاتم الطائي. فقال النبي ﷺ: «**يا جارية هذه صفات المؤمنين لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق**، ثم قال: **ارحموا عزيز قوم ذل وغنياً افتقر وعالماً ضاع بين جهال**»وامتن عليها فأطلقها إكراماً لها، فاستأذنته في الدعاء فأذن لها وقال لأصحابه اسمعوا وعوا فقالت:

أصاب الله ببرّك مواقعه ولا جعل لك إلى لئيم حاجة، ولا سلب نعمة عن كريم قوم إلا جعلك سبباً في ردها. . . .، فلما أطلقها رجعت إلى أخيها عدي وهو بدومة الجندل فقالت له:

يا أخي إيت هذا الرجل قبل أن تعلقك حبائله، فإني رأيت هدياً ورأياً سيغلب أهل الغلبة، رأيت خصالاً تعجبني، رأيته يحب الفقير، ويفك الأسير، ويرحم الصغير، ويعرف قدر الكبير، وما رأيت أجود ولا أكرم

منه، فإن يكن نبياً فللسابق فضله، وإن يكن ملكاً فلن تذل في عز ملكه، فقدم عدي إلى رسول الله ﷺ، فأسلم وأسلمت سفانة رضي الله عنها.

استغنِ بالله

إذا استغنىٰ الناس بالدنيا فاستغنِ أنت بالله، وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله، وإذا أنِسوا بأحبابهم فاجعلِ أنسك بالله، وإذا تعرفوا إلىٰ ملوكهم وكبرائهم وتقربوا إليهم لينالوا بهم العزة والرفعة فتعرف أنت إلىٰ الله وتودد إليه تَنَلْ بذلك غاية العز والرفعة.

قال بعض الزهّاد: ما علمت أن أحداً سمع بالجنة والنار تأتي عليه ساعة لا يطيع الله فيها بذكر أو صلاةٍ أو قراءةٍ أو إحسان، فقال له رجل: إني أكثر البكاء، فقال: إنك إن تضحك وأنت مُقر بخطيئتك خيرٌ من أن تبكي وأنت مُدِلّ بعملك، وإن المدل لا يصعد عمله فوق رأسه.

فقال: أوصني، فقال: دَع الدنيا لأهلها كما تركوا هم الآخرة لأهلها، وكُن في الدنيا كالنحلة إن أكلَت أكلت طيباً وإن أطعمت أطعمت طيباً وإن سقطت علىٰ شيء لم تكسره ولم تخدشه.

وصية

أوصىٰ بعض الحكماء بنيه فقال:

الأدب أكرم الجواهر طبيعة، وأنفسها قيمة، يرفع الأحساب الوضيعة، ويفيد الرغائب الجميلة، ويُعز بلا عشيرة، ويُكثر الأنثار لغير ذرّية، فاجعلوه حُلة وتزيّنوه حِلية، يؤنسكم في الوحشة، ويجمع لكم القلوب المختلفة.

طرائف الحكمة

لا خير في القول إلّا مع العمل.
ولا في الفقه إلّا مع الورع.
ولا في الصدقة إلا مع النية.
ولا في المال إلّا مع الزكاة.
ولا في الصدق إلا مع إنجاز الوعد.
لا عقل كالتدبير، ولا ورع ككفّ الأذى.
طرْف الفتى يخبر عن لسانه.
إذا أقبلت الدنيا على امرىء ألبسته محاسن غيره.
وإن أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه.
رضى الناس غاية لا تدرك.
رضى بالذّل من كشف ضُرّه.
طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس.
زكاة النّعم المعروف.
السعيد من وعظ بغيره.
إذا تخاصم اللّصان ظهر المسروق.
إذا تم العقل نقص الكلام.
الجزع أتعب من الصبر.
قليل عاجل خير من كثير آجل.
الحرص يُذِل الرجال.
ركوب الأهوال، خير من ذلّ السؤال.
طول التجارب زيادة في العقل.

من لا يعرف الخير من الشر فألحقه بالبهائم.
إذا انقطع رجاؤك عن صديقك فألحقه بعدوِّك.
من لا يقدر على جمع الفضائل، فلتكن فضائله ترك الرذائل.
من استبدّ برأيه خفت وطأته على أعدائه.
كرم المرء دينه، ومروءتُهُ عقله، وحسبه خُلُقُهُ.
رُبّ موت يجيء من طلب الحياة.
لسان المرء من خدم الفؤاد.
المرء توّاق إلى ما لم ينل.
أحبُّ شيء إلى الإنسان ما مُنع.
منْ حسد الناس بدأ بمضرّة نفسه.

التواضع والغرور

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: يا حبّذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يغبنون به قيام الحمقى وصومهم، والذرّة من صاحب تقوى أفضل من أمثال الجبال عبادة من المغترين. وهذا من جواهر الكلام وأدله على كمال فقه الصحابة وتقدمهم على من بعدهم في كل خير، رضي الله عنهم.

فاعلم أن الحقيقة تقوى القلوب لا تقوى الجوارح. قال تعالى في سورة الحج آية ٣٢: ﴿**ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب**﴾، وقال تعالى في سورة الحج آية ٣٧: ﴿**لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم**﴾وقال النبي ﷺ: «**التقوى هٰهنا**»وأشار إلى صدره. رواه الترمذي.

إقبال وإدبار

خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال:

أما بعد! فإن الدنيا قد أدبرتْ وآذنتْ بوداع، وإن الآخرة قد أقبلتْ وأشرفتْ باطلاع، وإن المضمار اليوم وغداً السباق، ألا! وإنكم في أيام أمل، من ورائه أجل، فمن قصر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خُيّب عمله.

ألا! فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة، ألا! وإني لم أر كالجنة نائم طالبها، ولم أر كالنار نائمٌ هاربها، ألا! وإنه من لم ينفعه الحق ضرّه الباطل، ومن لم يستقم به الهدىٰ جار به الضلال.

ألا أيها الناس! إنما الدنيا عرض حاضر، يأكل منها البر والفاجر، وإن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر، ألا! إن ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمرك بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً، والله واسع عليم﴾ [البقرة: ٢٦٨].

أيها الناس! أحسنوا في عمركم تحفظوا في عَقِبكُم، فإن الله تبارك وتعالىٰ وعد جنته من أطاعه، ووعد ناره من عصاه، إنها نار لا يهدأ زفيرها، ولا يفك أسيرها، ولا يجبر كسيرها، حرها شديد، وقعرها بعيد، وماؤها صديد، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوىٰ وطول الأمل.

الحامدون المكبّرون

قال كعب الأحبار: إنا لنجد نعت النبي ﷺ في سطر من كتاب الله، نجده في سطر مُحَمد رسول الله ﷺ وأمته الحمادون، يحمدون الله علىٰ كل حال ويكبرونه علىٰ كل حال، يصلون الصلوات الخمس لوقتهنّ، يأتزرون علىٰ أوساطهم، ويوضّئون أطرافهم، لهم في جوء السماء دويّ كدويّ النحل، ونجده في سطر آخر محمدٌ لا فظٌ ولا غليظٌ ولا صخابٌ في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، مولده بمكة ومهاجره بطيبة وجنده بالشام.

الحسنة و السيئة

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في «إعلام الموقعين»:

إن استقلال المعصية ذنب، كما أن استكثار الطاعة ذنب.

والعارف من صغرت حسناته في عينه، وعظمت ذنوبه عنده، وكلما صغرت الحسنات في عينك كبرت عند الله، وكلما كبرت وعظمت في عينك قلت وصغرت عند الله، وسيئاتك بالعكس.

ومن عرف الله وحقه وما ينبغي لعظمته من العبودية تلاشت حسناته عنده، وصغرت جداً في عينه، وعلم أنها ليست ما ينجو بها من عذابه، وأن الذي لا يليق بعزته ويصلح له من العبودية أمر آخر.

ذكر الله

قال وهب بن منبه: وجدت في زبور آل داود:

يا داود هل تدري من أسرع الناس مراً علىٰ الصراط؟ الذين يرضون بحكمي وألسنتهم رطبة من ذكري.

هل تدري أيُّ الفقراء أفضل؟ الذين يرضون بحكمي وبقسمي ويحمدونني علىٰ ما أنعمتُ عليهم.

هل تدري يا داود أي المؤمنين أعظم عندي منزلة؟ الذي هو بما أعطى أشد فرحاً منه بما حبس.

طبقات الذاكرين

مِن الذاكرين من يبتدىء بذكر اللسان وإن كان على غفلة، ثم لا يزال فيه حتىٰ يحضر قلبه فيتواطأ علىٰ الذكر.

ومنهم: من لا يرىٰ ذلك ولا يبتدىء علىٰ غفلة بل يسكن حتىٰ يحضر قلبه فيشرع في الذكر بقلبه، فإذا قُوِي استتبع لسانه فتوطآ جميعاً.

فالأول: ينتقل الذكر من لسانه إلىٰ قلبه.

والثاني: ينتقل من قلبه إلىٰ لسانه، من غير أن يخلو قلبه منه، بل يسكن أولاً حتىٰ يحس بظهور الناطق فيه. فإذا أحس بذلك نطق قلبه ثم انتقل النطق القلبي إلىٰ الذكر اللساني ثم يستغرق في ذلك حتىٰ يجد كل شيء منه ذاكراً.

وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان وكان من الأذكار النبوية وشهد الذاكر معانيه ومقاصده.

يا ساكن الدنيا

يا ساكِنَ الدّنيا لقد أوطنتها
وأمِنْتَها عجَباً فكيفَ أمِنْتَها
وشَغَلْتَ قلبك عنْ معادِكَ بالمُنَى
وخدَعْتَ نفسك بالهوىٰ وفتنتها
إن كنت مُعْتَبراً فقد أنكرت أحوال
الشّبيبة مِنْك واستَتْبَعْتَها
أوَ لم تر الشّهواتِ كيفَ تَنَكّرَتْ
عمّا عهدْتَ وربّما لوّنْتها
أكرَمْتَ نفسك بالهوانِ خلْتَ أنّك
خالد فجمعتها وخزنتها
يا ساكِنَ الدّنيا طفقْتَ تُزيّن الدنيا
بما لا يستقيمُ فشِنْتَها
اُذْكُرْ أَحِبّتك الذين ثكِلْتَهم
اُذْكُر قُروناً في التّرابِ رهَنْتها
والخيرُ ما قدّمت سُنّة صالِحٍ
للصّالحين فعلتها وسننتها

من ديوان أبي العتاهية

حكم عادل

جلس المنصور يوماً في إحدى قباب المدينة فرأى رجلاً ملهوفاً يجول في الطرقات فأرسل إليه من أتاه به فسأله عن حاله فأخبره أنه خرج في تجارة فأفاد منها مالا كثيرا وأنه رجع بها إلى زوجته ودفع المال إليها فذكرت المرأة أن المال سرق من المنزل ولم ير نقباً ولا متسلقاً.

فقال له المنصور: منذ كم تزوجتها؟ قال: , منذ سنة، قال: تزوجتها بكراً أم ثيباً؟ قال: ثيباً، قال: شابة أم مُسنة؟ قال: شابة.

فدعا المنصور بطيب وقال: تطيب بهذا فإنه يذهب همك، فأخذه وانقلب إلى أهله فقال المنصور لجماعة من نقبائه: اقعدوا على أبواب المدينة فمن مر بكم وشممتم فيه روائح الطيب فأتوني بـه.

ومضى الرجل بالطيب إلى بيته فدفعه إلى المرأة وقال: هذا من طيب أمير المؤمنين فلما شمته أعجبها إلى الغاية فبعثت به إلى رجل كانت تحبه، وهو الذي دفعت إليه المال فقالت له: تطيب بهذا الطيب، فتطيّب به ومر مجتازاً ببعض الأبواب، ففاحت منه روائح الطيب، فأخذه نقباء أمير المؤمنين وأتوا به إلى المنصور.

فقال له: من أين استفدت هذا الطيب؟ فتلجلج في كلامه فسلمه إلى صاحب الشرطة وقال له: إن أحضر كذا وكذا من الدنانير فخذ منه وإلا فاضربه ألف سوط، فما هو إلا أن أذعن ورد الدنانير وأحضرها كهيئتها، ثم أعلم المنصور بذلك صاحب الدنانير وقال له: أرأيتك إن رددت عليك

الدنانير أن تحكمني في امرأتك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: ها هي دنانيرك وقد طلقت امرأتك، وقص عليه الخبر.

الخوف والطمع

يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه (صيد الخاطر):

رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعاً عجيباً.

إن طال الليل فبحديث لا ينفع، أو بقراءة كتاب فيه غزاة وسمر.

وإن طال النهار فبالنوم.

فشبَّهتهم بالمتحدثين في سفينة وهي تجري بهم، وما عندهم خبر.

ورأيت النادرين قد فهموا معنى الوجود، فهم في تعبئة الزاد والتأهب للرحيل.

إلا أنهم يتفاوتون وسبب تفاوتهم قلة العلم وكثرته بما ينفق في بلد الإقامة.

فالمتيقظون منهم يتطلعون إلى الأخبار بالنافق هناك، فيستكثرون منه فيزيد ربحهم.

والغافلون منهم يحملون ما اتفق، وربما خرجوا لا مع خفير.

فكم ممن قد قطعت عليه الطريق فبقي مفلساً.

فالله الله في مواسم العمر.

والبدار البدار قبل الفوات.

واستشهدوا العلم، واستدلوا الحكمة، ونافسوا الزمان، وناقشوا النفوس، واستظهروا بالزاد.

فكأن قد حدا الحادي فلم يفهم صوته من وقع مع الندم.

خلال سيئة

الامتناع عن الصلاة:

قال تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون، ويل يومئذ للمكذبين﴾[المرسلات: ٤٩ - ٥٠].

التكاسل عن إقامتها:

قال تعالى: ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا﴾[النساء: ١٤٢].

قال الله تعالى: ﴿ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى﴾[التوبة: ٥٤].

السهو عن الصلاة:

قال الله تعالى: ﴿فويل للمصلين،الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾[الماعون: ٤ - ٥].

مراءاة الناس ومنع ما يعينهم عنهم إذا طلبوه:

قال الله تعالى: ﴿الذين هم يراءون ويمنعون الماعون﴾[الماعون: ٦ - ٧].

تخصيص الرديء والخبيث والتالف للتصدق به:

قال الله تعالى: ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾[البقرة: ٢٦٧].

إخلاص الود لمن يعادي الله ورسوله ولو كانوا آبائهم:

قال الله تعالى: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾[المجادلة: ٢٢].

السر والعلانية

كان وهب بن منبه يقول:

يا بني أخلص طاعة الله بسريرة ناصحة، يصدق الله فيها فعلك في العلانية، فإن من فعل خيراً ثم أسره إلىٰ الله فقد أصاب موضعه وأبلغه قراره، وإن من أسر عملاً صالحاً لم يطلع عليه أحد إلا الله فقد اطلع عليه من هو حسبه، واستودعه حفيظاً لا يضيع أجره، فلا تخافنّ علىٰ عمل صالح أسررته إلىٰ الله عز وجل ضياعاً، ولا تخافنّ من ظلمه ولا هضمه.

ولا تظننّ أن العلانية هي أنجح من السريرة، فإن مثل العلانية مع السريرة، كمثل ورق الشجر مع عرقها، العلانية ورقها، والسريرة عرقها، إن نخر العرق هلكت الشجرة كلها ورقها وعودها، وإن صلحت صلحت الشجرة كلها ثمرها وورقها، فلا يزال ما ظهر من الشجرة في خير ما كان عرقها مستخفياً لا يرىٰ منه شيء.

كذلك الدين لا يزال صالحاً ما كان له سريرة صالحة يصدق الله بها علانيته، فإن العلانية تنفع مع السريرة الصالحة كما ينفع عرق الشجرة صلاح فرعها، وإن كانت حياتها من قبل عرقها فإن فرعها زينتها وجمالها، وإن كانت السريرة هي ملاك الدين فإن العلانية معها تزيّن الدين وتجمله، إذا عملها مؤمن لا يريد بها إلا رضاء ربه عز وجل.

قالوا في العدل

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لبعض عماله: عليكم بالعدل، وتباعدوا عن الجور، ولا تغدروا إن عاهدتم، ولا تنقضوا إن صالحتم.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : العدل صورة واحدة، والظلم صور كثيرة، ولهذا سهل ارتكاب الجرائم، وصعب تحري العدل.

وكتب عمر بن عبدالعزيز إلىٰ عامل له: إذا دعتك قدرتك إلىٰ ظلم الناس فاذكر قدرة الله عليك.

وسأل الإسكندر أحد حكماء أهل بابل (أرسطاطاليس):

أيهما أبلغ عندكم الشجاعة أم العدل؟

فأجاب: إذا استعملنا العدل استغنينا عن الشجاعة.

وقال بعض الحكماء: بالعدل والإنصاف، تكون مدة الائتلاف.

وقال بعض الفضلاء: إن العدل ميزان الله الذي وضعه للخلق، ونصبه للحق، فلا تخالفه في ميزانه، ولا تعارضه في سلطانه.

وقال أحد الشعراء:

العدل في جسم الولاة جواهر
لو مات جسم فالجواهر باقيه

وقال آخر:

العدل روح به تحيا البلاد كما
دمارها أبداً بالجور ينحتم

وما من يد إلّا يد الله فوقها
ولا ظالم إلّا سيبلىٰ بظالم

وقال آخر:

راعوا العدالة يا قضاة بحكمكم
فالعدل أشرف خطة الإنسان

مكارم الأخلاق

مكارم الأخلاق كثيرة منها:

حسن المعاشرة، وكرم الصنيعة، ولين الجانب، وبذل المعروف، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، وعيادة المريض، وتشييع جنازة المسلم، وحسن الجوار لمن جاورت، مسلماً كان أو غير مسلم، وتوقير ذي الشيبة، وإجابة الطعام، والدعاء عليه، والعفو، والإصلاح بين الناس، والجود والكرم والسماحات، والابتداء بالسلام، وكظم الغيظ، واجتناب ما حرمه الإسلام.

إخوان الصدق

اعلم أن إخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا، زينة في الرخاء، وعُدة في الشدة، ومعونة في المعاش والمعاد، فلا تُفرّطن في اكتسابهم وابتغاء الوصلات والأسباب إليهم.

ابذل لصديقك دمك ومالك، ولمعرفتك رفدك ومحضرك، وللعامة بشرك وتحننك، ولعدوك عدلك، واضنن بدينك وعرضك علىٰ كلِّ أحَدٍ.

إذا أقبل إليك مقبل بودِّه فسرك أن لا يُدبر عنك، فلا تنعم في الإقبال عليه والتفتح له، فإن الإنسان طُبع علىٰ ضرائب اللؤم، فمن شأنه أن يرحل عمن لصق به، ويلصق بمن رحل عنه.

صفة الشيطان

جعل الله تعالىٰ العصيان من صفة الشيطان وشأنه. قال الله تعالىٰ علىٰ لسان إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿إن الشيطان كان للرحمن عصيًّا﴾ [مريم: ٤٤].

وقال تعالىٰ:

﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس، كان من الجن، ففسق عن أمر ربه...﴾ [الكهف: ٥٠].

وقال عز وجل:

﴿ ولا تتبعوا خطوات الشيطان، إنه لكم عدو مبين. إنما يأمركم بالسوء والفحشاء، وأن تقولوا علىٰ الله ما لا تعلمون﴾.

وقال الله تعالىٰ محذراً عباده المؤمنين:

﴿ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء﴾ [النور: ٢١]

القرآن الكريم

خير ما يُذكِّر بالله تعالىٰ، ويعين علىٰ تقواه:

كتاب الله عز وجل:

قال الله تعالىٰ:

﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته، أولئك يؤمنون به، ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون﴾ [البقرة: ١٢١].

وقال سبحانه:

﴿ الذين يتلون كتاب الله، وأقاموا الصلاة، وأنفقوا مما رزقناهم سرًّا وعلانية، يرجون تجارة لن تبـور ليوفيهم أجورهم، ويزيدهم من فضله،

إنه غفور شكور﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

وقال تعالىٰ:

﴿أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يُتلىٰ عليهم، إن في ذلك لرحمة وذكرىٰ لقوم يؤمنون﴾ [العنكبوت: ٥١].

فينبغي للمؤمن أن يكون علىٰ صلة دائمة بكتاب الله تبارك وتعالىٰ، يقرؤه بتدبر وفهم وإمعان، ففيه الوعد الحسن للمتقين، وفيه الوعيد الشديد للكافرين والعصاة الفاسقين.

وينبغي للمؤمن أن يسأل أهل العلم والتقوىٰ عما لا يفهمه من كتاب الله سبحانه، ليتسنىٰ له العمل بعد العلم، والتقوىٰ بعد الفهم.

ينابيع العلم

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:
كونوا أوعية الكتاب وينابيع العلم.
وعدُّوا أنفسكم من الموتىٰ.
واسألوا الله رزق يوم بيوم، ولا يضركم إن يُكثر لكم.

مجالسة العلماء

عن عبدالله بن بسر قال: المتقون سادة، والعلماء قادة، ومجالستهم عبادة، بل ذلك زيادة، وأنتم بمر الليل والنهار في آجال منقوصة، وأعمال محفوظة، وأعدوا الزاد فكأنكم بالمعاد.

قالوا في الموت

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار. يقال: هذا مقعدك حتىٰ يبعثك الله إليه يوم القيامة**» رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه.

وقال علي رضي الله عنه لأبي ذر: زُرِ القبور تذكر بها الآخرة ولا تزرها بالليل، وغسل الموتىٰ يتحرك قلبك، وصل علىٰ الجنازة لعل ذلك يحزنك، فإن الحزين في ظل الله تعالىٰ.

وقيل لأعرابي: إنك تموت، قال: وإلىٰ أين أذهب؟؟ قالوا: إلىٰ الله تعالىٰ. فقال: لا أكره أن أذهب إلىٰ من لا أرىٰ الخير إلا منه.

بينما حسان رضي الله عنه جالس وفي حجره صبي يطعمه الزبد بالعسل إذ شرق الصبي فمات فقال:

اعمل وأنت صحيح مطلق فرح
ما دُمْتَ ويحك يا مغرور في مَهَلِ
يرجو الحياة صحيح ربما كمنت
المنية بين الزبد والعسل

لما قربت وفاة المأمون دخل عليه بعض أصدقائه فوجده قد فرض له

جلد دابة وبسط عليه الرماد وهو يتمرغ فيه ويقول: يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه.

حاتم الطائي والأعرابي

روي أنَّ أعرابياً استضاف حاتماً، فلم ينزله، فبات جائعاً مقروراً، فلما كان في السحر ركب راحلته وانصرف، فتقدمه حاتم متنكراً.

فقال له: من كان أبا مثواك البارحة؟

قال: حاتم. قال: فكيف كان مبيتك عنده؟

قال: خير مبيت، نحر لي ناقة، فأطعمني لحماً عبيطاً، وأسقاني لبناً وعلف راحلتي، وسرت من عنده بخير حال.

فقال: أنا حاتم، وإنك لا تبرح حتى ترى ما وصفت. فردّه، فقال له: ما حملك علىٰ الكذب؟

قال له الأعرابي: إن الناس كلَّهم يُثنون عليك بالجود، ولو ذكرت شراً كنت أكذِّب، فرجعت مضطراً إلىٰ قولهم إبقاء علىٰ نفسي لا عليك.

كرم الصحبة

قال يحيىٰ بن أكثم: ماشيت المأمون يوماً من الأيام في بستان مؤنسة بنت المهدي، فكنت من الجانب الذي يستره من الشمس.

فلما انتهىٰ إلىٰ آخره، وأراد الرجوع أردت أن أدور إلىٰ الجانب الذي يستره من الشمس، فقال: لا تفعل، ولكن كن بحالك حتىٰ أسترك كما سترتني.

فقلت: يا أمير المؤمنين، لو قدرت أن أقيك حرَّ النار لفعلت، فكيف الشمس؟ فقال: ليس هذا من كرم الصحبة ومشىٰ ساتراً لي من الشمس كما سترته.

الشاهد والكفيل

روىٰ الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه ذكر «أن رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار.

فقال: ائتني بشهداء أشهدهم.

قال: كفىٰ بالله شهيداً.

قال: ائتني بكفيل.

قال: كفى بالله كفيلاً.

قال: صدقت! فدفعها إليه إلىٰ أجل مسمىٰ، فخرج في البحر فقضىٰ حاجته ثم التمس مركباً يقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركباً، فأخذ خشبة فنقرها وأدخل فيها ألف دينار وصحيفة معها إلىٰ صاحبها ثم زج موضعها، ثم أتىٰ بها البحر ثم قال: اللهم إنك قد علمت أني استسلفت فلاناً ألف دينار فسألني كفيلاً فقلت: كفىٰ بالله كفيلاً فرضي بذلك، وسألني شهيداً فقلت: كفىٰ بالله شهيداً فرضي بذلك، وإني قد جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه بالذي أعطاني فلم أجد مركباً، وإني استودعتها فرمىٰ بها في البحر حتىٰ ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يطلب مركباً إلىٰ بلده فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركباً يجيئه بماله فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطباً فلما كسرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الرجل الذي كان تسلف منه فأتاه بألف دينار.

وقال: والله ما زلت جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه.

قال: هل كنت بعثت إليّ بشيء؟

قال: ألم أخبرك أني لم أجد مركباً قبل هذا الذي جئت فيه.

قال: فإن الله أدىٰ عنك الذي بعثت به في الخشبة فانصرف بألفك راشداً»!.

قال ابن كثير: هكذا رواه الإمام أحمد مسنداً وقد علقه البخاري في غير موضع من صحيحه بصيغة الجزم عن الليث بن سعد وأسنده في بعضها عن عبدالله بن صالح كاتب الليث عنه.

شجاعة وجهاد

كان عبدالله بن المبارك يقاتل ويحرض المؤمنين علىٰ القتال، ويجاهد ويكون في أول الصفوف، ويجالد بقوة ويتقدم حيث يتأخر الأبطال، وهذا ما حدَّث به أحد المرافقين لابن المبارك في إحدىٰ المعارك مع الروم.

حدَّث عبدة المروزي قال: كنا في سرية مع عبدالله بن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقىٰ الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلىٰ المبارزة، فخرج إليه رجل فقتله الرومي، ثم آخر فقتله، فتأخر عنه المسلمون فصال وجال بين الصفين ودعا إلىٰ المبارزة.

فخرج إليه رجل فطارده ساعة، ثم طعنه فقتله، فازدحم إليه الناس، فكنت فيمن ازدحم إليه، فإذا هو يُلَثِّم وجهه بكمّه حتىٰ لا يعرفه الناس، فأخذت بطرف كمه فمددته وأزحته عن وجهه، فإذا هو عبدالله بن المبارك. فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يشنّع علينا.

نعيم الدنيا لا يدوم

حضر علي بن أبي طالب رضي الله عنه جنازة فلما وضعت في لحدها ضجَّ أهلها وبكوا، فقال:

ما تبكون؟ أما والله لو عاينوا ما عاين ميتهم، لأذهلتم معاينتهم عن ميتهم، وإن له فيهم لعودة ثم عودة حتىٰ لا يبقىٰ منهم أحداً.

ثم قام فقال: أوصيكم عباد الله بتقوىٰ الله الذي ضرب لكم الأمثال، ووقَّتَ لكم الآجال، وجعل لكم أسماعاً تعي ما عناها، وأبصاراً لتجلو عن غشاها، وأفئدة تفهم ما دهاها، في تركيب صورها وما أعمرها فإن الله لم يخلقكم عبثاً، ولم يضرب عنكم الذكر صفحاً، الله أكرمكم بالنعم السوابغ، وأرفدكم بأوفر الروافد، وأحاط بكم الإحصاء، وأرصد لكم الجزاء في السّراء والضّراء.

فاتقوا الله عباد الله وجدّوا في الطلب، وبادروا بالعمل مقطع النهمات، وهادم اللذات، فإن الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها، غرور حائل، وشبح فائل، وسناد مائل، يمضي مستطرفاً، ويردىٰ مستردفاً، بإتعاب شهواتها، وختل تراضعها.

اتعظوا عباد الله بالعِبَر، واعتبروا بالآيات والأثر، وازدجروا بالنذر، وانتفعوا بالمواعظ، فكأن قد علقتكم مخالب المنية، وضمكم بيت التراب، ودهمتكم مقطعات الأمور بنفخة الصور، وبعثرة القبور، وسياقة المحشر،

وموقف الحساب، بإحاطة قدرة الجبار.

كل نفس معها سائق يسوقها لمحشرها، وشاهد شهد عليها بعملها: ﴿**وأشرقت الأرض بنور ربها، ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون**﴾ [الزمر: ٦٩]. فارتجت لذلك اليوم البلاد، ونادىٰ المناد، وكان يوم التلاق، وكشف عن ساق، وكسفت الشمس، وحشرت الوحوش، فكان موطن الحشر.

وبدت الأسرار، وهلكت الأشرار، وارتجت الأفئدة، فنزلت بأهل النار من الله سطوة مجيحة، وعقوبة منيحة، وبرزت الجحيم لها كلب ولجب، وقصيف رعد، وتغيظ ووعيد، تأجج جحيمها، وغلا حميمها، وتوقد سمومها، فلا ينفس خالدها، ولا تنقطع حسراتها، ولا يقصم كبولها، معهم ملائكة يبشرونهم بنزل من حميم، وتصلية جحيم، عن الله محجوبون، ولأوليائه مفارقون، وإلىٰ النار منطلقون.

الساعات والليالي

قال عمر بن ذر:

اعملوا لأنفسكم رحمكم الله في هذا الليل وسواده، فإن المغبون من غبن خير الليل والنهار، والمحروم من حرم خيرهما، وإنما جعلا سبيلاً للمؤمنين إلىٰ طاعة ربهم، ووبالاً علىٰ الآخرين للغفلة عن أنفسهم.

فأحيوا أنفسكم بذكر الله، فإنما تحيىٰ القلوب بذكر الله، كم من قائم في هذا الليل قد اغتبط بقيامه في حفرته، وكم من نائم في هذا الليل قد

ندم علىٰ طول نومه عندما يرىٰ من كرامة الله عز وجل للعابدين غداً، فاغتنموا ممر الساعات والليالي والأيام رحمكم الله.

عمل الليل لا يقبل بالنهار

أوصىٰ أمير المؤمنين أبو بكر عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فقال:

يا عمر إني مستخلفك من بعدي وموصيك بتقوىٰ الله تعالىٰ، إن لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وإنه لا يقبل نافلة حتىٰ تؤدىٰ الفريضة، فإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم، وحُقّ لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم، وحُقّ لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً.

وإن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فإذا سمعت بهم قلت: إني أخاف أن لا أكون من هؤلاء.

وذكر أهل النار فذكرهم بأقبح أعمالهم وأمسك عن حسناتهم فإذا سمعت بهم قُلت أنا خير من هؤلاء، وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغباً راهباً، ولا يتمنىٰ علىٰ الله غير الحق.

فإذا حفظت وصيتي فلا يكوننّ غائب أقرب إليك من الموت، ولن تُعجزه.

الموت مكتوب علينا

قال أنس بن مالك رضي الله عنه:

أيها الناس! كأن الموت فيها علىٰ غيرنا كُتِبْ، وكأن الحق فيها علىٰ غيرنا وَجَب، وكأن ما نشيّع من الموتىٰ عن قليل إلينا راجعون، ونأكل تراثهم كأنا مخلدون من بعدهم، فطوبىٰ لمن شغله عيبه عن عيب غيره، طوبىٰ لمن ذلَّ نفسه من غير منقصة، ورحم أهل الذل والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة، طوبىٰ لمن ذل نفسه، وطاب كسبه، وصلحت سريرته، وحسنت خليقته، وكرمت علانيته، وعزل عن الناس شره، طوبىٰ لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله.

اليقين والعمل

أخرج ابن عساكر عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ما كان في صحف موسىٰ؟ قال: «كان فيه:

عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح بالدنيا!

وعجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك!

وعجبت لمن أيقن بالحساب كيف يعمل السيئات!

وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف ينصب!

وعجبت لمن يرىٰ الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها!

وعجبت لمن أيقن بالجنة ولا يعمل الحسنات، لا إله إلا الله محمد رسول الله».

كلمات من الحكمة والمروءة

عن الحارث أن عليًّا سأل الحسن رضي الله عنهما عن أمر المروءة فقال: يا بني: ما السداد؟ قال: رفع المنكر بالمعروف.

قال: فما الشرف؟ قال: اصطناع العشيرة وحمل الجريرة، وموافقة الإخوان، وحفظ الجيران.

قال: فما المروءة؟ قال: العفاف وإصلاح المال.

قال: فما الدقة؟ قال: النظر في اليسير ومنع الحقير.

قال: فما اللؤم؟ قال: إحراز المرء نفسه وبذله عرسه.

قال: فما السماحة؟ قال: البذل من العسير واليسير.

قال: فما الشح؟ قال: أن ترىٰ ما أنفقته تلفاً.

قال: فما الإخاء؟ قال: المواساة.

قال: فما الجبن؟ قال: الجرأة علىٰ الصديق والنكول عن العدو.

قال: فما الغنيمة؟ قال: الرغبة في التقوىٰ، والزهد في الدنيا.

قال: فما الحلم؟ قال: كظم الغيظ وملك النفس.

قال: فما الغنىٰ؟ قال: رضا النفس بما قسم الله تعالىٰ لها وإن قل، وإنما الغنىٰ غنىٰ النفس.

قال: فما الفقر؟ قال: شره النفس في كل شيء.

قال: فما المنعة؟ قال: الفزع عند المصدوقة.

قال: فما الكلفة؟ قال: كلامك فيما لا يعنيك.

قال: فما المجد؟ قال: أن تعطي في الغرم وتعفو عن المجرم.

قال: فما العقل؟ قال: حفظ القلب ما استودعته.

قال: فما حسن الثناء؟ قال: إتيان الجميل وترك القبيح.

قال: فما الحزم؟ قال: طول الأناة والرفق بالولاة.
قال: فما السفه؟ قال: الدناءة ومصاحبة الغواة.
قال: فما الغفلة؟ قال: ترك المسجد وطاعة المفسد.
قال: فما الحرمان؟ قال: تركك حظك وقد عرض عليك.
قال: فما الأحمق؟ قال: الأحمق في ماله المتهاون في عرضه!!.

شكر المنعم

إن باب التوفيق أغلق دون الخلق لعدة أشياء:

انشغالهم بالنعمة عن شكرها.
ورغبتهم في العلم وتركهم العمل.
ومسارعتهم إلى الذنب وتأخير التوبة.
والاعتزاز بصحبة غير الصالحين.
وإقبال الآخرة عليهم وهم مقبلون على الدنيا.

لا يدوم إلا وجهه الكريم

دخل أعرابي عمّر مائة وعشرين سنة علىٰ معاوية فقال له: صف لي الدنيا، فقال:

سنيّات بلاء، وسنيّات رخاء، يولد مولود، ويهلك هالك، ولولا المولود باد الخلق، ولولا الهالك ضاقت الأرض! وهذه تقلبات الزمان، وتغيرات الأحوال، وسبحان من لا يدوم إلا وجهه الكريم.

أجوبة سديدة

سأل الحجاج يوماً الغضبان بن القبعثري عن مسائل يمتحنه فيها.

فقال له: من أكرم الناس؟

قال: أفقهم في الدين، وأصدقهم لليمين وأبذلهم للمسلمين، وأكرمهم للمهانين، وأطعمهم للمساكين.

قال: فمن ألأم الناس؟؟

قال: المعطي على الهوان، المقتر على الإخوان الكثير الألوان.

قال: فمن أشجع الناس؟؟

قال: أضربهم بالسيف وأقراهم للضيف وأتركهم للحيف.

قال: فمن شر الناس؟؟

قال: أطولهم جفوة وأدومهم صبوة وأشدهم قسوة.

قال: فمن أجبن الناس؟؟

قال: المتأخر عن الصفوف، المنقبض عن الزحوف، المرتعش عند الوقوف، المحب ظلال السقوف، الكاره لضرب السيوف.

قال: فمن أثقل الناس؟؟

قال: المتفنن في الملام، الضنين بالسلام، المهذار في الكلام، المقبقب على الطعام.

قال: فمن خير الناس؟؟

قال: أكثرهم إحساناً، وأقومهم ميزاناً، وأدومهم غفراناً، وأوسعهم ميداناً.

قال: فمن العاقل والجاهل؟؟

قال: العاقل الذي لا يتكلم هذراً، ولا ينظر شذراً، ولا يضمر غدراً،

ولا يطلب عذراً. والجاهل هو المهذار في كلامه، المنان بطعامه، الضنين بسلامه، المتطاول على إمامه، الفاحش على غلامه.

قال: فما الحازم الكيس؟؟

قال: المقبل على شأنه التارك لما لا يعنيه.

قال: فما العاجز؟؟

قال: المعجب بآرائه، الملتفت إلى ورائه.

قال الحجاج: هل عندك من النساء خبر؟؟

قال: بشأنهم خبيرا!! إن النساء من أمهات الأولاد بمنزلة الأضلاع إن عدلتها انكسرت ولهن جوهر لا يصلح إلا على المداراة، فمن داراهن انتفع بهن وقرت عينه، ومن شاورهن كدر عيشه وتكدرت عليه حياته وتنغصت لذاته، فأكرمهن أعفهن، وأفخر أحسابهن العفة، فإذا زلن عنها فهن أنتن من الجيفة.

الراغبون في الآخرة

قال نوف البكالي: رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه خرج فنظر إلى النجوم فقال: يا نوف أراقد أنت أم رامق؟ قلت بل رامق يا أمير المؤمنين. فقال: يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً، وترابها فراشاً، وماءها طيباً، والقرآن والدعاء دثاراً وشعاراً.

قرضوا الدنيا على منهاج الصالحين السابقين. يا نوف إن الله تعالى أوحى إلى عيسى أن مر بني إسرائيل أن لا يدخلوا بيتاً من بيوتي إلا بقلوب طاهرة، وأبصار خاشعة، وأيد نقية، فإني لا أستجيب لأحد منهم ولأحد من خلقي عنده مظلمة.

الدهر رواغ

يا طالِبَ الحكمة مِنْ أهلها
النَّورُ يجلو لونَ ظلمائِهِ
والأصْلُ يسقي أبداً فرعه
وتُثْمِرُ الأكمام من مائِهِ
من حسد النَّاس علىٰ مالِهم
تحمَّلَ الهمَّ بأعْبائِهِ
والدَّهْرُ روّاغٌ بأبْنائِهِ
يغُرّهم منه بحَلْوائِه
يُلْحِقُ آباء بأبْنَائِهم
ويُلْحِقُ الابنَ بآبائِهِ
والفِعْلُ منسوبٌ إلىٰ أهلِهِ
كالشّيْءِ تدْعُوهُ بأسمائِهِ

من ديوان أبي العتاهية

عزائم الصبر

من وصايا ومواعظ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

اتعظ بغيرك ولا يكونن غيرك متعظاً بك، واحتذ بحذاء الصالحين،

واقتد بآدابهم وسر بسيرتهم، واعرف الحق لمن عرفه لك رفيعاً كان أو ضعيفاً.

واطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحُسن اليقين.

من ترك القصد جار، نعم حظ المرء القناعة! شر ما أشعر قلب المرء الحسد، وفي القنوط التفريط، وفي الخوف من العواقب البغي.

الحسد لا يجلب إلا مضرة وغيظاً يوهن قلبك ويمرض جسمك، فاصرف عنك الحسد تغنم، وأنق صدرك من الغل تسلم.

وارج الذي بيده خزائن الأرض والأقوات والسماوات، وسله طيب المكاسب تجده منك قريباً ولك مجيباً. الشح يجلب الملامة، والصاحب الصالح مناسب، والصديق من صدق غيبه.

الشكر والصبر

سافر عمرو بن العلاء إلى الخليفة هشام فأصابت رجله في الطريق عظمة، فلما وصل إلى الشام، حتى سرى الفساد في رجله سريان السم في الأجسام، وأحضر الخليفة الأطباء فقرروا البتر ـ القطع ـ إن أراد الشفاء، فعرضوا عليه مرقداً فقال: ما أحب أن أغفل عن ذكر الله أبداً، فلما بتروها قال، وقد رفع بصره إلى السماء: اللهم إن كنت أخذت مني عضوا، فقد بقي لي أعضاء.

وما كاد ينتهي من هذا المقال، حتى جاءه أن ولده سقط من السطح فمات في الحال، فرفع بصره إلى السماء ثانياً وقال: اللهم إن كنت أخذت لي ابناً، فلقد بقي لي أبناء، فلك الحمد على الضراء والسراء.

من مواعظ ابن عبدالعزيز

قال أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رحمه الله:
من لم يعدّ كلامه من عمله كثرت خطاياه.

وبكىٰ أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز يوماً بين أصحابه فسئل عن ذلك. فقال:

فكرت في الدنيا ولذاتها وشهواتها، فاعتبرت منها بها.
ما تكاد شهواتها تنقضي، حتىٰ تكدرها مرارتها.
ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر، إنّ فيها مواعظ لمن ادَّكر.

وقال عمر بن عبدالعزيز لخالد بن صفوان: عظني وأوجز. فقال خالد:

يا أمير المؤمنين إن أقواماً غرَّهم ستر الله، وفتنهم حسن الثناء، فلا يغلبنَّ جهل غيرك بك علمك بنفسك أعاذنا الله وإياك أن نكون بالستر مغرورين، وبثناء الناس مسرورين، وعمّا افترض الله علينا متخلفين ومقصرين، وإلىٰ الأهواء مائلين، فبكىٰ عمر وقال: أعاذنا الله وإياك من اتباع الهوىٰ.

قال عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه: القلوب أوعية الأسرار، والشفاء أقفالها، والألسن مفاتيحها، فليحفظ كل امرىء مفتاح سره.

قدم وافدٌ علىٰ عمر بن عبدالعزيز رحمه الله فقال له: كيف تركت

الناس؟

قال: تركت غنيهم موفوراً، وفقيرهم مجبوراً، وظالمهم مقهوراً، ومظلومهم منصوراً، فقال: الحمد لله لو لم تتمَّ واحدة من هذه الخصال إلا بعضو من أعضائي لكان يسيراً.

وكتب عمر بن عبدالعزيز إلىٰ الجراح بن عبدالله الحكمي: **إن استطعت أن تدع مما أحلَّ الله لك ما يكون حاجزاً بينك وبين الحرام فافعل، فإن من استوعب الحلال تاقت نفسه إلىٰ الحرام.**

المرء كثير بإخوانه

دعا أكثم بن صيفي أولاده عند موته فاستحضر جملة من السهام وربطها ربطاً محكماً، وطلب إلىٰ كل واحد منهم أن يكسرها بمفرده، فلم يقدر واحد علىٰ كسرها.

ثم فرقها، وأعطىٰ كلاًّ منهم سهماً، فاستسهله وكسره.

فقال: كونوا هكذا مجتمعين، ليعجز مناوئكم عن كسركم، وأنشد:

كونوا جميعاً يا بني إذا اعترىٰ
خطب ولا تتفرقوا آحادا
تأبىٰ الرماح إذا اجتمعن تكسراً
وإذا افترقن تكسرت أفرادا

كفارات الذنوب

عن عبدالرحمن بن عائش الحضرمي قال: صلىٰ بنا رسول الله ﷺ ذات غداة فقال قائل: ما رأيت أسفر وجهاً منك الغداة! فقال:

«ما لي وقد رأيت ربي الليلة في أحسن صورة، فقال لي: يا محمد! فيما يختصم الملأ الأعلىٰ؟ قلت: لا أعلم، فوضع كفه بين كتفي، فوجدت بردها بين ثديي، فعلمت ما في السموات وما في الأرض، ثم تلا ﴿وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السموات والأرض، وليكون من الموقنين﴾ [الأنعام: ٧٦].

ثم قال: فيما يختصم الملأ الأعلىٰ يا محمد؟ قلت: في الكفارات يا رب! قال: وما هن؟

قلت: المشي علىٰ الأقدام إلىٰ الجماعات، والجلوس في المساجد خلف الصلوات، وإبلاغ الوضوء أماكنه في المكاره، من يفعل ذلك يعش بخير ويمت بخير، ويكن من خطيئته كيوم ولدته أمه، ومن الدرجات إطعام الطعام، وبذل السلام، وأن تقوم بالليل والناس نيام، ثم قال: قل يا محمد واشفع تُشفَّع وسل تُعطه.

قلت: إني أسألك الطيبات، وترك المنكرات، وحُبَّ المساكين، وأن تغفر لي وتتوب علي، وإن أردت بقوم فتنة فتوفني وأنا غير مفتون.

ثم قال رسول الله ﷺ: **تعلَّموهن، فوالـذي نفسي بيده! إنهن لحق**».
ذكـره عبـدالـرزاق في «المصنف» وقال: أخرجه ابن منده، والبغوي، والبيهقي، وابن عساكر.

الدنيا زائلة

قال عون بن عبدالله:
بينما كان رجل جالساً كئيباً حزيناً يبكي ينكت في الأرض بشيء معه، فرفع رأسه فإذا صاحب مسحاة قد مثل له. فقال: مالي أراك مهموماً حزيناً؟ فكأنه ازدراه، فقال: لا شيء فقال:
أبالدنيا؟ فإن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر، وإن الآخرة أجل صادق يحكم فيها ملك قادر، يفصل بين الحق والباطل، حتىٰ ذكر أن لها مفاصل كمفاصل اللحم من أخطأ منها شيئاً أخطأ الحق، قال: فأعجب بذلك من كلامه، فقال: اهتمامي بما فيه المسلمون.

فقال: إن الله سينجيك بشفقتك علىٰ المسلمين، وسل! من ذا الذي سأل فلم يعطه، أو دعا الله فلم يجبه، أو توكل عليه فلم يكفه، أو وثق به فلم ينجه، قال: فعلقت الدعاء فقلت: اللهم سلمني وسلم مني.

ملك هالك

نظر أنوشـروان إلىٰ ملكه فأعجبه، فقال: هذا مُلْكٌ لولا أنه هالك، ونعيم لولا أنه عديم، وغِناء لولا أنه عناء، وسرور لولا أنه شرور، ويوم لو كان يوثق له بغد.

انتباهة عند الاحتضار

يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه «صيد الخاطر»:

من أظرف الأشياء إفاقة المحتضر عند موته، فإنه ينتبه انتباها لا يوصف، ويقلق قلقاً لا يحد، ويتلهف على زمانه الماضي.

ويود لو ترك كي يتدارك ما فاته ويصدق في توبته على مقدار يقينه بالموت ويكاد يقتل نفسه قبل موتها بالأسف.

ولو وجدت ذرة من تلك الأحوال في أوان العافية حصل كل مقصود من العمل بالتقوى.

فالعاقل من مثّل تلك الساعة وعمل بمقتضى ذلك.

فإن لم يتهيأ تصوير ذلك على حقيقته تخايله على قدر يقظته.

فإنه يكف كف الهوى ويبعث على الجد.

فأما من كانت تلك الساعة نصب عينيه كان كالأسير لها.

قال معروف لرجل: صلّ بنا الظهر، فقال: إن صليت بكم الظهر لم أصل بكم العصر، فقال: وكأنك تؤمل أن تعيش إلى العصر، نعوذ بالله من طول الأمل.

وذكر رجل رجلا بين يديه بغيبة، فجعل معروف يقول له: اذكر القطن إذا وضعوه على عينيك.

الدنيا دار بلاغ

خطب بعض الأعراب يوم الجمعة فقال:

إنَّ الدنيا دار بلاغ، والآخرة دار قرار، فخذوا لمقرّكم من ممرّكم، ولا

تهتكوا أستاركم، عند من لا تخفىٰ عليه أسراركم، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم، قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففيها حييتم، ولغيرها خلقتم.

إنَّ الرجل إذا هلك، قال الناس: ما ترك؟ وقالت الملائكة: ما قدّم؟ فلله آباؤكم، قدِّموا بعضاً، يكن لكم قرضاً، ولا تُخلِّفوا كُلًّا، يكن عليكم كَلًّا.

نوادر من الحكمة

اجتمعت علماء العرب والعجم علىٰ أربع كلمات:

لا تحمل علىٰ ظنك ما لا تطيق.
ولا تعمل عملاً لا ينفعك.
ولا تغتر بجهل
ولا تثق بمال وإن كثُر.
لا ترتب في أحد.
ولا تخـن أحداً أبداً بدون سابق تجربة واختبار.
ولا تصدق كل شيء مستغنياً عن الأدلة والبراهين.
يا نفس لا تطيعي هواك.
ولاتقنطي من رحمة مولاك.
اعملي صالحاً يبق لك أثره الجميل خالداً.
فكل شيء زائل إلا الذكر الحسن فيبقىٰ أبداً.

حديث الغار

عن أبي عبدالرحمن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم، حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم.

قال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي طلب الشجر يوماً، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت ـ والقدح على يدي ـ أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، والصبية يتضاغون عند قدمي، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة. فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه.

قال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إليّ ـ وفي رواية: كنت أحبُها كأشدً ما يحب الرجال النساء، ـ فأردتها على نفسها فامتنعت مني، حتى ألمت بها سنةٌ من السنين، فجاءتني، فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلّي بيني وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قدرت عليها، قالت: اتق الله ولا تفضّ الخاتم إلا بحقه، فانصرفتُ عنها وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

وقال الثالث: اللهم استأجرت أجَراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد، ترك الذي له وذهب، فثمّرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبدالله، أدِّ إليَّ أجري، فقلت: كلُّ ما ترى من أجرك: من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال: يا عبدالله لا تستهزىء بي! فقلت: لا أستهزىء بك. فأخذه كلّه فاستاقه، فلم يترك منه شيئا، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون».

رواه البخاري ومسلم.

الناس و العلوم

العلوم للمجتمع ثلاثة:

علوم الفقراء: وهو ما تحتاج إليه الأمة الضعيفة لتستوي على قدميها، كعلم الطب والهندسة والفيزياء والكيمياء وما أشبهها.

وعلوم الأغنياء: وهو ما تحتاج إليه الأمة القوية، لتستمر في أداء دورها الحضاري، كعلوم الذرة والفضاء، وكل يؤدي إلى تطور المكتشفات والمخترعات.

وعلوم المترفين: وهو ما يشغل به بعض أبناء الأمم القوية أنفسهم من أبحاث لا تزيد في تطور الحضارة.

كرم المؤمن تقواه

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

كرم المرء تقواه، ودينه وحسبه إيمانه ومروءته خلقه.

والجرأة والجبن غرائز في الرجال، فيقاتل الرجل الشجاع عمن يعرف ومن لا يعرف، ويفرّ الجبان عن أبيه وأمه.

والحسب والمال، والكرم التقوىٰ.

لست بأخْيَرَ من فارسي ولا عجمي ولا نبطي إلا بالتقوىٰ.

البراءة من الظلم

كتب عمر بن عبدالعزيز إلىٰ أهل الموسم أما بعد:

فإني أشهد الله وأبرأ إليه في الشهر الحرام والبلد الحرام ويوم الحج الأكبر، أني بريء من ظلم من ظلمكم، وعدوان من اعتدىٰ عليكم، أن أكون أمرت بذلك أو رضيته أو تعمدته، إلا أن يكون وهماً مني، أو أمراً خفي علي لم أتعمده، وأرجو أن يكون ذلك موضوعاً عني مغفوراً لي، إذا علم مني الحرص والاجتهاد.

ألا وإنه لا إذن علىٰ مظلوم دوني وأنا معول كل مظلوم، ألا وأي عامل من عمالي رغب عن الحق ولم يعمل بالكتاب والسنة فلا طاعة له عليكم، وقد صيرت أمره إليكم حتىٰ يراجع الحق وهو ذميم، ألا وإنه لا دولة بين أغنيائكم، ولا أثرة علىٰ فقرائكم في شيء من فيئكم، ألا وأيما وارد ورد

في أمر يصلح الله به خاصاً أو عاماً من هذا الدين فله ما بين مائتي دينار إلىٰ ثلاث مائة دينار علىٰ قدر ما نوىٰ من الحسنة، وتجشم من المشقة.

رحم الله امرءاً لم يتعاظمه يحيي الله به حقاً لمن وراءه، ولولا أن أشغلكم عن مناسككم لرسمت لكم أموراً من الحق أحياها الله لكم، وأموراً من الباطل أماتها الله عنكم، وكان الله هو المتوحد بذلك فلا تحمدوا غيره.

دليل قدرة الله

أيها المحزونون: خلق الله الزهور والرياض، وجمال الكون لكم قبل غيركم.

أيها المرضى: خلق الله الشمس والهواء، والماء والغذاء، لكم قبل غيركم.

أيها المحرومون: خلق الله أنفع الأغذية وأرخصها، لكم قبل غيركم.

أيها المضطهدون: خلق الله هذه الأرض الواسعة، لكم قبل غيركم.

أيها المظلومون: خلق الله السموات مفتحة الأبواب لدعواتكم قبل غيركم.

أيها المتألمون: خلق الله لكم فيما حولكم ما ينسيكم آلامكم وأحزانكم وعبراتكم.

أيها الحائرون: كل يوم يخلق الله لكم دليلاً عليه، فاستعملوا عقولكم.

أيها الملحدون: في عجزكم عن درء الأذى عن أنفسكم دليل على وجود خالقكم.

أيها الباحثون: في أنفسكم وفيما حولكم دليل حكمته وقدرته، فلا تغمضوا عيونكم.

أيها المؤمنون: في أسرار الوجود التي تتكشف يوماً بعد يوم دليل على صحة عقيدتكم.

اتقوا الدنيا والنساء

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:

«أما بعدُ! فإن الدنيا حُلوةٌ خضرةٌ، وإن الله تعالىٰ مستخلفكم فيها فناظرٌ كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أولَ فتنة بني إسرائيل كانت النساء، ألا! إن بني آدم خلقوا علىٰ طبقات شتىٰ، منهم من يولد مؤمناً ويَحْيىٰ كافراً ويموت كافراً، ومنهم من يولدُ مؤمناً ويحيىٰ مؤمناً ويموتُ كافراً، ومنهم من يولد كافراً ويحيىٰ كافراً ويموت مؤمناً.

ألا! إن الغضب جمرةٌ توقدُ في جوف ابن آدم، ألا ترَوْن إلىٰ حُمرة عينيه وانتفاخ أوداجه! فإذا وَجَدَ أحدكم شيئاً من ذلك فالأرض الأرض!

ألا! إن خير الرجال من كان بطيء الغضب سريع الرضاء، وشرَّ الرجال من كان سريع الغضب بطيء الرضاء، إذا كان الرجلُ بطيء الغضب بطيء الفيء وسريع الغضب سريع الفيء فإنها بها.

ألا! إن خير التُّجار من كان حسن القضاء حسن الطلب، وشرَّ التجار من كان سيء القضاء سيء الطلب أو كان سيء القضاء حسن الطلب فإنها بها.

ألا! إن لكلِّ غادرٍ لواء يوم القيامة بقدر غدرته، ألا! وأكبر الغدْرِ غدْرُ أمير عامة، ألا! لا يمنعن رجل مهابة الناس أن يتكلم بالحق إذا علمه،

ألا! إن أفضلَ الجهادِ كلمة حق عند سلطان جائر، ألا! إن مثلَ ما بقي من الدنيا فيما مضىٰ منها مثل ما بقي من يومكم هذا فيما مضىٰ منه».

أخرجه الترمذي في كتاب الفتن، وصدره في صحيح مسلم.

صفة المؤمنين

إطعام اليتيم الجائع، والقريب المسكين:
قال الله تعالىٰ: ﴿**أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة**﴾ [البلد: ١٤ ـ ١٦].

الخوف من الله رب العالمين ومراقبته في جميع التصرفات:
قال الله تعالىٰ: ﴿**لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إنّي أخاف الله ربَّ العالمين**﴾ [المائدة: ٢٨].

أداء الواجب ـ في عفة ـ ابتغاء وجه الله ـ سبحانه:
قال الله تعالىٰ: ﴿**فسقى لهما ثم تولّى إلى الظِّل، فقال**: ربِّ **إني لما أنزلت إليّ من خير فقير**﴾ [القصص: ٢٤].

الدعوة إلى الله، وعمل ما فيه المصلحة، وإسلام الأمر لله:
قال الله تعالىٰ: ﴿**ومن أحسن قولاً ممن دعا إلىٰ الله، وعمل صالحاً وقال: إنني من المسلمين**﴾ [فصلت: ٣٣].

كظم الغيظ، والعفو عمن أساء:
قال الله تعالىٰ: ﴿**والكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين**﴾ [آل عمران: ١٣٤].

أسرع بالخير

يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه «صيد الخاطر»:

كل من يتلمح العواقب ولا يستعد لما يجوز وقوعه فليس بكامل العقل واعتبر هذا في جميع الأحوال، مثل أن يغتر بشبابه ويدوم على المعاصي ويُسوّف بالتوبة، فربما أخذ بغتة ولم يبلغ بعض ما أمل.

وكذلك إذا سوّف بالعمل أو بحفظ العلم، فإن الزمان ينقضي بالتسويف ويفوت المقصود، وربما عزم على فعل خير أو وقف شيء من ماله فسوّف فبُغت.

فالعاقل من أخذ بالحزم في تصويره ما يجوز وقوعه وعمل بمقتضى ذلك، فإن امتد الأجل لم يضره، وإن وقع المخوف كان محترزاً.

ومما يتعلق بالدنيا أن يميل مع السلطان ويسيء إلى بعض حواشيه ثقة قربه منه، فربما تغير ذلك السلطان فارتفع عدوه فانتقم منه.

وقد يعادي بعض الأصدقاء ولا يبالي به لأنه دونه في الحالة الحاضرة فربما صعدت مرتبة ذلك فاستوفى ما أسلفه إليه من القبيح وزاد.

فالعاقل من نظر فيما يجوز وقوعه ولم يعادِ أحداً.

فإن كان بينهما ما يوجب المعاداة كتم ذلك، فإن صح له أن يثب على عدوه فينتقم منه انتقاماً يبيحه الشرع جاز، على أن العفو أصلح في باب العيش.

لهذا ينبغي أن يخدم البطال، فإنه ربما عمل فعرف ذلك لمن خدم، وقسْ على أن نموذج ما ذكرته من جميع الأحوال.

بين اليأس والطمع

خُذ من يَقِينك ما تجلُو الظّنونَ به
وإنْ بدا لكَ أمرٌ مُشكِلٌ فدعِ
قَدْ يُصْبِحُ المرءُ فيما ليسَ يُدرِكه
مُعَلَّقَ البال بيْنَ اليأْسِ والطّمعِ
لم يَعْمَلِ النّاسُ في التّصحيح بينهم
فاضطرّ بعضُهم بعضاً إلىٰ الخُدعِ

من ديوان أبي العتاهية

○ ○ ○

اغتنم يومك

سَتَنْقَطعُ الدّنيا بنُقصان ناقِصٍ
مِنَ الخَلْقِ فيها أو زيادةِ زائِدِ
وَمَنْ يَغْتَنِمْ يوماً يجِدْهُ غَنيمَةً
وَمَنْ فاتَهُ يوْمٌ فلَيسَ بعائِدِ
وما المَوْتُ إلّا مَوْرِدٌ دونَ مَصْدَرٍ
وَما النّاس إلّا واردٌ بعد واردِ

من ديوان أبي العتاهية

تقلبات الدنيا

قال ابن خلّكان: من أعجب ما يؤرخ من تقلّبات الدنيا بأهلها ما حكاه محمد بن غسان عن ابن عبد الرحمن الهاشمي قال:

دخلت علىٰ والدتي في يوم نحر فوجدت عندها امرأة برزة في ثياب رثة فقالت لي والدتي: أتعرف هذه؟ قلت: لا. قالت: هذه أم جعفر البرمكي.

فأقبلت عليها بوجهي وأكرمتها وتحادثنا زماناً، ثم قلت: يا أمي ما أعجب ما رأيت؟ قالت: لقد أتىٰ عليّ يا بني عيد مثل هذا وعلىٰ رأسي أربعمائة وصيفة وإني لأعدّ ابني عاقاً لي، ولقد أتىٰ عليّ هذا العيد وما مناي إلا جلد شاتين أفترش أحدهما وألتحف بالآخر.

قال: فدفعت لها خمسمائة درهم، فكادت تموت فرحاً بها، ولم تزل تختلف إلينا حتىٰ فرّق الموت بيننا.

○ ○ ○

يوم القيامة وشدته

كتب عمر بن عبدالعزيز إلىٰ بعض عماله، أما بعد:

فكأن العباد قد عادوا إلىٰ الله تعالىٰ ثم ينبئهم بما عملوا ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنىٰ، فإنه لا مُعقّب لحكمه ولا ينازع في أمره، ولا يقاطع في حقه الذي استحفظه عباده وأوصاهم به، وإني أوصيك بتقوىٰ الله، وأحثّك علىٰ الشكر فيما اصطنع عندك من نعمة، وآتاك من كرامة، فإن نعمه يمدّها شكره، ويقطعها كفره.

أكثر ذكر الموت الذي لا تدري متىٰ يغشاك، وأكثر من ذكر يوم القيامة وشدته، فإن ذلك يدعوك إلىٰ الزهادة فيما زهدت فيه، والرغبة فيما رغبت فيه، ثم كن مما أوتيت من الدنيا علىٰ وجل، فإن من لا يحذر ذلك ولا يتخوفه توشك الصرعة أن تدركه في الغفلة.

وأكثر النظر في عملك في دنياك بالذي أمرت به، ثم اقتصر عليه، فإن فيه لعمري شغلاً عن دنياك، ولن تدرك العلم حتىٰ تؤثره علىٰ الجهل، ولا الحق حتىٰ تذر الباطل، فنسأل الله لنا ولك حسن معونته، وأن يدفع عنا وعنك بأحسن دفاعه برحمته.

○ ○ ○

الأنبياء والفقهاء

من أقوال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

الأنبياء قادة، والفقهاء سادة، ومجالستهم زيادة، وأنتم في ممر الليل والنهار، في آجالٍ منقوصةٍ وأعمال محفوظة، والموت يأتيكم بغتةً، فمن زرع خيراً يحصد رغبة، ومن زرع شراً يحصد ندامةً.

احفظ أربعاً وأربعاً

عن عقبة بن أبي الصهباء قال: لما ضرب ابن ملجم علياً دخل عليه الحسن وهو يبكي، فقال له: ما يبكيك يا بني؟ قال: وما بي لا أبكي وأنت في أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا، يا بني! احفظ أربعاً وأربعاً لا يضرك ما عملت معهنّ، قال: وما هنّ يا أبت؟

قال: إن أغنىٰ الغنىٰ العقل.

وأكبر الفقر الحمق.

وأوحش الوحشة العُجْب.

وأكرم الكرم حسن الخلق.

قال: قلت: يا أبت! هذه الأربع، فأعلمني الأربع الأخرىٰ، قال:

إياك ومصادقة الأحمق! فإنه يريد أن ينفعك فيضرك.

وإياك ومصادقة الكذاب! فإنه يقرب عليك البعيد، ويبعد عليك القريب.

وإياك مصادقة البخيل! فإنه يبعد عنك أحوج ما تكون إليه.

وإياك ومصادقة الفاجر! فإنه يبيعك بالتافه.

لا شيء عنده

عن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف أن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه أُتيَ بطعام وكان صائماً فقال:

قُتِلَ مصعب بن عمير رضي الله عنه، وهو خيرٌ مني، فلم يوجد له ما يُكفَّن فيه إلاَّ بُردة إن غُطِّي به رأسه بدَتْ رجلاه، وإن غُطِّي بها رجلاه بدا رأسه، ثُمَّ بُسط لنا من الدنيا ما بُسط ـ أو قال أُعطينا ـ قد خشينا أن تكون حسناتنا عجِّلت لنا، ثُمَّ جعل يبكي حتىٰ ترك الطعام. رواه البخاري.

جوع وشبع

قال عون بن عبدالله: إن الله تعالىٰ ليدخل الجنة قوماً فيعطيهم حتىٰ يتملوا، وفوقهم ناس في الدرجات العلىٰ، فلما نظروا إليهم عرفوهم، فيقولون: يا ربنا إخواننا يجوعون حين تشبعون، ويظمؤون حين تروون، ويقومون حين تنامون، ويشخصون حين تخفضون.

وصايا ومواعظ

قال يحيىٰ بن معاذ: اعلموا أن الدرهم عقرب، فمن لم يحسن رقيته قتله سمه، فقيل له: وما رقيته؟ أن يؤخذ من حله ويوضع في حله.

وقال أبو حازم: أنفقوا ولا تخشوا الضيعة علىٰ أولادكم، فإنهم إن كانوا مؤمنين فإن الله يرزقهم بغير حساب، وإن كانوا فاسقين فلا تساعدوهم علىٰ الفسق بأموالكم.

وقال يحيىٰ بن معاذ: يخاف أحدنا من فضيحة الدنيا وفقرها، ولا يخاف من فضيحة الآخرة وفقرها، مع أن فقر الشخص من الأعمال الصالحة في الآخرة يكون به أشد خجلاً من الناس، فبئس ما فعلنا!

وقال وهيب المكي: كيف ينبغي لأحد أن يضحك في الدنيا وهو يعلم أن بين يديه القيامة: صرخات، وجولات، ووقفات، يكاد الإنسان أن تنقطع مفاصله من شدة الرعب والخوف!

وقال رجل لعمر بن عبدالعزيز: أوصني! فقال له: احذر أن تكون ممن يخالط الصالحين ولا ينتفع بهم، أو يلوم المذنبين ولا يجتنب الذنب، أو ممن يلعن الشيطان في العلانية ويطيعه في السر.

رجاحة العقل

قدم أحد الشعراء على أمير، فاستقبله الخدم بكل كرامة وأدخلوه على الأمير، فمدحه وأجزل الأمير صلته، فلما أراد الخروج لم يشيّعه أحد من خدم الأمير، فأخذ يلومهم على تقصيرهم.

فقالوا له: إنّنا لا نقوم بخدمة من يخرج من عندنا، بل نرحّب بمن يأتي إلينا، لأننا نفرح باستقبال الضيوف، ولا نرى كرامة في تشييعهم. فتعجب الشاعر من عقلهم وسعة صدورهم، فأثنى عليهم بقوله: إنكم أحقّ بالمديح من مولاكم.

العقل والمروءة

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالىٰ:

من سام نفسه فوق ما يساوي ردّه الله إلىٰ قيمته.

العاقل من عَقَله عَقْله عن كل مذموم.

المروءة أربعة أركان: حسن الخلق، والسخاء، والتواضع، والنسك.

والله الذي لا إلّه إلا هو لو علمت أن شرب الماء ينقص من مروءتي ما شربته.

المروءة عفة الجوارح عما لا يعنيها.

لا يكمل الرجل في الدنيا إلا بأربع: الديانة، والأمانة، والصيانة، والرزانة.

الانبساط إلىٰ الناس مجلبة لقرناء السوء، والانقباض عنهم مكسبة للعداوة. فكن بين المنقبض والمنبسط.

طريق الخائفين

سأل رجل عمر بن ذر فقال: أيهما أعجب إليك للخائفين؟ طول الكمد، أو إرسال الدمعة؟

فقال: أما علمت أنه إذا رق بدر شفىٰ وسلىٰ، وإذا كمد غص فسبح، فالكمد أعجب إلي لهم.

الخليفة والشعراء

وقف الشعراء بباب الخليفة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه فلم يأذن لأحد منهم إلا لجرير، فلما مثل بين يديه قال: ياجرير اتق الله ولا تقل إلا حقاً، فأنشده قصيدة منها:

إنـــا لنــرجــو إذا ما الــغيث أخـلفنــا
من الخــليفــة ما ترجــو من المــطر
نال الخــليفــة أو كانــت له قدراً
كما أتــىٰ ربــه موســىٰ على قَدَر
هذه الأرامــل قد قضـيت حاجـتـهـا
فمــن لحاجــة هذا الأرمــل الــذكــر
الخــير ما دمــت حياً لا يفــارقــنـا
بوركــت يا عمــر الخــيرات من عمــر

فقال: يا جرير ما أرىٰ لك فيها ها هنا حقاً.

قال: بلىٰ يا أمير المؤمنين، إني ابن سبيل الله، ومنقطع، فقال له: ويحك يا جرير، قد ولينا هذا الأمر ولا نملك إلاّ ثلاثمائة درهم! فمائة أخذها ابني عبدالله، ومائة أخذتها أم عبدالله، يا غلام! أعطه المائة الباقية.

فأخذها جرير وقال: والله لهي أحب ما اكتسبته، ثم خرج، فقال له الشعراء: ما وراءك؟

قال: ما يسوؤكم! خرجت من عند خليفة يعطي الفقراء، ويمنع

الشعراء، وإني لراض عنه وأنشد:

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه
وقد كان شيطاني من الجن راقيا

أحسن الكلام

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:

«إنما هما اثنتان: الكلام والهدْيُ، فأحسن الكلام كلام الله، وأحسن الهدي هدي محمدٍ ﷺ ألا وإياكم ومحدثات الأمور! فإن شرَّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعة ضلالة، ألا! لا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم، ألا إن كل ما هو آت قريب، وإنما البعيد ما ليس بآت.

ألا! إنما الشقي مَنْ شقي في بطن أمه، والسعيد مَنْ وُعظ بغيره، ألا! إن قتال المؤمن كفر وسبابه فسوق، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة.

ألا وإياكم والكذب! فإنَّ الكذب لا يصلح لا بالجد ولا بالهزل، ولا يعد الرجل صبيَّه ولا يفي له، وإن الكذب يهدي إلىٰ الفجور، وإن الفجور يهدي إلىٰ النار، وإن الصدق يهدي إلىٰ البر، وإن البرَّ يهدي إلىٰ الجنة، وإنه يقال للصادق: صدق وبر، ويقال للكاذب: كذب وفجر، ألا! وإن العبد يكذب حتىٰ يكتب عند الله كذاباً». أخرجه ابن ماجه.

أقوال في الصبر

مرض أبو بكر رضي الله عنه فعادوه، فقالوا: ألا ندعو لك الطبيب؟ فقال: قد رآني الطبيب، قالوا: فأي شيء قال لك؟ قال: إني فعال لما أريد.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن مجاهد، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وجدنا خير عيشنا بالصبر.

وقال أيضاً: أفضل عيش أدركناه بالصبر، ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريماً.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسم، ثم رفع صوته فقال:ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له.
وقال: الصبر مطية لا تكبو.

وقال الحسن: الصبر كنز من كنوز الخير، لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده.

وقال عمر بن عبدالعزيز: ما أنعم الله علىٰ عبد نعمة، فانتزعها منه، فعاضه مكانها الصبر، إلاّ كان ما عوضه خيراً مما انتزعه.

وقال ميمون بن مهران: ما نال أحد شيئاً من ختم الخير فما دونه إلاّ الصبر.

وكان بعض العارفين في جيبه رقعة يخرجها كل وقت ينظر فيها، وفيها: ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾ [سورة الطور: ٤٨].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو كان الصبر والشكر بعيرين لم أبال أيهما ركبت.

وقال سفيان بن عيينة في قوله تعالىٰ: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا﴾ [سورة السجدة: ٢٤]، لما أخذوا برأس الأمر جعلناهم رؤوساً.

جوع وظمأ

قال كعب الأحبار: إني لأجد نعت قوم يكونون في هذه الأمة بمنزلة الرهبانية، قلوبهم علىٰ نور، تنطق ألسنتهم بنور الحكمة، تعجب الملائكة من اجتهادهم، واتصالهم بمحبة الله.

قيل: يا أبا إسحاق من هم؟ قال: قوم جوعوا أنفسهم لله وظمؤوها، ينادىٰ يوم القيامة ألا ليقم أهل الجوع والظمأ فيلتقطون من بين الصفوف، فيؤتىٰ بهم إلىٰ مائدة منصوبة لم تر العيون ولم تسمع الآذان بمثلها، فيجلسون عليها والناس في الحساب.

سعادة وشقاء

كتب عمر بن الخطاب إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنهما:

أما بعد، فإن أسعد الرعاة من سعدت به رعيته، وإن أشقىٰ الرعاة عند الله عز وجل من شقيت به رعيته، وإياك أن ترتع فيرتع عمالك، فيكون مثلك عند الله عز وجل مثل البهيمة نظرت إلىٰ خضرة من الأرض فرعت فيها تبتغي بذلك السمن، وإنما حتفها في سمنها والسلام عليك.

منازل العز

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار. يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة**» رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه.

وقال علي رضي الله عنه لأبي ذر: زُر القبور تذكر بها الآخرة ولا تزرها بالليل، وغسل الموتى يتحرك قلبك، وصل على الجنازة لعل ذلك يحزنك، فإن الحزين في ظل الله تعالى.

وقيل لأعرابي: إنك تموت، قال: وإلى أين أذهب؟؟ قالوا: إلى الله تعالى، فقال: لا أكره أن أذهب إلى من لا أرى الخير إلا منه.

بينما حسان رضي الله عنه جالس وفي حجره صبي يطعمه الزبد بالعسل إذ شرق الصبي فمات فقال:

اعمل وأنت صحيح مطلق فرح ... ما دمت ويحك يا مغرور في مهل

يرجو الحياة صحيح ربما كمنت ... المنية بين الزبد والعسل

لما قربت وفاة المأمون دخل عليه بعض أصدقائه فوجده قد فرش له جلد دابة وبسط عليه الرماد وهو يتمرغ فيه ويقول: يا من لا يزول ملكه ارْحم من زال ملكه.

النار و الشمس

قال يحيى بن أكثم: ماشَيْت المأمون يوما من الأيام في بستان مؤنسة بنت المهديّ، فكنت من الجانب الذي يستره من الشمس.

فلمّا انتهى إلى آخره، وأراد الرجوع أردت أن أدور إلى الجانب الذي يستره من الشمس، فقال: لا تفعل، ولكن كن بحالك حتى أسترك كما سترتني.

فقلت: يا أمير المؤمنين، لو قدرت أن أقيكَ حرَّ النار لفعلت، فكيف الشمس؟ فقال: ليس هذا من كرم الصحبة ومشى ساترا لي من الشمس كما سترته.

جوع يوم وشبع يوم

عن أبي أمامة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:
«عرض عليَّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت: لا، يا رب! ولكن أشبع يوماً، وأجوع يوماً، فإذا جعتُ تضرَّعتُ إليك وذكرتك، وإذا شبعتُ حمدتك وشكرتك». رواه أحمد، والترمذي.

نجاة ورحمة

يروى عن عون بن عبدالله أنه كان يقول: اليوم المضمار، وغداً السباق، والسبقة الجنة، والغاية النار، فبالعفو تنجون، وبالرحمة تدخلون، وبالأعمال تقتسمون المنازل.

عبادة وشكر

قال أبو هريرة رضي الله عنه:

كن ورعاً تكن أعبد الناس.

وكن قنعاً تكن أشكر الناس.

وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً.

وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً.

وأقلَّ الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب.

قلب التائب

قال عون بن عبدالله: قلب التائب بمنزلة الزجاجة يؤثر فيها جميع ما أصابها، والموعظة إلىٰ قلوبهم سريعة وهم إلىٰ الرقة أقرب، فداووها من الذنوب بالتوبة، فرُبَّ تائب دعته توبته إلىٰ الجنة حتىٰ أوفدته عليها، وجالسوا التوابين فإن رحمة الله إلىٰ التوابين أقرب.

كن مع الله

يروىٰ عن عبدالصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول:

إن ابن مَلِك ركب في قومه وهو شارب خمر فصرع من فرسه فدق عنقه، فغضب أبوه وحلف أن يقتل أهل تلك القرية وطأً بالأفيال والخيل والرجال، فتوجه إليهم وسقىٰ الأفيال والخيل والرجال الخمر.

فقال: طؤوهم بالأفيال فما أخطأت الأفيال فلتطأه الخيل وما أخطأت الخيل فلتطأه الرجال.

فلما رأىٰ ذلك أهل القرية خرجوا أجمعهم فعجوا إلىٰ الله يدعونه، فبينما هم علىٰ ذلك إذ نزل فارس من السماء فوقع بينهم، فنفرت الأفيال فعطفت علىٰ الخيل وعطفت الخيل علىٰ الرجال، فقتل هو ومن معه وطأً بالأفيال والخيل.

الحسنة بعد السيئة

دخل عون بن عبدالله مسجداً بالكوفة فلف رداءه ثم اتكأ عليه، وقال: أعمروها! ولو أن تعتكفوا فيها.

وقال رحمه الله: ما أقبح السيئات بعد السيئات! وما أحسن الحسنات بعد السيئات! وأحسن من ذلك الحسنات بعد الحسنات.

ومن أقواله: ما أحسب أحداً تفرغ لعيب الناس، إلا من غفلة غفلها عن نفسه.

وقال رحمه الله: جالسوا التوابين فإنهم أرق الناس قلوباً.

الرحمة لأهل التقوى

كتب عمر بن عبدالعزيز إلىٰ رجل: أوصيك بتقوىٰ الله الذي لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلا أهلها، ولا يثيب إلا عليها، فإن الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل.

الدنيا تنعي نفسها

نَعَتْ نفسها الدّنيا إلينا فأسمَعَتْ
ونادتْ ألا جدّ الرّحيلُ وَوَدّعتْ
علىٰ النّاسِ بالتّسليمِ والبِرّ والرّضا
فما ضاقَتِ الحالاتُ حتىٰ توَسّعَتْ
وكَمْ من مُنىً قد ظَفَرَتْ بها
فَحَنّتْ إلىٰ ما فَوْقَها وَتَطَلّعَتْ
سَلامٌ علىٰ أَهْلِ القُبُورِ أحِبّتي
وإنْ خَلُقَتْ أسبابُهُم وتقطّعت
فما ماتتِ الأحياء إلّا ليُبْعَثوا
وإلّا لتُجزىٰ كلّ نَفْسٍ ما سَعَتْ

من ديوان أبي العتاهية

احذر الشبهات

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وصية لولده الحسن رضي الله عنهما:

احذر كل شائبة أدخلت عليك شبهة، وأسلمتك إلىٰ ضلالة، فإذا أيقنت أن قد صفا قلبك فخشع، وتم رأيك فاجتمع، كان همك في ذلك همًّا واحداً، فانظر فيما فسرت لك.

وإن أنت لم يجتمع لك ما تحب من فراغ نظرك فاعلم أنك إنما تخبط خبط عشواء، وليس من طالب لدين من خبط ولا خلط، والإمساك عند ذلك أمثل.

وإن أول ما أبدؤك به في ذلك وآخره أني أحمد الله إلهي وإلهك إله الأولين والآخرين، رب مَنْ في السموات ومَنْ في الأرض، بما هو أهله، وكما هو أهله، وكما يحب وينبغي له، وأسأله أن يصلي علىٰ نبينا محمد ﷺ، وأن يتم علينا نعمه لما وقفنا من مسألة والإجابة لنا، فإن بنعمته تتم الصالحات.

الرحمة والعقوبة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
«لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنَّته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرَّحمة ما قنط من جنَّته أحد». رواه البخاري ومسلم.

جنة أو نار

قال محمد الكوفي: شهدت عمر بن عبدالعزيز يخطب، فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال:
أيها الناس إن الله تعالىٰ خلق خلقه ثم أرقدهم، ثم يبعثهم من رقدتهم، فإما إلىٰ جنة وإما إلىٰ نار، والله إن كنا مصدّقين بهذا إنا لحمقىٰ، وإن كنا مكذّبين بهذا إنا لهلكىٰ ثم نزل.

يذكر منيته ويبكي

كأنّ الأرض قد طُوِيَتْ عليّا
وقد أخرجتُ مّما في يديّا
كأنّي يوم يحثو التُّرْبَ قومي
مهيْلاً لم أكُنْ في النّاسِ حيّا
كأنّ القومَ قد فنوا وولّوا
وكُلٌّ غير مُلْتَفِتٍ إليّا
كأن قد صِرْتُ مُنْفَرداً وحيداً
ومُرْتَهَناً هُناك بما لديّا
كأنّ الباكِيات عليّ يوماً
وما يُغني البُكاءُ عليّ شيّا
ذكَرْتُ مَنِيّتي فبكيت نفسِي
ألا أسعِد أُخيّكَ أو أُخَيّا

من ديوان أبي العتاهية

خوف الله

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

من خاف الله لم يُشف غيظه، ومن يتق الله لم يصنع ما يريد، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون.

المال وخصاله

كان ميمون بن مهران يقول: في المال ثلاث خصال، إن نجا رجل من خصلة ينجو من اثنتين، وإن نجا من اثنتين فإنه ينجو من الثالثة.

ينبغي للمال أن يكون أصله من طيب، فأيكم الذي يسلم كسبه فلم يدخله إلا طيباً، فإن سلم من هذه فينبغي له أن يؤدي الحقوق التي في ماله، فإن سلم من هذه فينبغي له أن يكون في نفقته ليس بمسرف ولا مقتر.

ثلاثة اعمل لها

قال وهب بن منبه رحمه الله: اعمل في نواحي الدين الثلاث فإن للدين نواحي ثلاثاً هنّ جماع الأعمال الصالحة لمن أراد جمع الصالحات:

الناحية الأولى: تعمل شكراً لله بالنعم الكثيرة الغاديات الرائحات الظاهرات الباطنات الحديثات القديمات، فيعمل المؤمن شكراً لهنّ ورجاء تمامهنّ.

الناحية الثانية من الدين: رغبة في الجنة التي ليس لها ثمن، وليس لها مثل ولا يزهد فيها إلا سفيه.

والناحية الثالثة: تعمل فراراً من النار التي ليس عليها صبر ولا لأحد بها طاقة ولا يدان، وليست مصيبتها كالمصيبات ولا حزنها كالحزن،

نبأها عظيم وشأنها شديد وخزيها فظيع، ولا يغفل عن الفرار والتعوذ بالله منها إلا سفيه أحمق خاسر، قد خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

القلب القاسي

ولـيسَ يزجُـرُكـم ما تُوعـظون به
والـبـهْـمُ يزجُـرهـا الـراعي فتنـزجـرُ
أبـعـدَ آدم ترجـون الخـلودَ وهـل
تبـقـىٰ فروعٌ إذا ما الأصـلُ ينـعـقـرُ
لا ينـفـعُ الـذِّكْـرُ قلبـاً قاسِيـاً أبـداً
والحبـلُ في الحجـرِ القـاسي له أثـرُ

طريق الجنة

عن أبي عبدالله خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلىٰ رسول الله ﷺ وهو متوسد بُرْدة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: «**قد كان مَن قبلكم، يؤخذ الرجل منهم، فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، ثم يؤتىٰ بالمنشار، فيوضع علىٰ رأسه، فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يصده ذلك عن دينه، والله لَيُتِمَّنّ الله هذا الأمر، حتىٰ يسير الراكب من صنعاء إلىٰ حضرموت، لا يخاف إلا الله والذئب علىٰ غنمه، ولكنكم تستعجلون**».

رواه البخاري.

الثناء الحسن

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

احفظوا عني خمسا لو ركبتم الإبل في طلبهن لأنصيتموهن قبل أن تدركوهن:

لا يرجو عبد إلا ربه.

ولا يخاف إلا ذنبه.

ولا يستحي جاهل أن يسأل عما لا يعلم.

ولا يستحي عالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم.

والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له.

ومن كلامه رضي الله عنه:

سيئة تسوؤك خير عند الله من حسنة تعجبك.

قدر الرجل على قدر همه، وصدقه على قدر مروءته، وشجاعته على قدر أنفته، وعفته على قدر غيرته.

الظفر بالحزم، والحزم بأصالة الرأي، والرأي بتحصين الأسرار.

أبواب الخير

من دعي ولم يجب خسر يوماً أو ليلة.

ومن زرع ولم يحصد خسر سنة كاملة.

ومن لم يقرأ ولم يكتب خسر نصف عمره.

ومن لم يعمل لآخرته خسر الدنيا والآخرة.

قالوا في الموت

قال أحدهم:

المـوتُ بابٌ وكـلُّ الـنـاس داخِـله
يا لَيْتَ شِعْـرِي بعـد البـاب ما الـدارُ

وقال آخر:

الـدارُ دارُ نعـيـمٍ إن عمِـلْتَ بما
يُرْضِي الإلَـه وإنْ خالـفْـتَ فالـنَّـارُ

وقال ثالث:

هما محلَّانِ ما للمـرءِ غيرُهـم
فاخـتر لنـفـسِـك أيَّ الـدارِ تختـارُ

وقال الأخير:

ما للعـبـاد سِوَىٰ الـفِـردوْس منـزلـة
وإنْ هَفَـوْا هفـوةً فالـرّبُ غفَّـارُ

○ ○ ○

اعمل لآخرتك

قال عون بن عبدالله: كان الفقهاء يتواصون بينهم بثلاث، ويكتب بذلك بعضهم إلىٰ بعض:

- مَنْ عمل لآخرته كفاه الله دنياه.
- ومَنْ أصلحَ سريرته أصلح الله علانيته.
- ومَنْ أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس.

صحبة الكرام

صحبة من لا يخاف العار عارٌ يوم القيامة.

عاشر كرام الناس تعش كريماً.

ولا تعاشر اللئام فتنسب إلىٰ اللؤم.

أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه، ورغب في مودة من لا ينفعه، وقبل مدح من لا يعرفه.

إن أظلم الناس لنفسه من رغب في مودة من لا يراعي حقه.

من صدق في أخوة أخيه قبل علله وسدَّ خلله وعفا عن زلله.

كلمات مضيئة

دخل الإمام الأوزاعي على المنصور - وكان شديد الهيبة - فقال له: عظني، فقال: اعلم يا أمير المؤمنين أن الله هو الحق المبين، ومن كره الحق فقد كرهه الله.

يا أمير المؤمنين، إن الملك لا يدوم لمخلوق، وإنما الملك لله وحده ولو كان يدوم لأحد لما وصل إليك.

يا أمير المؤمنين: إن رسول الله ﷺ دعا للقصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابياً وهو غير متعمد، فقال الأعرابي: بأبي وأمي وقد أحللتك وما كنت لأفعل ذلك بك أبداً.

يا أمير المؤمنين: إن خير الكرم عند الله التقوى، ومن طلب العزة بطاعة الله رفعه الله وأعزه، ومن طلبها بمعصية الله وضعه الله وأذلّه.
فلما انتهى من عظته أمر له المنصور بمال، فاعتذر واستعفى من قبوله وقال: يا أمير المؤمنين: ما كنت لأبيع نصيحتي بعرض من الدنيا فأحرم ثوابها وأقلل من نفعها، وما دام أمير المؤمنين قائما فينا بالعدل فنحن في خير الله ثم في خيره.

ثلاثة تتبع الميت

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقىٰ واحد: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقىٰ عمله». أخرجه البخاري ومسلم.

عزة النفس والنفاق

لما نصب معاوية ابنه يزيد لولاية العهد أقعده في قبة حمراء، وجعل الناس يسلمون علىٰ معاوية، ثم يسلمون علىٰ يزيد، حتىٰ جاء رجل ففعل ذلك، ثم رجع إلىٰ معاوية فقال:

يا أمير المؤمنين، اعلم أنك لو لم تول هذا أمور المسلمين لأضعتها.
فقال معاوية للأحنف ورآه ساكتاً:
مالك لا تقول يا أبا بحر؟
فقال الأحنف: **أخاف الله تعالىٰ إن كذبت، وأخافك إن صدقت.**
فقال معاوية: جزاك الله خيراً عما تقول.

فلما خرج الأحنف لقيه ذلك الرجل المنافق بالباب وقال له:
يا أبا بحر إني أعلم أن هذا من شرار خلق الله تعالىٰ، ولكن في أيديهم خزائن الأموال، فلسنا نطمع في إخراجها إلا بما سمعت.

فقال الأحنف: **يا هذا أمسك عليك دينك، فإن ذا الوجهين خليق ألا يكون عند الله وجيهاً، وإذا وليت الأمور لغير أربابها ضاعت.**

لولا ثلاث

قال عمر رضي الله عنه: لولا ثلاث لأحببت أن أكون قد لقيت الله:
لولا أن أضع جبهتي لله.
أو أجلس في مجالس ينتقى فيها طيب الكلام كما ينقىٰ جيد التمر.
أو أن أسير في سبيل الله عز وجل.

بكاء وابتهال

كان عون بن عبدالله يذكر خطيئته ويبكي ويقول:

ويحي! فهل ضرّت غفلتي أحداً سواي، أم هل يعمل لي غيري إن ضيعتُ حظي، أم هل يكون عملي إلا لنفسي، فلم أدخر عن نفسي ما يكون نفعه لي؟ ويحي! كأنه قد انقضى أجلي ثم أعاد ربي خلقي كما بدأني، ثم أوقفني وسألني وسأل عني وهو أعلم بي، ثم أشهدت الأمر الذي أذهلني عن أحبابي وأهلي، وشغلت بنفسي عن غيري.

وبدلت السموات والأرض وكانتا تطيعان وكنت أعصي، وسيرت الجبال وليس لها مثل خطيئتي، وجمع الشمس والقمر وليس عليهما مثل حسابي، وانكدرت النجوم وليست تطلب بها عندي، وحشرت الوحوش، ولم تعمل بمثل عملي، وشاب الوليد وهو أقل ذنباً مني.

ويحي! ما أشد حالي وأعظم خطري، فاغفر لي واجعل طاعتك همي، وقوِّ عليها جسدي، وزهِّد نفسي عن الدنيا واشغلني فيما ينفعني، وبارك لي في قواها حتىٰ ينقضي مني حالي، وامنن علي وارحمني حين تعيد بعد اللقاء خلقي، ومن سوء الحساب فعافني يوم تبعثني فتحاسبني، ولا تعرض عني يوم تعرضني بما سلف من ظلمي وجرمي، وآمني يوم الفزع الأكبر يوم لا تهمني إلا نفسي، وارزقني نفع عملي يوم لا ينفعني عمل غيري.

إلٰهي أنت الذي خلقتني، وفي الرحم صورتني، ومن أصلاب المشركين

نقلتني، قرناً فقرناً حتىٰ أخرجتني في الأمة المرحومة، إلٰهي فارحمني إلٰهي فكما مننت علي بالإسلام فامنن علي بطاعتك، وبترك معاصيك أبداً ما أبقيتني ولا تفضحني بسرائري، ولا تخذلني بكثرة فضائحي.

التحذير من المعصية

قال الله تعالىٰ: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه، والله رءوف بالعباد﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقال عز وجل: ﴿وذروا ظاهر الإثم وباطنه، إن الذين يكسبون الإثم، سيجزون بما كانوا يقترفون﴾ [الأنعام: ١٢٠].

وفي الحديث الصحيح، أن النبي ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبىٰ! وقالوا: ومن يأبىٰ يا رسول الله؟!
قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبىٰ» رواه البخاري.

وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «مثلي ومثلكم، كمثل رجل أوقد ناراً، فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها، وهو يذبهُّن عنها - يمنعهن من الوقوع فيها - وأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تُفلتون من يدي» رواه المسلم.

عز الطاعة

قال علي رضي الله عنه: من أراد عزاً بلا عشيرة، وغنىٰ بلا مال، وجاهاً بين الإخوان، ومهابة عند السلطان، فليخرج من ذل معصية الله تعالىٰ إلىٰ عز طاعته.

من أقوال ابن مسعود

قال رضي الله عنه: **«لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم، فإذا أخذوه عن أصاغرهم هلكوا»**.

وقال: **«إنكم لن تزالوا بخير ما دام العلم في كباركم، فإذا كان العلم في صغاركم سفّه الصغير الكبير»**.

وفي العلماء يقول: **«المتّقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالستهم زيادة»**.

لو أن أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند أهله لسادوا أهل زمانهم، ولكنهم وضعوه عند أهل الدنيا لينالوا من دنياهم، فهانوا عليهم! سمعت نبيكم ﷺ يقول: **«من جعل الهموم همًّا واحداً: همّ المعاد، كفاه الله سائر الهموم، ومن شعبته الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك»**.

«تدرون كيف يُنقص الإسلام؟ قالوا: كما يُنقص صبغ الثوب، وكما يُنقص سمَن الدابة، وكما ينقص الدرهم من طول الخباء! قال: إن ذلك لمنه، وأكبر من ذلك الموت أو ذهاب العلماء».

وعن أبي الأحوص قال: قال عبدالله: «إن الرجل لا يولد عالماً، وإنما العلم بالتعلم».

«النُّعاس في القتال أمَنة من الله، وفي الصلاة من الشيطان».

« إنك ما دمت في الصلاة فأنت تقرع باب الملك، ومن يكثر قرع باب

الملك يُفتح له».

وعن عبدالرحمن بن يزيد قال: «قيل لعبدالله: إن فلاناً يطيل الصلاة، قال: إنّ الصلاة لا تنفع إلا من أطاعها».

خصال سبعة

قال بعض الحكماء: من كان فيه سبع خصال لم يعدم سبعاً:

من كان جواداً لم يعدم الشرف.
ومن كان ذا وفاء لم يعدم المحبة.
ومن كان صدوقاً لم يعدم القبول.
ومن كان شكوراً لم يعدم الزيادة.
ومن كان ذا رعاية للحقوق لم يعدم السؤدد.
ومن كان منصفاً لم يعدم العافية.
ومن كان متواضعاً لم يعدم الكرامة.

سؤال وجواب

قال وهب بن منبه: إن رجلاً من العباد قال لمعلمه: قد قطعت الهوىٰ فلست أهوىٰ من الدنيا شيئاً.

فقال له معلمه: أتفرق بين النساء والدواب إذا رأيتهن معاً؟ قال: نعم!
قال: أتفرق بين الدنانير والحصىٰ إذا رأيتهن معاً؟ قال: نعم!
قال: يا بني إنك لم تقطع الهوىٰ عنك ولكنك قد أوثقته.

الدنيا المنغصة

المـرءُ آفـتـه هوىٰ الـدّنـيـا
والمـرء يطغـىٰ كُلّما اسـتـغـنـىٰ
إنّي رأيـت عواقِـب الـدّنـيـا
فتركـت ما أهـوىٰ لِمَا أخـشـىٰ
فكّـرتُ في الـدّنـيـا وجِـدّتها
فإذا جميـع جديـدهـا يبـلىٰ
وإذا جميـع أمـورهـا دُوَلٌ
بينَ الـبَرِيّـةِ في شأنِـهِ يسـعـىٰ
ولـقـد بلوْتُ فلم أجِـدْ سبَـبـاً
بأعـزّ مِنْ قَنـعٍ ولا أعـلىٰ
ولـقـد طلبـتُ فلم أجـد كرَمـاً
أعـلىٰ بصـاحِـبِـهِ مِنَ الـتّـقـوىٰ
ولـقـد مرْتُ علىٰ الـقُـبـورِ فما
مَيّـزْتُ بين الـعَـبـد والمـولىٰ
ما زالَـتِ الـدّنـيـا مُنَـغّـصَـةً
لم يَخْلُ صاحـبُـهـا من الـبَـلْـوىٰ
دارُ الـفـجـائـعِ والهُـمُـومِ ودارُ
الـبـؤسِ والأحـزانِ والـشّـكـوىٰ

من ديوان أبي العتاهية

ثلاث أقسم عليهن

عن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

«ثلاث أقسم عليهن، وأحدثكم حديثاً فاحفظوه، قال: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزاً، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر».

وأحدثكم حديثاً فاحفظوه قال: إنما الدنيا لأربعة نفر:

عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل.

وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان، فهو بنيته، فأجرهما سواء.

وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً يتخبط في ماله بغير علم، ولا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل.

وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته، فوزرهما سواء».

رواه الترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

قالوا في الصدق

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **لأن يضعني الصدق وقلما يفعل أحب إليّ من أن يرفعني الكذب وقلما يفعل.**

وقال علي رضي الله عنه: **قد يبلغ الصادق بصدقه ما لا يبلغه الكاذب باحتياله.**

وقال أيضاً: **الباطل والحق يتداولان دول الزمان من غير مذلة للحق ولا معزة للباطل.**

وقال الأحنف لابنه: **يا بني، يكفيك من شرف الصدق أن الصادق يقبل قوله في عدوه، ومن دناءة الكذب أن الكاذب لا يقبل قوله في صديقه ولا عدوه، ولكل شيء حلية، وحلية المنطق الصدق، يدل علىٰ اعتدال وزن العقل.**

وقال الشعبي: **عليك بالصدق حيث ترىٰ أنه يضرك فإنه ينفعك، واجتنب الكذب حيث ترىٰ أنه ينفعك فإنه يضرك.**

وقال عبدالملك لمعلم أولاده: **علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن.**

وقالت الحكماء: **الصدق عمود الدين، وركن الأدب، وأصل المروءة، فلا تتم هذه الثلاثة إلا به.**

وقال أحد العلماء: علم ابنك الصدق، والصدق يعلمه كل شيء.

وقال آخر: **ليكن مرجعك إلىٰ الحق، ومنزعك إلىٰ الصدق، فالحق أقوىٰ معين، والصدق أفضل قرين.**

وقال آخر: **لا سيف كالحق، ولا عون كالصدق، الحق ملجأ الضعفاء والأقوياء.**

وقال بعض الفضلاء: **الصدق منجيك وإن خفته، والكذب مرديك وإن أمنته.**

وقال آخر: **تحروا الصدق وإن رأيتم فيه الهلكة فإن فيه النجاة، وتجنبوا الكذب وإن رأيتم فيه النجاة، فإن فيه الهلكة.**

الاستعداد لليوم والغد

يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالىٰ في كتابه «صيد الخاطر»:

كل من يتلمح العواقب ولا يستعد لما يجوز وقوعه فليس بكامل العقل.

واعتبر هذا في جميع الأحوال، مثل أن يغتر بشبابه ويدوم علىٰ المعاصي ويُسوِّف بالتوبة، فربما أُخِذ بغتة ولم يبلغ بعض ما أمل.

وكذلك إذا سوّف بالعمل أو بحفظ العلم، فإن الزمان ينقضي بالتسويف ويفوت المقصود، وربما عزم علىٰ فعل خير أو وقف شيء من ماله فسوّف فبُغت.

فالعاقل من أخذ بالحزم في تصوير ما يجوز وقوعه وعمل بمقتضىٰ ذلك، فإن امتد الأجل لم يضره، وإن وقع المخوف كان محترزاً.

ومما يتعلق بالدنيا أن يميل مع السلطان ويسيء إلىٰ بعض حواشيه ثقة قربه منه، فربما تغير ذلك السلطان فارتفع عدوه فانتقم منه.

وقد يعادي بعض الأصدقاء ولا يبالي به لأنه دونه في الحالة الحاضرة فربما صعدت مرتبة ذلك فاستوفىٰ ما أسلفه إليه من القبيح وزاد.

فالعاقل من نظر فيما يجوز وقوعه ولم يعاد أحداً.

من فضائل الرسول ﷺ

قال ﷺ: «**أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أوَّل من يقرع باب الجنة**» رواه مسلم.

وقال ﷺ: «**أنا أول شفيع في الجنة، لم يُصدق نبي من الأنبياء ما صُدِّقتُ، وإن نبياً من الأنبياء ما صدَّقه من أمَّتِه إلا رجل واحد**» رواه مسلم.

وقال ﷺ: «**سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني ثنتين، ومنعني واحدة: سألت ربي أن لا يُهلك أمتي بالسَّنةِ فأعطانيها، وسألته أن لا يُهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها**» رواه مسلم.

وقال أنس بن مالك في حديث الإسراء وفيه: «**والنبي ﷺ نائمة عيناه، ولا ينام قلبه**» رواه البخاري.

وقال رسول الله ﷺ: «**أنا سيدُ ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشقُّ عنه الأرض، وأول شافع ومُشفَّع**» رواه مسلم.

وقال رسول الله ﷺ: «**فُضِّلت على الأنبياء بستٍّ: أُعطيت جوامع الكلم، ونُصرت بالرعب، وأُحِلَّتْ لي الغنائم، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وخُتِمَ بي النبيُّون**» رواه البخاري.

وقال رسول الله ﷺ: «**بُعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً، حتى كنت من القرن الذي كنت منه**» رواه البخاري.

وقال رسول الله ﷺ: «**إن مثلي ومثل الأنبياء قبلي، كمثل رجل بنىٰ بُنياناً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة، من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وُضعت هذه اللَّبنة؟! قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين**» رواه البخاري ومسلم.

كرم عثمان

وقع قحط بالمدينة في خلافة سيدنا أبي بكر فتوقع الناس الهلاك، فوردت لسيدنا عثمان إبل من الشام عليها القمح والزيت والزبيب وكانت ألف بعير، فأدخل أحمالها إلىٰ داره، وجاءه التجار وسألوه أن يبيعها إليهم فقال لهم: كم تعطوني ربحاً؟

قالوا: نعطيك عن كل درهم خمسة دراهم.

فقال: **أريد عن كل درهم أزيد من عشرة.**

فقالوا: هذا غبن فاحش.

قال: **إن الله وعدني بأن يعطيني عن كل درهم عشرة بقوله تعالىٰ: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾** فهل عندكم زيادة؟

قالوا: لا.

قال: **اشهدوا أنها صدقة، ثم فرقها علىٰ فقراء أهل المدينة.**

استعن بمالك

من استعان بماله علىٰ حفظ كرامته فهو عاقل.

ومن استعان به علىٰ تكثير أصدقائه فهو حكيم.

ومن استعان به علىٰ طاعة الله فهو محسن **﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾**.

عمر ورسول قيصر

أرسل قيصر رسولاً إلىٰ عمر بن الخطاب لينظر أحواله، ويشاهد أفعاله فلما دخل المدينة سأل أهلها وقال: أين ملككم؟

فقالوا: ما لنا مِلك، بل لنا أمير، قد خرج إلىٰ ظاهر المدينة.

فخرج الرسول في طلبه، فرآه نائماً في الشمس علىٰ الأرض، فوق الرمل الحار، وقد وضع بردته كالوسادة، والعرق يسقط من جبينه إلىٰ أن بلّ الأرض فلما رآه علىٰ هذه الحال وقع الخشوع في قلبه.

وقال: رجل لا يقرّ لجميع الملوك قرار من هيبته، تكون هذه حالته؟ ولكنك يا عمر عَدَلت فنمت، وملكنا يجور، فلا جرم أنه لا يزال ساهراً خائفاً.

وقد وصفه بهذه الحال شاعر مصر الكبير المرحوم حافظ بك إبراهيم:

وراع صاحب كسرىٰ أن رأىٰ عمراً
بين الرعية عطلاً وهو راعيها
وعهده بملوك الفرس أن لها
سوراً من الجند والأحراس يحميها
فوق الثرىٰ تحت ظل الدوح مشتملاً
ببردة كاد طول العمر يبليها
فهان في عينه من كان يكبره
من الأكاسير والدنيا بأيديها

لا تشرك بالله

جاء رجل إلىٰ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: أوصني، فقال: أوصيك أن لا تُشرك بالله شيئاً وإن قُطّعت أو حُرّقت بالنار.

ولا تُعقنَّ والديك وإن أراداك أن تخرج من دنياك فاخرج.

ولا تَسُبَّ الناس، وإذا لقيت أخاك فالقه ببشر حسن، وصبَّ له من فضل دلوك.

أين من كان قبلنا؟

أيـن مَنْ كان قَبْلنـا أيـن أيْـنـا
مِنْ أُنـاسٍ كانـوا جمالاً وزيـنـا
إنّ دهـراً أتـىٰ عليـهـم فأفـنـىٰ
مِنهـم الجـمـع سوف يأتي عليـنـا
خدعَـتْـنـا الآمـالُ حتـىٰ طلَبْـنـا
وجمـعـنـا لِغَـيرنـا وسـعَـيْـنـا
وابْـتَـنَـيْـنـا ومـا نُفَـكّـرُ في الـدّهـر
وفي صَرْفِـهِ غداةَ ابـتـنَـيـنَـا
وابْـتَـغَـيْـنـا مِنَ المـعـاش فُضُـولاً
لو قَنَـعْـنـا بِدونها لاكْـتَـفَـيـنَـا
ولـعـمـري لنَـمْـضِينّ ولا نمضي
بشيءٍ منهـا إذا ما مضـيْـنـا

وافْـتَرَقْـنـا فِي الـمَـقْـدُرات وسـوّىٰ
الله في المـوت بيـنـنـا واسـتـويـنـا
كم رأيـنـا مِنْ ميّـت كان حيّـاً
ووشـيـكـاً يُرىٰ بِنـا ما رأيـنـا
ما لنـا نأمـلُ المـنـايـا كأنّـا
لا نراهـنّ يهتـديـن إلـيـنـا
عجـبـاً لامـرىء تيـقّـن أنّ
المـوت حقٌّ فقـرّ بالـعـيشِ عيـنـا

من ديوان أبي العتاهية

التوكل والتقوى

كتب عمر إلىٰ ابنه عبدالله رضي الله عنهما:

أما بعد فإني أوصيك بتقوىٰ الله، فإنه من اتَّقىٰ الله وقاه، ومَنْ توكل عليه كفاه، ومَنْ أقرضه جزاه، ومن شكره زاده، ولتكن التقوىٰ نصب عينيك وعماد عملك وجلاء قلبك، فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا حسبة له، ولا مال لمن لا رفق له، ولا جديد لمن لا خلق له.

خوف وبكاء

بكىٰ عمر بن عبدالعزيز يوماً فبكت زوجته فاطمة فبكىٰ أهل الدار، لا يدري هؤلاء ما أبكىٰ هؤلاء، فلما تجلىٰ عنهم العبر قالت له فاطمة: بأبي أنت يا أمير المؤمنين مم بكيت؟ قال: ذكرت يا فاطمة متصرف

القوم من بين يدي الله عز وجل، فريق في الجنة وفريق في السعير، قال: ثم صرخ وغشي عليه.

التوبة الكاذبة

تتوب مِنَ الذنوب إذا مرضْتا
وترْجعُ للذّنوب إذا بريتا
إذا ما الضرُّ مسّك أنت باكٍ
وأخبث ما يكون إذا قويتا
فكم مِنْ كُرْبة نجّاك منها
وكم كشفَ البلاء إذا بُليتا
وكم عطاك في ذنب وعنه
مدىٰ الأيام جهراً قد نُهيتا
أما تخشىٰ بأنْ تأتي المنايا
وأنْتَ علىٰ الخطايا قد دُهِيتا
وتنسىٰ فضلَ ربٍّ جاد فضلاً
عليكَ ولا ارعويتَ ولا خشيتا

من ديوان أبي العتاهية

جهل وغفلة

كان عون بن عبدالله يخاطب نفسه ويقول:

ويح لنا ما أغرنا، ويح لنا ما أغفلنا، ويح لنا ما أجهلنا، ويح لنا

لأي شيء خلقنا؟ للجنة أم للنار، ويح لنا أي خطر خطرنا، ويح لنا من أعمال قد أخطرتنا، ويح لنا مما يراد بنا، ويح لنا كأنما يعني غيرنا، ويح لنا إن ختم علىٰ أفواهنا، وتكلمت أيدينا، وشهدت أرجلنا.

ويح لنا حين تفتش سرائرنا، ويح لنا حين تشهد أجسادنا، ويح لنا حيث نمضي إلىٰ خالقنا، ويح لنا ولنا الويل الطويل! إن لم يرحمنا ربنا، فارحمنا يا ربنا.

رب ما أحكمك، وأمجدك، وأجودك، وأرأفك، وأرحمك، وأعلاك، وأقربك، وأقدرك، وأقهرك، وأوسعك، وأقضاك، وأبينك، وأنورك، وألطفك، وأخبرك، وأعلمك، وأشكرك، وأحلمك، وأحكمك، وأعطفك، وأكرمك.

التزود من الدنيا

ذمّ رجل الدنيا عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال له:

الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهم عنها، ودار غنىً لمن تزوّد منها، مهبط وحي الله، ومُصلّىٰ ملائكته، ومسجد أنبيائه، ومتجر أوليائه، ربحوا منها الرحمة، واحتسبوا فيها الجنة، فمن ذا يذمّها وقد آذنت بينها، ونادت بفراقها، وشبّهت بسرورها السرور، وببلائها البلاء ترغيباً وترهيباً.

فيا أيها الذّام للدنيا المعلِّل نفسه متىٰ خدعتك الدنيا، أم متىٰ استذمّت إليك؟ أبمصارع آبائك في البلىٰ! أم بمضاجع أمهاتك في الثّرىٰ؟! كم

مرّضت بيديك، وعلّلت بكفّيك، تطلب له الشفـاء، وتستوصف له الأطباء، غداة لا يُغني عنه دواؤك، ولا ينفعك بكاؤك!

التمر والماء

عن عائشة رضي الله عنها، أنَّها قالت لعروة: يـابن أختي! إن كنَّا لننظر إلىٰ الهلال، ثلاثة أهلَّة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار.

قال عروة: فقلت: يا خالة! فما كان يُعيشكم: قالت: الأسودان: التمر والماء. إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيـران من الأنصار، كانت لهم منائح، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من ألبانهم فيسقينا. أخرجه البخاري ومسلم.

الخير والبلاء

قال يونس بن عبيد: كان طاعون قبل بلاد ميمون، فكتبت إليه أسأله عن أهله، فكتب إلي:

بلغني كتابك تسألني عن أهلي، وإنه مات من أهلي وخاصتي سبعة عشر إنساناً، وإني أكره البلاء إذا أقبل، فإذا أدبر لم يسرني أنه لم يكن، أما أنت فعليك بكتاب الله، وإن الناس قد لهوا عنه ـ يعني نسوه واختاروا عليه الأحاديث أحاديث الرجال ـ وإياك والمراء في الدين.

حاسبوا أنفسكم

قال تعالىٰ: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد**﴾ وهذه إشارة إلىٰ المحاسبة علىٰ ما مضىٰ من الأعمال، وقال تعالىٰ: ﴿**وتوبوا إلىٰ الله جميعاً أيها المؤمنين لعلكم تفلحون**﴾ والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه، وقال تعالىٰ: ﴿**إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون**﴾.

وقال النبي ﷺ: «**إني لأستغفر الله تعالىٰ وأتوب إليه في اليوم مائة مرة**».

وقال عمر رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا قبل أن توزنوا.

وقال مالك بن دينار: رحم الله عبداً قال لنفسه ألست صاحبة كذا، ألست صاحبة كذا، ثم ذمها ثم خطمها ثم ألزمها قائداً كتاب الله تعالىٰ فكان قائداً له، إذا علمت هذا فينبغي أن يكون للمرء في آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها علىٰ جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء في آخر كل سنة، أو شهر، أو يوم، حرصاً منهم علىٰ الدنيا، وكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة أبد الآباد.

ما هذه المساهلة إلا عن الغفلة وقلة التوفيق، ومعنىٰ المحاسبة مع الشريك أن ينظر في رأس المال وفي الربح والخسران ليتبين وإن كان من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه في المستقبل.

فكذلك رأس مال العبد في دينه الفرائض وربحه النوافل وخسرانه

المعاصي، وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعاملة نفسه الأمارة بالسوء فيحاسبها علىٰ الفرائض أولاً، فإن أداها علىٰ وجهها شكر الله تعالىٰ عليها ورغبها في مثلها، وإن فوتها من أصلها طالبها بالقضاء، وإن أداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل.

وإن ارتكب معصية اشتغل بعقوبتها ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه، وليتكفل بنفسه من الحساب ما يتولاه غيره في صعيد القيامة.

اترك الدنيا

قال وهب بن منبه: يحكىٰ أن رجلاً من العبّاد قال لمعلمه: قد قطعت الهوىٰ فلست أهوىٰ من الدنيا شيئاً.

فقال له معلمه: أتفرق بين النساء والدواب إذا رأيتهن معاً؟ قال: نعم!
قال: أفتفرق بين الدنانير والحصىٰ إذا رأيتهن معاً؟ قال: نعم!
قال: يا بني إنك لم تقطع الهوىٰ عنك ولكنك قد أوثقته.

بادروا بالأعمال

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
«بادروا بالأعمال سبعاً هل تنتظرون إلاّ فقراً مُنسياً، أو غنىً مطغياً، أو مرضاً مُفسداً، أو هرماً مُفنِّداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدَّجال فشر غائب يُنتظر، أو السَّاعة فالسَّاعة أدهىٰ وأمرُّ؟!» رواه الترمذي وقال حديث حسن.

نهاية الأجل

الموت بين الخلق مُشْتَرك
لا سُوقَةٌ يبقىٰ ولا مَلِكُ
ما ضرّ أصحابَ القليل وما
أغنىٰ عن الأملاكِ ما مَلَكوا
عجباً تشاغلُ أهلِ ذي
الدّنيا وما فيها لهم دَرَك
طلبوا فما نالوا الذي طلبوا
مِنها وفاتهم الذي دركوا
لم يختلِف في الموت مسلكُهُم
لا بل سبيلاً واحِداً سلكوا

من ديوان أبي العتاهية

لا يرد القضاء إلا الدعاء

عن أبي جعفر محمد بن علي قال:

ما من عبادة أفضل من عفة بطن أو فرج.

وما من شيء أحب إلىٰ الله من أن يسأل.

وما يدفع القضاء إلا الدعاء.

وإنَّ أسرع الخير ثواباً البر.

وإن أسرع الشر عقوبة البغي.
وكفىٰ بالمرء عيباً أن يُبصر من الناس ما يعمىٰ عليه من نفسه.
وأن يأمر الناس بما لا يستطيع التحول عنه.
وأن يُؤذي جليسه بما لا يعنيه.

ربيع القلوب

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري: أما بعد:

فإن القوة في العمل أن لا تؤخروا عمل اليوم لغد، فإنكم إذا فعلتم ذلك تداركت عليكم الأعمال، فلا تدرون أيها تأخذون فأضعتم، فإن خيرتم بين أمرين أحدهما للدنيا والآخر للآخرة، فاختاروا أمر الآخرة علىٰ أمر الدنيا، فإن الدنيا تفنىٰ والآخرة تبقىٰ، كونوا من الله علىٰ وجل، وتعلموا كتاب الله فإنه ينابيع العلم وربيع القلوب.

العقل والأدب

قال علي بن أبي طالب في وصية لولده الحسن رضي الله عنهما:
التوفيق خير قائد.
وحسن الخلق خير قرين.
والعقل خير صاحب.
والأدب خير ميراث.
ولا وحشة أشد من العجب.

الدنيا مرض وحزن وفتن

قال رجل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: صِف لنا الدنيا. فقال:
وما أصف لكم من دار من صحّ فيها ما أمن.
ومن سقم فيها ندم.
ومن افتقر فيها حزن.
ومن استغنىٰ فيها فُتن.
في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب.
أوّلها عناء وآخرها فناء!

نزول الموت

قال الربيع بن صبيح قلنا للحسن: يا أبا سعيد عظنا، فقال:

إنما يتوقع الصحيح منكم داء يصيبه، والشاب منكم هرماً يفنيه، والشيخ منكم موتاً يرديه أليس العواقب ما تسمعون، أليس غداً تفارق الروح الجسد، المسلوب غداً أهله وماله، الملفوف غداً في كفنه، المتروك غداً في حفرته، المنسي غداً من قلوب أحبته، الذين كان سعيه وحزنه لهم.

ابن آدم نزل بك الموت فلا ترىٰ قادماً ولا تجيء زائراً ولا تكلم قريباً، ولا تعرف حبيباً، تنادى فلا تجيب، وتسمع فلا تعقل، قد خربت الديار، وعطلت العشار، وأيتمت الأولاد، قد شخص بصرك، وعلا نفسك، واصطكت أسنانك، وضعفت ركبتاك، وصار أولادك غرباء عند غيرك!!

ليت الشباب يعود

بكيتُ علىٰ الشّباب بدَمع عيني
فلم يُغنِ البُكاء ولا النّحيبُ
فيا أسفاً أسِفْتُ علىٰ شباب
نعاه الشّيبُ والرّأس الخَضِيبُ
عريتُ منَ الشّبابِ وكان غُصْناً
كما يعرىٰ من الورق القضيبُ
فيا ليتَ الشّبابَ يعودُ يوماً
فأُخبره بما فعلَ المشيبُ

من ديوان أبي العتاهية

الفرح بالدنيا

قال الأصمعي: وجدت بيتين لبعض العرب، كأنهما أخذا من قوله تعالىٰ: ﴿حتىٰ إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة﴾ [الأنعام: ٤٤]. وهما قول سعيد بن وهب:

أحسنتَ ظنّكَ بالأيامِ إذ حسنَتْ
ولم تخفْ غبَّ ما يأتي به القدرُ
وسالمتك الليالي فاغتررتَ بها
وعندَ صفوِ الليالي يحدثُ الكدرُ!

الدين والدنيا

اعمـد لنَفْسِـكَ واذكـر ساعـة الأجل
ولا تُغـرّن في دُنـيـاك بالأمَـلِ
سابق حُتوفَ الـردىٰ واعمـل علىٰ مهلٍ
ما دُمـتَ في هذهِ الـدّنـيـا علىٰ مهـلِ
واعـلم بأنّـك مسـؤولٌ ومُـفْـتـحص
عمّا عمـلت ومـعـروضٌ علىٰ عَمـلِ
لا تلْعـبـنّ بك الـدّنْـيـا وزُخـرُفُـهـا
فإنّها قُنِـت في الـظّلّ بالمَـشَـلِ
لا يحْذَرُ الـنّـفسَ إلاّ ذو مُراقَـبَـة
يُمسِي ويُصبـحُ في الـدّنيـا علىٰ وَجَـلِ
ما أقـربَ المـوتَ مِنْ أهـلِ الحَيـاةِ وما
أحـجىٰ اللّبيبَ بحُسنِ القـول والعمـلِ
والمـوتُ مذْرَجَـةٌ للنّـاس كُلّهِـم
قصْـداً إليـه بكَـرْهٍ مجمـع السّبـلِ
ما أحسنَ الـدّين والـدّنيـا إذا اجتمعـا
وأقـبَـحَ الكُفْـرَ والإفـلاسَ بالـرّجُـلِ

من ديوان أبي العتاهية

أخوف عمل

قال عون بن عبدالله: كان أخوان في بني إسرائيل، فقال أحدهم لصاحبه: ما أخوف عمل عملته عندك؟ فقال:

ما عملت عملاً أخوف عندي من أني مررت بين قراحي سنبل فأخذت من أحدهما سنبلة، ثم ندمت فأردت أن ألقيها في القراح الذي أخذتها منه، فلم أدر أي القراحين هو فطرحتها في أحدهما، فأخاف أن أكون قد طرحتها في القراح الذي لم آخذها منه، فما أخوف عمل عملته أنت عندك؟ قال:

إن أخوف عمل عملته عندي، إذا قمت في الصلاة أخاف أن أكون أحمل علىٰ إحدىٰ رجلي فوق ما أحمل علىٰ الأخرىٰ. قال:

وأبوهما يسمع ذلك منهما، فقال: اللهم إن كانا صادقين فاقبضهما إليك قبل أن يفتتنا. فماتا، قال: فما ندري أي هؤلاء أفضل!.

موعظة بليغة

حضر عمر بن عبدالعزيز جنازة، فلما دفن الميت ركب بغلة له صغيرة ثم جاء إلىٰ قبره فركز عليه المقرعة فقال:

السلام عليك يا صاحب القبر، قال عمر: فناداني مناد من خلفي وعليك السلام يا عمر بن عبدالعزيز، عم تسأل؟ فقلت: عن ساكنك وجارك، قال: أما البدن فعندي، والروح عرج به إلىٰ الله عز وجل ما

أدري أي شيء حاله، قلت: أسألك عن ساكنك وجارك؟ قال: دمعت المقلتين، وأكلت الحدقتين، ومزقت الأكفان، وأكلت الأبدان.

رزق تطلبه ويطلبك

جاء في وصية علي بن أبي طالب يوصي ابنه الحسن قال:

اعلم أي بني! أن الرزق رزقان: رزق تطلبه، ورزق يطلبك، فإن لم تأته أتاك، واعلم أن الدهر ذو صروف، فلا تكوننّ ممن يسبُّك لاعنة للدهر، ومحفلاً عند الناس عذر، ما أقبح الخضوع عند الحاجة، والجفاء عند الغنىٰ، إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك، فأنفق يُسرك، ولا تكن خازناً لغيرك، فإن كنت جازعاً مما تفلت من يديك فاجزع علىٰ ما يصل إليك.

استدلَّ علىٰ ما لم يكن بما قد كان، فإن الأمور أشباهٌ يشبه بعضها بعضاً، ولا تكفرنَّ ذا نعمة، فإن كفر النعم من قلة الشكر ولؤم الخلق، وأقل العذر، ولا تكوننَّ ممن لا تنفعه العظة إلا إذا بلغت في الملامة، فإن العاقل يتعظ بالقليل، والبهائم لا تنفع إلا بالضرب.

احذر الشيطان

جاء رجل إلىٰ وهب بن منبه فقال: إني مررت بفلان وهو يشتمك، فغضب فقال: ما وجد الشيطان رسولاً غيرك، فما برحت من عنده حتىٰ جاءه ذلك الرجل الشاتم فسلم علىٰ وهب فرد عليه ومد يده وصافحه وأجلسه إلىٰ جنبه.

العز تقوى الله

مَنْ لم يَعِظْه التّجريب والأدَبُ
لم يثْنِه شيبُه ولا الحِقَب
يا أيّها المُبْتَلىٰ بهمّتِه
ألم ترَ الدّهْر كيفَ ينقَلِب
مِنْ أيّ خَلْقِ الإلٰه يَعْجَب مَنْ
يَعْجَبُ والخلق كُلّه عجب
وبالرّضىٰ والتّسليم ينقَطِعُ
الهمّ وبالكِبر يكثرُ العَطَبُ
وعندَ حُسنِ التّقدير يحتكِمُ
الجَدُّ ويثْبُتُ اللّهْوُ واللّعِبُ
وفي جَميلِ القَنوع ينْخَفِضُ
العيشُ وبالحرْص يعظمُ التّعَبُ
إنّ الغِنىٰ في النُفُوسِ والعِزّ
تقوىٰ الله لا فضة ولا ذَهَب
وحادِثَاتُ الأقدارِ تجري وما
تجري بشيء إلاّ له سبَبُ

من ديوان أبي العتاهية

الأعمال بخواتيمها

يقول عبدالله بن عباس رضي الله عنهما:

النادم ينتظر الرحمة، والمعجب ينتظر المقت، وكل عامل سيقدم علىٰ ما أسلف عند موته، فإن ملاك الأعمال بخواتيمها، والليل والنهار مطيتان فاركبوهما بلاغاً إلىٰ الآخرة، وإياكم والتسويف بالتوبة والغرة بحلم الله! واعلموا أن الجنة والنار أقرب إلىٰ أحدكم من شراك نعله، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.

اليوم الثقيل

كان عون بن عبدالله يذكر ذنبه ويبكي قائلاً:

ويحي كيف أغفل ولا يغفل عني؟
أم كيف تهنئني معيشتي واليوم الثقيل ورائي؟
أم كيف لا يطول حزني ولا أدري ما يفعل بي؟
أم كيف تهنئني الحياة ولا أدري ما أجلي؟
أم كيف تعظم فيها رغبتي والقليل فيها يكفيني؟
أم كيف آمن ولا يدوم فيها حالي؟
أم كيف يشتد حبي لدار ليست بداري؟
أم كيف أجمع لها وفي غيرها قراري؟
أم كيف يشتد عليها حرصي ولا ينفعني ما تركت فيها بعدي؟

أم كيف أوثرها وقد أضرت بمن آثرها قبلي؟
أم كيف لا أبادر بعملي قبل أن يغلق باب توبتي؟
أم كيف يشتد إعجابي بما يزايلني وينقطع عني؟
أم كيف أغفل عن أمر حسابي وقد أظلني واقترب مني؟
أم كيف أجعل شغلي فيما قد تكفل به لي؟
أم كيف أعاود ذنوبي وأنا معروض علىٰ عملي؟
أم كيف لا أعمل بطاعة ربي وفيها النجاة مما أحذر علىٰ نفسي؟
أم كيف لا يكثر بكائي ولا أدري ما يراد بي؟
أم كيف تقرّ عيني مع ذكر ما سلف مني؟
أم كيف لا يشتد هولي مما يشتد منه جزعي؟
أم كيف تطيب نفسي مع ذكر ما هو أمامي؟
أم كيف يطول أملي والموت في أثري؟
أم كيف لا أراقب ربي وقد أحسن طلبي؟

خلال حميدة

أحـب مكـارم الأخـلاق جهـدي
وأكـره أن أعـيـب وأن أعـابـا
وأصـفـح عن سبـاب الـنـاس حلماً
وشر الـنـاس من يهوىٰ الـسـبـابـا
ومـن هاب الـرجـال تهيْـبـوه
ومـن حقـر الـرجـال فلن يهابـا

تزينوا للعرض الأكبر

يروىٰ عن عمر رضي الله عنه أنه قال في خطبته:

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، فإنه أهون لحسابك، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر **﴿يوم تعرضون لا تخفىٰ منكم خافية﴾** [الحاقة: ١٨].

قولوا مثل الأنبياء

قال جعفر بن برقان: كتب إلينا عمر بن عبدالعزيز، إن هذا الرجف شيء يعاقب الله به العباد، وقد كتبت إلىٰ أهل الأمصار أن يخرجوا يوم كذا وكذا في شهر كذا وكذا في ساعة كذا وكذا فاخرجوا، ومن أراد منكم أن يتصدق فليفعل.

فإن الله تعالىٰ قال: **﴿قد أفلح من تزكىٰ وذكر اسم ربه فصلىٰ﴾** [الأعلىٰ: ١٥]. وقولوا كما قال أبوكم آدم عليه السلام: **﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾** [الأعراف: ٢٣]. وقولوا كما قال نوح: **﴿وإن لم تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين﴾** [هود: ٤٧].

وقولوا كما قال موسىٰ عليه السلام: **﴿رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي﴾** [القصص: ١٦]. وقولوا كما قال ذو النون: **﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾** [الأنبياء: ٨٧].

العيب فينا

كتب زيد بن ثابت إلىٰ أبي بن كعب رضي الله عنهما:

أما بعد! فإن الله قد جعل اللسان ترجماناً للقلب وجعل القلب وعاءً وراعياً، ينقاد له اللسان لما أهداه له القلب، فإذا كان القلب علىٰ طوق اللسان جاء الكلام وائتلف القول واعتدل، ولم تكن للسان عثرة ولا زلة، ولا حلم لمن لم يكن قلبه من بين لسانه، فإذا ترك الرجل كلامه بلسانه، وخالفه علىٰ ذلك قلبه جدع بذلك أنفه.

وإذا وزن الرجل كلامه بفعله صدق ذلك مواقع حديثه، يذكر هل وجدت بخيلاً إلا هو يجود بالقول ويمنُّ بالفعل، وذلك لأن لسانه بين يدي قلبه.

يذكر هل تجد عند أحد شرفاً أو مروءة إذا لم يحفظ ما قال، ثم يتبعه ويقول ما قال وهو يعلم أنه حق عليه واجب حين يتكلم به لا يكون بصيراً بعيوب الناس، فإن الذي يُبصر عيوب الناس ويهون عليه عيبه كمن يتكلف ما لا يؤمر به.

الإيمان بالقدر

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان رجل ممن كان قبلكم يُكذِّب بالقدر، وكان مسيئاً إلىٰ امرأته، فخرج إلىٰ المقبرة فوجد قحف رأس مكتوب عليه: يحرق ثم يذرىٰ في الريح، قال: فأخذه فجعله في سفط ودفعه إلىٰ

امرأته ثم أحسن إليها ثم سافر، فجاءها جاراتها فقلن: يا أم فلان بم كان يحسن زوجك الصنيعة إليك، فهل استودعك شيئاً؟ فقالت: نعم! هذا السفط قلن فإن فيه رأس خليلة له.

فقامت غيورة مغضبة حتىٰ فتحته فإذا فيه قحف رأس، قلن: تدرين يا أم فلان ما تصنعين به؟ أحرقيه ثم ذريه في الريح، ففعلت فقدم زوجها من سفره ـ وهي مغضبة ـ فقال لها: ما فعل السفط؟ فحدثته بالحديث، فقال: آمنت بالله وصدقت بالقدر، فرجع عن قوله.

خذها من عمر

أتىٰ رجل إلىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين! إني رجلٌ من أهل البادية وإن لي أشغالاً، فأوصني بأمر يكون لي ثقةً وأبلغ به.

فقال: اعقل، أرني يدك، فأعطاه يده، فقال: تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتحج وتعتمر، وتطيع.

وعليك بالعلانية! وإياك والسر! وعليك بكل شيء إذا ذكر ونشر لم تستحي منه ولم يفضحك! وإياك وكلُّ شيء إذا ذكر ونشر استحييت وفضحك!

فقال: يا أمير المؤمنين! أعملُ بهنَّ، فإذا لقيتُ ربي أقول: أخبرني بهن عمر بن الخطاب، فقال: خذهن، فإذا لقيت ربك فقل له ما بدا لك.

لذة تعقب ندامة

من أقوال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

لا خير في لذة تعقب ندامة، والعاقل من وعظته التجربة، ورسولك ترجمان عقلك، وكتابك أحسن ناطق عنك، فتدبر أمرك، وتقصر شرَّك، الهدىٰ يجلو العمىٰ، وليس مع اختلاف ائتلاف، ومن حسن العمل افتقاد حال الجار، لن يهلك من اقتصد ولن يفتقر من تصدق، يبين عن سر المرء دخيله، ورب باحث عن حتفه، وليس كل من ينظر بصير.

رب هزل صار جداً، من ائتمن الزمان خانه، ومن تعظم عليه أهانه، ومن لجأ إليه أسلمه ـ أي أخذله ـ، ليس كل من رمىٰ أصاب، وإذا تغير السلطان تغير الزمان، وخير أهلك من كفاك، المزاح يورث العداوة، والحق أعذر من اجتهد وربما أكدىٰ الحق وأتعب.

فناء العمر

إن قَدّرَ الله أمراً كان مفعولا
وكيف نجهل أمراً ليس مجهولا
إنّا لنعلم أنّا لاحِقُون بِمَنْ
ولّىٰ ولكن في آمالنا طولا
ضَمِنْتُ للطّالِب الدّنْيا وزِينَتها
أن لا يزال بها ما عاش مشغولا

يا رُبَّ مَنْ كان مُغْتَرًّا بناصِرِهِ
أمْسىٰ وأصبح في الأجداثِ مجدولا
يا رُبَّ مُغْتَبِطٍ بالمالِ يأكُلُهُ
يوماً ويشربُه إذا صار مأكولا
ما زال يبكي علىٰ الموتىٰ وينقُلُهم
حتّىٰ رأينا مَبْكِيًّا ومَنْقُولا

من ديوان أبي العتاهية

ما عند الله أطيب

اشتهىٰ عمر بن عبدالعزيز تفاحاً فقال: لو أن عندنا شيئاً من تفاح فإنه أطيب؟ فقام رجل من أهله فأهدىٰ إليه تفاحاً، فلما جاء به الرسول قال:

ما أطيبه وأطيب ريحه وأحسنه، ارفع يا غلام، واقرأ علىٰ فلان السلام وقل له: إن هديتك قد وقعت عندنا بحيث تحب، قال عمرو بن مهاجر: فقلت له يا أمير المؤمنين ابن عمك رجل من أهل بيتك وقد بلغك أن النبي ﷺ كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، قال: إن الهدية كانت للنبي ﷺ هدية، وهي لنا رشوة.

اقتداء المهتدي

يقول بلال بن سعد: يا أولي الألباب لا تقتدوا بمن لا يعلم، ويا أولي الألباب لا تقتدوا بالسفهاء، ويا أولي الأبصار لا تقتدوا بالعمي،

ويا أولي الإحسان لا يكن المساكين ومَنْ لا يُعرف أقرب إلىٰ الله منكم، وأحرىٰ أن يستجاب لهم، فليتفكر متفكر فيما يبقىٰ له وينفعه.

وقال أيضاً: أمّا ما وكلكم به فتضيعون، وأما ما تكفل لكم به فتطلبون، ما هكذا نعت الله عباده المؤمنين! فكما ترجون رحمة الله بما تؤدون من طاعة الله، فكذلك أشفقوا من عقاب الله بما تنتهكون من معاصي الله.

اغتنم الفرصة

قال علي بن أبي طالب في وصية لولده الحسن رضي الله عنهما:

أي بني! إني لم أكن عمرت عمر من كان قبلي، فقد نظرت في أعمارهم وفكرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم، حتىٰ عدت كأحدهم، بل كأني لما قد انتهىٰ إليّ من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلىٰ آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره، فاستخلصت من كل شيء نحيلته، وتوخيت لك جميلته، وصرفت عنك مجهوله، ورأيت عنايتي بك واجبة عليّ، فجمعت لك ما إن فهمته أدبك.

فاغتنم ذلك وأنت مقتبل بين النية واليقين، فعليك بتعليم كتاب الله وتأويله! وشرائع الإسلام وأحكامه، وحلاله وحرامه، لا تجاوز ذلك قبله إلىٰ غيره، فإن أشفقت أن شبهة لما اختلف فيه الناس من أهوائهم ورأيهم مثل الذي لبسهم، فتقصد في تعليم ذلك بلطف.

مكارم الأخلاق

قال الأشعث بن قيس لقومه:

إنما أنا رجل منكم، ليس لي فضل عليكم، لكن أبسط لكم وجهي، وأبذل لكم مالي، وأقضي حوائجكم، وأصون حريمكم، فمن فعل منكم مثلي، فهو مثلي، ومن زاد عليَّ فهو خير مني، ومن زدت عليه فأنا خير منه.

قيل له: يا أبا محمد ما يدعوك إلىٰ هذا الكلام؟

قال: حضهم علىٰ مكارم الأخلاق.

الغلام والملك

مرَّ أحد الملوك بغلام يسوق حيواناً بعنف وشدة، والحيوان بطيء الحركة، قليل الهمة، فقال الملك: يا غلامِ، ارفق بهذا الحيوان.

فقال الغلام: **أيها الملك، في الرفق مضرة له.**

فقال الملك: وكيف ذلك؟ وإني لا أرىٰ مضرة غير الذي هو فيه الآن.

فقال الغلام: **ذلك أنه إذا أبطأ يطول طريقه، ويشتد جوعه، ففي العنف إحسان إليه.**

فقال الملك: وما الإحسان إليه؟

قال الغلام: **يخف حمله، ويطول أكله.**

فأعجب الملك بجوابه وكافأه.

فقال الغلام: **هو رزق مقدور، وواهب مأجور.**

فقال الملك: قد أمرت بإثبات اسمك في بطانتي.

قال الغلام: **كفيت مؤونة، ورزقت بها معونة.**

فقال الملك: ولولا حداثة سنة لاستوزرتك.

قال الغلام: لن يعدم الفضل من رزق العقل.

قال الملك: وهل تصلح لذلك يا غلام؟

قال الغلام: إنما يكون المدح والذم بعد التجربة، ولا يعرف الإنسان نفسه حتىٰ يبلوها.

ما أجمل العيد!

قال الشاعر الحكيم:

ما أجمل العيد والأخلاق زاهرة
كأنها من ضياء العيد أنوار
ما أكمل العيد والأيدي مصافحة
والقلب للقلب إخلاص وإيثار
ما أرحم العيد إن واسىٰ أخا نصب
كأنه من هموم العيش آثار
وراح يمسح دمع اليتيم متعظاً
كأنه والد ساءته أطهار
ما أكرم العيد صداحاً بعارفه
من الجميل وخير البر إسرار
ما أحكم العيد إن صاغ الرجال في
تلقاهم والمنىٰ كأس وأوطار
ما أعظم العيد فجراً للحياة ترىٰ
فيه النهارَ رياحين وأزهار
ما أروع العيد والدنيا مفردة
للعرب والسلم والإسلام مختار

صدق الحديث

عن أبي هريرة قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يقول في خطبته:

أفلح منكم من حفظ من الهوىٰ والغضب والطمع، ووفق إلىٰ الصدق في الحديث، فإنه يجره إلىٰ الخير، من يكذب يَفْجُر، ومن يفجر يهلك، إياكم والفجور! ما فجور مَنْ خلق من التراب وإلىٰ التراب يعود، اليوم حي وغداً ميت! اعملوا عمل يوم بيوم، واجتنبوا دعوة المظلوم وعدوا أنفسكم من الموتىٰ.

الدنيا لا تدوم

لما قدم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه القادسية أميراً عليها من عند عمر بن الخطاب، أتته حُرقة بنت النعمان بن المنذر في خدمها ووصفائها، فلما وقفن بين يديه قال: أيكنّ حرقة بنت النعمان؟

قال: ها أنا ذي، فما أردت بتكرارك الاستفهام؟! إن الدنيا دار زوال لا تدوم لأهلها علىٰ حال، تنتقل بهم انتقال الظلال، وتُعقبهم حالاً بعد حال، إنّا كنّا ملوك هذا المصر قبلك، يُجبىٰ إلينا خراجه، ويطيعنا أهله مُدّة من الدهر، فلمّا أدبر عن الأمر صاح بنا صائح الأيام، فصدّع شملنا وشتّت ملأنا، وكذلك الدّهر يا سعد، فلا تغترّ بحال الدنيا، فإنها زائلة عنك كما زالت إليك، ثم سألته حوائجها فقضاها، فدعت له وقالت: لا أزال الله عنك نعمة أتمّها عليك!

أهل الله وذمته

عن سلمان قال: أتيت أبا بكر رضي الله عنهما فقلت: اعهد إليَّ، فقال: يا سلمان! اتق الله، واعلم أنه سيكون فتوح فلا أعرفنَّ ما كان حظَّك منها، ما جعلته في بطنك، وألقيته علىٰ ظهرك.

واعلم أنه من صلىٰ الصلوات الخمس، فإنه يصبح في ذمة الله ويمسي في ذمة الله، فلا تقتلن أحداً من أهل الله فتخفر الله في ذمته، فيكبّك الله في النار علىٰ وجهك.

جنة أو نار

للنّاس في السّبق بعدَ اليوم مضمار
والمُنتهىٰ جَنّة لا بُد أو نارُ
الموتُ حقٌّ ولكن لم أزل مَرِحاً
كأن معرفتي بالموْتِ إنكارُ
إنّي لأعمُرُ داراً ما لساكنها
أهل ولا ولد يبقىٰ ولا جارُ
فبِئسَتِ الدّار للعاصي لخالِقِه
وهي لِمَن يتقيه نعمت الدّارُ

من ديوان أبي العتاهية

عمارة القلب وموته

في وصية موجهة من علي بن أبي طالب إلىٰ ولده الحسن رضي الله عنهما قال فيها:

أوصيك يا بني بتقوىٰ الله ولزوم أمره، وعمارة قلبك بذكره، والاعتصام بحبه، فهو أوثق السبب بينك وبينه، يا بني! أحيِ قلبك بالموعظة، وموّته بالزهد، وقوّه باليقين، وذلّله بذكر الموت، وأكثره بالفناء وبصّره فجائع الدنيا، وحذّره صولة الدهر، وفُحْش تقلب الأيام.

واعرض عليه أخبار الماضين، وذكّره ما أصاب من كان قبلك، وسِرْ في ديارهم، واعتبر بآثارهم، وانظر ما فعلوا، وعمن انتقلوا، وأين حلّوا، فإنك تجدهم انتقلوا عن الأحبة، وحلوا دار الغربة وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم، فأصلح مثواك واحرز آخرتك، ودع القول فيما لا تعرف، والدخول فيما لا تكلف، وأمسك عن السير إذا خفت ضلالة، فإن الكفَّ عند حيرة الضلالة خير من ركوب الأهوال.

وأمر بالمعروف تكن من أهله، وأنكر المنكر بيدك ولسانك، وباين من فعله بجهدك، وخض الغمرات إلىٰ الحق، وتفقه في الدين، وعوّد نفسك الصبر علىٰ المكروه، وألجىء نفسك في الأمور كلها إلىٰ الله، فإنك تلجئها إلىٰ كهف حريز ومانع عزيز، وأخلص في المسألة لربك، فإن بيده العطاء والحرمان، وأكثر الاستخارة، وتفهّم وصيتي، لا تذهبنَّ عنك صفحاً.

صنائع المعروف

قال علي بن أبي طالب موصياً ولده الحسن رضي الله عنهما:

اعلم أي بنيَّ أن من الكرم الوفاء بالذمم، والدفع عن الحرم، والصدود آية المقت، وكثرة العلل آية البخل، وبعض الإمساك عن أخيك مع الإلف خيرٌ من البذل مع الحنف، ومن الكرم صلة الرحم، والتبرم وجه القطيعة.

احمل نفسك من أخيك عند جموحه علىٰ البذل، وعند تباعده علىٰ الدنو، وعند شدته علىٰ اللين، وعند تجرّمه علىٰ الاعتذار، حتىٰ كأنك له عبدٌ وكأنه ذو نعمة عليك، ولا تضع ذلك في غير موضعه، ولا تفعله بغير أهله.

ولا تتخذ من عدو صديقك صديقاً فتعادي صديقك، ولا تعمل بالخديعة فإنها أخلاق اللئام، وامنح أخاك النصيحة حسنةً كانت أم منه المجازاة، فإنها من شيم الدناءة، وخذ علىٰ عدوك بالفضل، فإنه أحرىٰ للظفر.

الفقر الحاضر

قال مكحول: إياك وطلب الحوائج من الناس! فإنه فقر حاضر، عليك بالإياس! فإنه الغنىٰ، ودع من الكلام ما يُعتذر منه، وتكلم بما سواه، وإذا صليت فصل صلاة مُودع.

مما يعين على التقوى

مما يذكِّر بالله تعالىٰ، ويعين علىٰ تقواه:

كلام السلف الصالح رضي الله عنهم:

فقد أخلصوا لله تعالىٰ في أقوالهم وأحوالهم، فتفجرت ينابيع الحكمة من قلوبهم علىٰ ألسنتهم، وما خرج من القلب، وقع في القلب، وكل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي برز منه.

فقد نطقت ألسنتهم ـ رضي الله عنهم ـ بمواعظ تحرك القلوب إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ، وتشحذ العزائم لسلوك سبيل الاستقامة، وتُذكي في القلوب شعلة الإيمان والتقوىٰ.

فمن كلامهم:

العاقل لا يخرج من هذه الثلاثة:

الأول: أن يكون خائفاً من ربه تعالىٰ، لما سلف منه من الذنوب.

والثاني: لا يدري ما ينزل به ساعةً بعد ساعة.

والثالث: يخاف من إبهام العاقبة، لا يدري ما يختم له به، فمن الناس شقي وسعيد، فريق في الجنة وفريق في السعير.

تعهد نفسك في ثلاثة مواضع:

إذا عملت، فاذكر نظر الله إليك.

إذا تكلمت، فاذكر سمع الله إليك.

إذا سكنت، فاذكر علم الله فيك.

إنما هي أربع: عينك، ولسانك، وقلبك، وهواك.
فاحفظ عينك، لا تنظر بها إلىٰ ما لا يحلُّ لك.
واحفظ لسانك، لا تقل به شيئاً يعلم الله خلافه من قلبك.
واحفظ قلبك، لا يكن فيه غِلٌّ ولا حقد علىٰ أحد.
وانظر هواك، لا تهوَ شيئاً من معصية الله.
فإذا لم تكن فيك هذه الخصال الأربع فقد شقيت.

الخوف من الله يوصلك إلىٰ الله.
والكبر والعُجب في نفسك يقطعك عن الله.
واحتقار الناس في نفسك، مرض عظيم لا يداوىٰ.

أصول الصالحين من عباد الله سبعة:
التمسك بكتاب الله تعالىٰ، والاقتداء بسنة رسوله ﷺ، وأكل الحلال، وكف الأذىٰ عن الناس، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق.

اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك.
واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك.
واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه.

للقلب ستة أشياء:
حياة وموت، وصحة وسقم، ويقظة ونوم.
فحياته الهدىٰ، وموته الضلالة.
وصحته الطهارة والصفاء، وسقمه الكدورة والتعلق بالدنيا.
ويقظته الذكر، ونومه الغفلة.

هادم اللذات

ومـا نَحسِبُ السـاعـات تقـطع مُدّة
علىٰ أنها فِيـنـا سريـعٌ دبـيـبُـهـا

فحـتـىٰ متـىٰ حتـىٰ متـىٰ وإلىٰ متـىٰ
يدوم طُلُوع الـشّـمسِ لي وغُـرُوبها

وإنّـي مِمّنْ يَكـرَهُ المـوت والـبِـلىٰ
ويُـعْـجِبُـهُ ريـحُ الحيـاةِ وطيـبُـهـا

أيـا هادِمَ الـلّذاتِ ما منـكَ مَهـرَبٌ
تُحاذِرُ نفسي منـكَ ما سَيُـصِـيـبُـهـا

فكَـمْ ثَمَّ مِنْ مُسْـتَرجِـعٍ مُتَـوَجِّـعٍ
وبـاكِـيَـةٍ يعـلُو عليّ نَحـيـبُـهـا

وداعِـيَـةٍ حرّىٰ تُنـادي وإنّـني
لفـي غَفْـلَةٍ عَنْ صوتِهـا ما أُجيبُـهـا

رأيـتُ المـنـايـا قُسّـمَـتْ بين أنـفسٍ
ونـفسي سيـأتي بعـدهـنّ نصِـيـبُـهـا

من ديوان أبي العتاهية

العمل الخالص لله

قال بلال بن سعد: عباد الرحمن! إن العبد ليعمل الفريضة الواحدة من فرائض الله وقد أضاع ما سواها، فما زال الشيطان يمنيه فيها ويزين له حتىٰ ما يرىٰ شيئاً دون الله.

فقبل أن تعملوا أعمالكم فانظروا ما تريدون بها، فإن كانت خالصة لله فأمضوها، وإن كانت لغير الله فلا تشقوا علىٰ أنفسكم ولا شيء لكم، فإن الله تعالىٰ لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً، فإنه تعالىٰ قال: ﴿إليه يصْعدُ الكَلِمُ الطَّيّبُ والعملُ الصالحُ يرفَعُه﴾ [فاطر: ١٠].

عباد الرحمن! ما يزال لأحدكم حاجة إلىٰ ربه تعالىٰ إما مسألة، وإما رغبة إليه.

وأما عهد الله وأمره ووصيته فعندكم ضائع، أفكل ساعة تريدون أن يتم عليكم إحسان ربكم عندكم، ولا تتفقدون أنفسكم في حق ربكم عندكم؟ ما هذا بالنَصَفِ فيما بينكم وبين ربكم.

عباد الرحمن! أشفقوا من الله، واحذروا الله ولا تأمنوا مكره، ولا تقنطوا من رحمته، واعلموا أن لنعم الله عندكم ثمناً فلا تشقوا علىٰ أنفسكم، أتعملون عمل الله لثواب الدنيا، فمن كان كذلك فوالله لقد رضي بقليل، حيث استعنتم علىٰ اليسير من عمل الدنيا، فلم ترضوا ربكم فيها، ورفضتم ما يبقىٰ لكم، وكفاكم منه اليسير.

خوف ورجاء

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

لو نادىٰ منادٍ من السماء: أيها الناس! إنكم داخلون الجنة كلكم أجمعون إلا رجلاً واحداً، لخفت أن أكون هو، ولو نادىٰ أيها الناس إنكم داخلون النار إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون هو.

زاد الرحيل

إذا أنتَ لم ترحَلْ بزادٍ من التُّقىٰ
ولاقيْتَ بعدَ الموتِ مَنْ قَدْ تزوّدا
ندِمت علىٰ أن لا تكونَ كمثلِهِ
وأنَّكَ لم تُرصِدْ كما كانَ أَرْصَدا

كلمات جميلة

قال رجل لابن المبارك: أوصني! فقال له:

اترك فضول النظر تُوفق للخشوع.

واترك فضول الكلام تُوفّق للحكمة.

وإترك فضول الطعام تُوفّق للعبادة.

واترك التجسس علىٰ عيوب الناس تُوفّق للاطلاع علىٰ عيوب نفسك.

واترك الخوض في ذات الله تُوقَ الشّكَ والنِّفاق.

وقال رجل لابن سيرين: أوصني! فقال:

لا تحسد أحداً، فإنه إن كان من أهل النار فكيف تحسده علىٰ دنيا فانية؟ سيصير بعدها إلىٰ نار حامية! وإن كان من أهل الجنة فاتبعه في أعمالها واغبطه عليها، فإن ذلك أولىٰ من حسدك له علىٰ الدنيا.

وقال رجل للحسن: أوصني، فقال:

واعجباً من ألسنة تصف، وقلوب تعرف، وأعمال تخالف.

وقال رجل لأبي الدرداء رضي الله عنه: أوصني!

فقال له: اذكر يوماً تصير السريرة فيه علانية.

وقال رجل لسفيان بن عيينة: أوصني! فقال له:

إياك أن تتكبر أو تأكل شيئاً من أموال الناس بغير حق، فإن من تكبّر علىٰ الناس ذَلّ، ومن اغتنم أموال الناس افتقر.

الموت كرامة

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

إن لله عباداً يميتون الباطل بهجره، ويحبون الحق بذكره، رُغّبوا فرغبوا، ورُهّبوا فرهبوا، خافوا فلا يأمنون، أبصروا من اليقين ما لم يعاينوا فخلطوه بما لم يزايلوه، أخلصهم الخوف فكانوا يهجرون ما ينقطع عنهم لما يبقىٰ لهم، الحياة عليهم نعمة، والموت لهم كرامة، فزوجوا الحور العين، وأخدموا الولدان المخلدين.

العمل بالقرآن

قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الناس خطيباً فقال:

تعلموا القرآن تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، فإنه لم يبلغ منزلة ذي حق أن يُطاع في معصية الله، واعلموا أنه لا يُقرب من أجل ولا يبعد من رزق الله قولٌ بحق وتذكير عظيم.

واعلموا أن بين العبد وبين رزقه حجاباً، فإن بَرّ أتاه رزقه، وإن اقتحم هتك الحجاب ولم يُدرك فوق رزقه، وأدنوا الخيل وانتضلوا واستعلوا وتسوَّكوا وتمعددوا.

وإياكم ومجاورة الجبارين، وأن يرفع بين ظهرانيكم صليب، وأن تجلسوا علىٰ مائدة يشرب عليها الخمر، وتدخلوا الحمام بغير إزار، وتدعوا نساءكم يدخلن الحمامات، فإن ذلك لا يحل.

واعلموا أن الله لا يزكي رجلين، ولا ينظر إليهما، ولا يقربهما يوم القيامة، ولهما عذابٌ أليم: رجلٌ أعطى إمامه صفقة يريد بها الدنيا، فإن أصابها وفَّىٰ له، وإن لم يصبها لم يفِ له، ورجلٌ أخرج بضاعته بعد العصر فحلف بالله لقد أُعطي بها كذا وكذا فاشتريت لقوله.

وسباب المؤمن فسوق وقتاله كفر، ولا يحل لك أن تهجر أخاك فوق ثلاثة أيام، ومن أتىٰ ساحراً أو كاهناً أو عرَّافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد ﷺ.

الأمن والعافية

عن عبيد بن محصن الأنصاري الخطميِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«من أصبَحَ منكم آمناً في سِرْبه، مُعافىً في جسده، عنده قوتُ يومه، فكأنَّما حِيزتْ له الدُّنيا بحذافيرها». رواه التِّرمذي وقال: حديث حسن.

الرضا باليسير

إنَّ ذا الموتِ ما عليه مُجير
يهلِكُ المُستَجارُ والمُستَجيرُ
إنْ تكُنْ لستَ خابِراً باللَّيالي
وبِأحداثِها فإنِّي خبيرُ
أيّها الطَّالِبُ الكَثير ليغنىٰ
كلُّ مَنْ يَطْلُبُ الكثيرَ فقِيرُ
وأقلُّ القَليلِ يُغني ويَكْفي
ليسَ يُغني وليس يكفي الكثيرُ
كيف تعمىٰ عن الهدىٰ كيفَ تعمىٰ
عجباً والهُدىٰ سراجٌ منيرُ
قد أتاك الهُدىٰ من الله نُصْحاً
وبِهِ حيّاك البَشيرُ النّذيرُ

ومَعَ اللهِ أنتَ ما دُمْتَ حياً
وإلىٰ اللهِ بعدَ ذاك تصِيرُ
والمنايا روائِحٌ وغَوادٍ
كلَّ يومٍ لها سَحابٌ مطيرُ
لا تغُرّنّك العُيُونُ فكَم
أعمىٰ تراه وإنّه لبَصيرُ
أنا أغنىٰ العِباد ما كانَ لي
كِنٌّ وما كان لي معاشٌ يسيرُ

من ديوان أبي العتاهية

شكر النعم

كتب بعض عمال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في كتابه: يا أمير المؤمنين إني بأرض قد كثر فيها النعم، حتىٰ لقد أشفقت علىٰ من قبلي من أهلها ضعف الشكر.

فكتب إليه عمر رضي الله عنه:

إني قد كنت أراك أعلم بالله مما أنت، إن الله لم ينعم علىٰ عبد نعمة فحمد الله عليها، إلا كان حمده أفضل من نعمه، لو كنت لا تعرف ذلك إلا في كتاب الله المنزل، قال الله تعالىٰ: ﴿**ولقد آتينا داود وسليمان علماً، وقالا الحمد لله الذي فضلنا علىٰ كثير من عباده المؤمنين**﴾ [النمل: ١٥]. وأي نعمة أفضل مما أوتي داود وسليمان؟! وقال الله تعالىٰ: ﴿**وسيق الذين اتقوا ربهم إلىٰ الجنة زمراً حتىٰ إذا جاؤوها**﴾ [الزمر: ٧٣]. وأي نعمة أفضل من دخول الجنة.

ألهاكم التكاثر

عن عبدالله بن الشِّخِّير رضي الله عنه أنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ: ﴿ألهاكم التكاثر﴾ قال:

«يقول ابن آدم: مالي مالي، وهلْ لَكَ يا ابنَ آدمَ مِنْ مالِكَ إلاَّ ما أكلتَ فأفنيت، أو لَبِسْتِ فأبليْتَ، أو تصدَّقْتَ فأمضَيْتَ؟!» رواه مسلم.

اغتنم خمساً

عن عمرو بن ميمون الأزدي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه:

«اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبلَ هرمك، وصحتك قبلَ سقمك، وغِناك قبلَ فقرك، وفراغك قبلَ شغلك، وحياتك قبلَ موتك». رواه الترمذي مرسلاً.

حاسبوا أنفسكم

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وحاسبوها قبل أن تحاسبوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم، وتزيّنوا للعرض الأكبر، **﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾** [الحاقة: ١٨].

خذ من حياتك لموتك

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كُن في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيل» وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصَّباح، وإذا أصبحْتَ فلا تنتظر المساء، وخذْ مِنْ صِحتكَ لمرضكَ، ومن حياتِكَ لموتك». رواه البخاري.

عن عمرو بن الحارث أخي جُويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنهما قال: «ما ترك رسول الله ﷺ عند موتـه ديناراً، ولا درهماً، ولا عبداً، ولا أَمَةً، ولا شيئاً، إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها، وسلاحه، وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة» رواه البخاري.

نهنه دموعك

نهنِـه دُمـوعـك كُلُّ حيٍّ فانِ
واصـبر لقـرْعِ نوائِـب الحـدثـانِ
يا دَارِيَ الحـقَّ الـتي لم أَبْـنِهـا
فيـها أُشـيّـده مِنَ الـبُـنْـيـانِ
كيـفَ الـعَـزاءُ ولا محالـةَ إنّـني
يومـاً إلـيـكِ مُشـيّـعٌ إخـواني
نعشـاً يُكَـفْـكِـفُـهُ الـرّجـالُ وفَـوْقَـهُ
جسـدٌ يُبـاعُ بأوْكَسِ الأثـمانِ

لولا الإلَــهُ وإنّ قَلبــي مُؤمِــنٌ
والله غيرُ مُضَــيِّــعٍ إيــماني
لظَنَــنْــتُ أو أيــقَــنْــتُ عنــدَ منــيّــتي
أنّ المــصــيرَ إليــكَ عن السّعــير مكــاني
وامــنُــنْ عليّ بِتــوبــةٍ ترضــىٰ بها
يا ذا الــعُــلىٰ والمَــنّ والإحــســانِ

من ديوان أبي العتاهية

الرضا بما قسم الله

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:
ارض بما قسم الله تكن من أغنىٰ الناس.
واجتنب المحارم تكن من أورع الناس.
وأدِّ ما افترض الله عليك تكن من أعبد الناس.
إنك إن سببت الناس سبُّوك، وإن ناقدتهم ناقدوك.
وإن تركتهم لم يتركوك، وإن فررت منهم أدركوك.
وإن جهنم تقادُ يوم القيامة بسبعين ألف زمام كل زمام بسبعين ألف ملك.

لا تأمن الدنيا

خفّضْ هداكَ اللّهُ مِن بالِكا
وافرحْ بما قدّمْتَ مِنْ مالِكا
لا تأمَنِ الدّنيا علىٰ غَدرها
كم غَدرَتْ مِنْ قَبلُ أمثالكا
كم سترىٰ في النّاس مِنْ هالكٍ
وهالِكٍ حتىٰ تُرىٰ هالِكاً
فانظُرْ سبيلًا سلَكُوهُ ولا
تحْسَبْ بأنْ لستَ له سالِكا
أصبَحت الدّنيا لنا عِبرة
والحمدُ لله علىٰ ذلِكا
قد أجمَعَ النّاسُ علىٰ ذمّها
ولا أرىٰ مِنْهُم لها تارِكا

من ديوان أبي العتاهية

الدنيا دار فناء

خطب عمر بن عبدالعزيز فقال:

إن الدنيا ليست بدار قراركم، دار كتب الله عليها الفناء، وكتب علىٰ أهلها منها الرحيل، فكم عامر موثق عما قليل مخرب، وكم مقيم مغتبط

عما قليل يرحل، فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما يحضركم من النقلة، وتزودوا فإن خير الزاد التقوىٰ.

إنما الدنيا كفيء ظلال نقص فذهب، بينما ابن آدم في الدنيا ينافس فيها وبها قرير العين إذ دعاه الله بقدره، ورماه بيوم حتفه، فسلبه آثاره ودنياه، وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه، إن الدنيا لا تسرّ بقدر ما تضرّ، إنها تسرّ قليلاً، وتجرّ حزناً طويلاً.

ازهد في الدنيا

قال أحد الصالحين:

إذا استغنىٰ الناس بالدنيا فاستغن أنت بالله.

وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله.

وإذا أنسوا بأحبابهم فاجعل أنسك بالله.

وإذا تعرَّفوا إلىٰ ملوكهم وكبرائهم وتقرَّبوا إليهم لينالوا بهم العزَّة والرفعة فتعرَّف أنت إلىٰ الله وتودَّد إليه تنل بذلك غاية العزِّ والرفعة.

قال بعض الزهّاد: ما علمت أن أحداً سمع بالجنة والنار تأتي عليه ساعة لا يطيع الله فيها بذكر أو صلاة أو قراءة أو إحسان، فقال له رجل: إني أكثر البكاء، فقال: إنك إن تضحك وأنت مُقرّ بخطيئتك خير من أن تبكي وأنت مُدلّ بعملك، وإن المدلّ لا يصعد عمله فوق رأسه.

فقال: أوصني، فقال: دع الدنيا لأهلها كما تركوا هم الآخرة لأهلها، وكُن في الدنيا كالنحلة، إن أكلت أكلت طيباً، وإن أطعمت أطعمت طيباً، وإن سقطت علىٰ شيء لم تكسره ولم تخدشه.

لا تكن منهم

صعد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه منبر الكوفة، فحمد الله وخنقته العبرة، فبكىٰ حتىٰ اخضلت لحيته بدموعه وجرت، ثم قال:

يا أيها الناس! لا تكونوا ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويؤخر التوبة بطول الأمل، يقول في الدنيا قول الزاهدين، ويعمل فيها عمل الراغبين، إن أعطي منها لم يشبع وإن منع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوتي، ويبتغي الزيادة فيما بقي.

ويأمر ولا يأتي، وينهىٰ ولا ينتهي، يحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم، ويبغض الظالمين وهو منهم، تغلبه نفسه علىٰ ما يظن، ولا يغلبها علىٰ ما يستيقن، إن استغنىٰ فُتن، وإن مرض حزن، وإن افتقر قَنِط ووهن، فهو بين الذنب والنعمة يرتع، يُعافىٰ فلا يشكر، ويبتلىٰ فلا يصبر، كأن المحذَّر من الموت سواه، وكأنّ مَنْ وُعد وزُجر غيره.

عقاب وغفران

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أيها الناس إنكم والله لو حننتم حنين الوله العجال، ودعوتم دعاء الحمام، وجأرتم جؤار متبتلي الرهبان، ثم خرجتم إلىٰ الله من الأموال والأولاد التماس القربة، فما أرجو لكم من جزيل ثوابه، وأتخوف عليكم من أليم عقابه.

فبالله بالله لو سالت عيونكم رهبة منه، ورغبة إليه، ثم عمرتم في الدنيا، ما الدنيا باقية ولو تبقوا شيئاً من جهدكم لأنعمه العظام عليكم، بهدايته إياكم للإسلام، ما كنتم تستحقون به الدهر، ما الدهر قائم بأعمالكم جنته، ولكن برحمته ترحمون، وإلىٰ جنته يصير منكم المقسطون، جعلنا الله وإياكم من التائبين العابدين.

الحلال والحرام

عن أبي بكر بن عياش قال:

لما خرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلىٰ أرض صفين مرَّ بخراب المدائن فتمثل رجلٌ من أصحابه فقال:

جَرَتِ الرِّياحُ علىٰ محلِّ دِيارِهِمْ
فكأنما كانوا علىٰ ميعادِ
وأرىٰ النَّعيمَ وكلَّ ما يُلهىٰ به
يوماً يصيرُ إلىٰ بلىٰ ونفادِ

فقال علي: لا تقل هكذا، ولكن قل كما قال الله تعالىٰ: ﴿كم تركوا مِنْ جناتٍ وعيون، وزروعٍ ومقامٍ كريمٍ، ونَعْمَةٍ كانوا فيها فاكهين، كذلكَ وأورثناها قوماً آخرين﴾ [الدخان: ٢٥ ـ ٢٨]. إن هؤلاء القوم كانوا وارثين فأصبحوا مُورِّثين، وإن هؤلاء القوم استحلوا الحرام، فحلَّت فيها النقم، فلا تستحلوا الحرام فتحلَّ بكم النقم!

برزخ الموتى

لِمَ لا نُبادِرُ ما نَراهُ يفُوت
إذْ نحنُ نعلمُ أنّنا سنموتُ
مَنْ لم يُوالِ اللهَ والرُّسْلَ التي
نصحتْ له فوَليُّهُ الطّاغوتُ
عُلَماؤنا مِنّا يَرَوْنَ عجائِباً
وهُمُ علىٰ ما يُبصِرونَ سكُوتُ
تُفْنيهم الدّنيا بوَشْكِ زَوالِها
فجميعهم بغُرورِها مَبهُوتُ
وبحسبِ مَنْ يسمو إلىٰ الشّهوات
يكفيه من شَهواته ويَقوتُ
يا بَرْزخَ الموتىٰ الذي نزلوا به
فهُمُ رُقُودٌ في ثَراهُ خُفُوتُ
كم فيكَ ممّن كانَ يوصَلُ حبلُهُ
قد صارَ بَعدُ وحبلُه مَبتوتُ

من ديوان أبي العتاهية

مجاورة الرحمن

قال الربيع بن صبيح: قلت للحسن البصري رحمه الله تعالىٰ: إن ههنا قوماً يتبعون السقط من كلامك ليجدوا إلىٰ الوقيعة فيك سبيلاً،

فقال:

لا يكبر ذلك عليك، فلقد أطمعتُ نفسي في خلود الجنان فطمعتْ، وأطمعتها في مجاورة الرحمن فطمعتْ، وأطمعتُها في السلامة من الناس فلم أجد إلىٰ ذلك سبيلاً، لأني رأيتُ بعض الناس لا يرضون عن خالقهم، فعلمتُ أنهم لا يرضون عن مخلوق مثلهم.

الآخرة مقبلة

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكلٍّ واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإنَّ اليوم عملٌ ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل. رواه البخاري.

اعتزل عدوك

عن أبي بن كعب أن رجلاً قال له: أوصني يا أبا المنذر قال:

لا تعرضن فيما لا يعنيك.

واعتزل عدوَّك.

واحترز من صديقك.

ولا تغبطن حياً بشيء إلا ما تغبطه به ميتاً.

ولا تطلب حاجة إلىٰ من لا يبالي أن لا يقضيها لك.

أصلح نفسك

سُبحان ربِّك ما أراك تَتوبُ
والرّأسُ منكَ بشيبِهِ مَخْضُوبُ
سُبحانَ رَبّكَ ذي الجلال أما ترىٰ
نُوَبَ الزّمانِ عليك كيف تَنُوبُ
سُبحانَ رَبّكَ كيف يغلِبُك الهوىٰ
سُبحانَهُ إنّ الهوىٰ لغَلُوبُ
سُبحانَ رَبّكَ ما تزالُ وفيك عن
إصلاحِ نَفْسِك فَتْرَةٌ ونُكوبُ
سُبحانَ رَبّكَ كيف يلتَذّ امرُؤٌ
بالعَيشِ وهو بِنَفْسِهِ مطلوبُ

من ديوان أبي العتاهية

الدعاء عند الرخاء

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال:

تعلموا العلم قبل أن يرفع، فإن ذهابَ العلم ذهابُ العلماء، لولا ثلاثُ خصالٍ لصلح أمر الناس: شحٌّ مطاع، وهوىٰ متبع، وإعجاب المرء بنفسه.

من رزق قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وزوجة مؤمنة فنعم الخير أتته،

ولن يترك من الخير شيئاً، من يكثر الدعاء عند الرخاء فيستجاب له عند البلاء، ومن يكثر قرع الباب يفتح له.

وصية الوالد لولده

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوصي ابنه الحسن:

أي بني! إياك ومشاورة النساء! إلا جَرّبتَ بكمال، فإن رأيهنّ يجر إلىٰ قلة العقل وعزمهنّ إلىٰ وهن، اكفف عليهنّ من أبصارهنّ بحجابك إياهنّ، فإن شدة الحجاب خير لهنّ من الارتياب، وليس خروجهنّ بأشد عليك من دخول من لا تثق به عليهنّ، فإن استطعت أن لا يعرفهنّ غيرك فافعل.

أقلل الغضب ولا تكثر العتاب في غير ذنب، فإن المرأة ريحانة، وليست بشيطانة، وأحسن لمماليك الأدب، وإن أجرم أحد منهم جرماً فأحسن العفو، فإن العفو مع العزم أشد من الضرب لمن كان له قلب، وخف القصاص، واجعل لكل امرىء منهم عملاً تأخذه به، فإنه أحرىٰ ألا يتوكلوا.

وأكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذي به تطير، وأصلك الذي إليه تصير، فإنك بهم تصول، وبهم تطول، وهم العمدة عند الشدة، وأكرم كريمهم، وعُدْ سقيمهم، وأشركهم في أمورهم، ويسّر عن معسرهم، واستعن بالله علىٰ أمرك كله، فإنه أكرم معين.

نسيت منيتي وخدعت نفسي

نسيتُ منيّتي وخدعت نفسي
وطالَ عليّ تعمِيري وغرْسي
وكُلُّ ثمينَةٍ أصْبَحتُ أُغلي
به ستُباعُ من بعدي بوَكْس
وما أدري وإن أمّلْتُ عُمراً
لعلّي حينَ أُصْبحُ لستُ أُمْسِي
وساعَةُ مِيتَتي لا بُدّ مِنها
تُعجّل نُقلَتي وتُطيلُ حَبسي
أموتُ ويكرَهُ الأحبابُ قُربي
وتحضرُ وحشتي ويغيبُ أُنسي
ألا يا ساكِنَ البَيت المُوَشّىٰ
ستُسكِنُكَ المَنِيّةُ بَطنَ رمسِ
رأيتُكَ تذْكر الدّنيا كثيراً
وكثرة ذِكْرها للقلْبِ تُقْسي
كأنّكَ لا ترىٰ بالخَلْق نقْصاً
وأنتَ تَراهُ كُلّ شرُوقِ شمسِ
وطالِب حاجَةٍ أعْيا وأكْدىٰ
ومُدْرِكِ حاجَةٍ في لِين لَمْسِ

ألا وَلَقَــــلّ مـــــا تَلْقَـــىٰ شَجِيًّـــا
يُســيـغُ شجـاهُ إلاّ بالـتّـأسي

من ديوان أبي العتاهية

أمنيـة

قال بعض الخائفين العابدين: ليتني كنت كبش أهلي يسمنوني ما بدا لهم، حتىٰ إذا كنت أسمن ما أكون، زارهم بعض من يحبون فجعلوا بعضي شواء، وبعضي قديداً، ثم أكلوني فأخرجوني عذرة، ولم أك بشراً.

الحرص لا ينفع

بينما سليمان بن عبدالملك في المسجد الحرام إذ أتىٰ بحجر منقوش، فطلب من يقرأه له فأتىٰ بوهب بن مُنبّه فقرأه، فإذا فيه:

ابن آدم إنك لو رأيت قرْبَ ما بقي من أجلك لزهدت في طويل أملك، ولرغبت في الزيادة من عملك، ولقصرتَ مِنْ حرصك وحيلك.

وإنما يلقاك غداً ندمك، وقد زلّت بك قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك، فبان منك الوليد القريب، ورفضك الوالد والنسيب، فلا أنت إلىٰ دنياك عائد، ولا في حسناتك زائد، فاعمل ليوم القيامة، قبل الحسرة والندامة، قال: فبكىٰ سليمان بكاءً شديداً.

موافقة القول العمل

قال بلال بن سعد: إن المؤمن ليقول قولاً ولا يدعه الله وقوله حتىٰ ينظر في عمله، فإن كان عمله موافقاً لقوله لم يدعه حتىٰ ينظر في ورعه، فإن كان ورعه موافقاً لقوله وعمله لم يدعه حتىٰ ينظر فيما نوىٰ به، فإن سلمت له النية فحري أن يسلم سائر ذلك، إن المؤمن ليقول قولاً يوافق قوله عمله، وإن المنافق ليقول بما يعلم، ويعمل بما ينكر.

وقال أيضاً: عباد الرحمن: إن العبد ليقول قول مؤمن فلا يدعه الله وقوله حتىٰ ينظر في عمله.

فإن كان قوله قول مؤمن وعمله عمل مؤمن لم يدعه حتىٰ ينظر في ورعه.

فإن كان قوله قول مؤمن وعمله عمل مؤمن وورعه ورع مؤمن لم يدعه حتىٰ ينظر ماذا نوىٰ.

فإن صلحت النية فحري أن يصلح ما دونه.

المؤمن يقول قولاً يتبع قوله عمله.

والمنافق يقول بما يعرف ويعمل بما ينكر.

الحرص على الدنيا تعب

لقد لَعِبتُ وجدَّ الموت في طلبي
وإنّ في الموتِ لي شُغلاً عنِ اللّعِبِ
لو شمّرتُ فِكرتي فيما خُلِقت له
ما اشتدّ حِرصي علىٰ الدّنيا ولا طلبي

سُبحانَ مَنْ ليس من شيء يُعادِلُه
إنّ الحريصَ علىٰ الدّنيا لفي تَعَبِ

من ديوان أبي العتاهية

تقرب إلى الله بطاعته

من وصية أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لولده الحسن:

اعلم أي بني! إن أحداً لم ينبىء عن الله عز وجل كما نبأ به محمد ﷺ، فارض به رائداً، فإني لم آلُك نصيحة ولم تبلغ في ذلك، وإني اجتهدت مبلغي في ذلك لعنايتي وطول تجربتي، وإن نظري لك كنظري لنفسي، اعلم أن الله واحد، أحد صمد، لا يضادُّه في ملكه أحد، ولا يزول ولم يزل، أول من قبل الأشياء بلا أولية، وآخر بلا نهاية، حكيم، عليم، قديم، لم يزل كذلك.

فإذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك في صغر خطره، وقلة مقدرته، وكثرة عجزه، وعظيم حاجتك إلىٰ ربِّك، فاستعن بإلهك في طلب حاجتك، وتقرب إليه بطاعته، وارغب إليه بقدرته، وارهب منه برويته، فإنه حكيم لم يأمرك إلا بحسن، ولم ينهك إلا عن قبيح.

نعيم دائم أو عذاب مقيم

قال الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ: لو علم ابن آدم أن له في الموت راحة وفرجاً لشق عليه أن يأتيه الموت لما يعلم من فظاعته وشدته وهوله، فكيف وهو لا يعلم ماله في الموت من نعيم دائم أو عذاب مقيم؟!

الاستعانة بالله

أوصىٰ الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولده الحسن فقال:

يا بني! قدم عنايتك في الأمر ليكون ذلك نظراً لديك، لا ممارياً ولا مفاخراً ولا طلباً لعرض عاجلتك، فإن الله يوفقك لرشدك، ويهديك لقصدك، فاقبل عهدي إليك، ووصيتي لك.

واعلم يا بني! إن أحبَّ ما أنت آخذ به من وصيتي تقوىٰ الله، والاقتصار علىٰ ما افترض الله عليك، والأخذ بما ألقىٰ عليك أولوك من آبائك والصالحون من أهل بيتك، فإنهم لم يدعوا أن ينظروا لأنفسكم كما أنت ناظر وفكروا كما أنت مفكر.

ثم ردهم ذلك إلىٰ الأخذ بما عرفوا والإمساك عما لم يُكلفوا، فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم ما علموا، فيكون طلبُك ذلك بتعلُّم وتفهم وتدبر، لا بتوارد الشبهات وعلم الخصومات، وابدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانة بإلهك عليك والرغبة إليه.

عاقبة الذنوب

قال ابن عباس رضي الله عنهما:

يا صاحب الذنب لا تأمنن من سوء عاقبته، ولما يتبع الذنب أعظم من الذنب إذا عملته، فإن قلة حيائك ممن علىٰ اليمين وعلىٰ الشمال،

وأنت علىٰ الذنب أعظم من الذنب الذي عملته، وضحكتَ وأنتَ لا تدري ما الله صانع بك أعظم من الذنب.

وفرحك بالذنب إذا ظفرت به أعظم من الذنب، وحزنك علىٰ الذنب إذا فاتك أعظم من الذنب إذا ظفرت به، وخوفك من الريح إذا حركتْ ستر بابك وأنت علىٰ الذنب، ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظم من الذنب إذا عملته.

دين ودنيا

قال ميمون بن مهران: إن راهباً دخل علىٰ عمر بن عبدالعزيز، فقال له عمر: ألم أخبر أنك تديم البكاء فمم ذاك؟ قال:

إني والله يا أمير المؤمنين عهدت الناس وما شيء عندهم آثر من دينهم، وما شيء اليوم آثر عندهم من دنياهم، فعلمت أن الموت خير للبر والفاجر، قال: فلما خرج، قال عمر: صدق يا أبا أيوب الراهب.

اغتنم الفرصة

إذا هبّتْ رياحُكَ فاغتَنِمْها
فإنّ لكلِ خافقةٍ سُكونُ
ولا تغفَلْ عن الإحْسانِ فيها
فما تدري السُكونُ متىٰ يكونُ
إذا ظَفِرتْ يداكَ فلا تَقْصُرُ
فإنّ الدّهْرَ عادتُه يخونُ

أين أبي؟

يا نفسُ أيـنَ أبي وأيـنَ أبـو أبي
وأبـوهُ؟ عُدّي لا أبـا لكِ واحسـبـي
عُدّي فإنّي قد نظرت فلم أجـد
بيـني وبـين أبـيـك آدم من أبِ
أفـأنـتِ تـرجيـنَ السّـلامـةَ بعـدهـم
هلاّ هُديـتِ لسَـمْـتِ وجـهِ المطلَبِ
قد ماتَ ما بينَ الجَنـينِ إلىٰ الـرَّضيـع
إلىٰ الـفـطيـم إلىٰ الـكـبـيرِ الأشيَـبِ
فإلىٰ مَتـىٰ هذا أراني لاعـبـاً
وأرىٰ المـنـيّـة إن أتَـتْ لم تلعـبِ

من ديوان أبي العتاهية

قبح القطيعة مع الصلة

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ناصحاً ابنه الحسن:

لا تصرم أخاك علىٰ ارتياب، ولا تقطعه دون استعتاب، ولِن لمن غالظك فإنه يوشك أن يلينَ لك، ما أقبحَ القطيعةَ بعد الصلة، والجفاء بعد اللّطف، والعداوةَ بعد المودةِ، والخيانةَ لمن ائتمنك، وخُلْف الظّنِ لمن ارتجاك، والغرر بمن وثق بك!

وإن أردت قطيعة أخيك فاستبق له من نفسك بقيةً، ومن ظَنَّ بك خيراً فصدق ظنه، ولا تضيعنَّ بر أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه، فإنه ليس بأخ من أضعت حقه، لا يكون أهلك أشقىٰ الناس بك.

ولا ترغبن فيمن زهد فيك، ولا تزهدن فيمن رغب إليك، إذا كان للخلط موضعاً، لا يكونن أخوك أقوىٰ علىٰ قطيعتك منك علىٰ صلته، لا يكونن علىٰ الإساءة أقوىٰ منك علىٰ الإحسان إليه، ولا علىٰ البخل أقوىٰ منك علىٰ البذل، ولا علىٰ التقصير أقوىٰ منك علىٰ الفضل، لا يكثرن عليك ظلمُ من ظلمك، فإنه يسعىٰ في مضرته ونفعك، وليس جزاء من سرك أن تسوءه.

المؤمن والكافر

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يُعطىٰ بها في الدنيا ويجزىٰ بها في الآخرة، وأما الكافر فيُطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتىٰ إذا أفضىٰ إلىٰ الآخرة لم يكن له حسنة يُجزىٰ بها» رواه مسلم.

جرح لا يندمل

سئل حكيم: ما الجرح الذي لا يندمل؟

فقال: حاجة الكريم إلى اللئيم.. ثم يرده.

قيل: فما الذل؟

قال: وقوف الشريف بباب الدنيء.. ثم لا يؤذن له.

لا تأتي نعمة إلا بفراق أخرى

قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله:

يا أيها الناس إنما أنتم أغراض تنتضل فيها المنايا، إنكم لا تؤتون نعمة إلا بفراق أخرىٰ، وأية أكلة ليسْ معها غصة، وأية جرعة ليس معها شرقة، وإن الأمس شاهد مقبول قد فجعكم بنفسه، وخلف في أيديكم حكمته، وإن اليوم حبيب مودع وهو وشيك الظعن.

وإن غداً آت بما فيه، وأين يهرب من يتقلب في يدي طالبه! إنه لا أقوىٰ من طالب، ولا أضعف من مطلوب، إنما أنتم سفر تحلون عقد رحالكم في غير هذه الدار، إنما أنتم فروع أصول قد مضت فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله.

لا خلد في الدنيا

لِيبكِ علىٰ نفسِهِ مَنْ بكىٰ
فما أوشكَ الموتَ ما أوشكا
فلا تَبكِينَ علىٰ هالِكٍ
فإن قُصاراك أن تهلِكا
أتَطْمعُ في الخُلْدِ بعدَ الألىٰ
رأيْتَهم قد مضوا قبلَكا

من ديوان أبي العتاهية

شكر الله

كتب أبو الدرداء إلىٰ سلمان رضي الله عنهما أما بعد:

فيا أخي اغتنم صحتك وفراغك، من قبل أن ينزل بك من البلاء ما لا يستطيع أحد من الناس رده، يا أخي: اغتنم دعوة المؤمن المبتلىٰ.

ويا أخي: ليكن المسجد بيتك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: المسجد بيت كل تقي، وقد ضمن الله عز وجل لمن كانت المساجد بيوتهم بالروح والراحة والجواز علىٰ الصراط إلىٰ رضوان الرب سبحانه.

ويا أخي: ادنِ اليتيم منك، وامسح رأسه، والطف به، وأطعمه من طعامك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: وجاءه الرجل يشكو إليه قسوة القلب قال: ادن اليتيم منك، والطف به، وامسح برأسه، وأطعمه من طعامك، فإن ذلك يلين قلبك، وتدرك حاجتك.

ويا أخي: إياك أن تجمع من الدنيا مالاً لا تؤدي شكره! فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يؤتىٰ بصاحب المال الذي أطاع الله فيه وماله بين يديه، كلما تكفأ به الصراط قال له: امض قد أديت حق الله فيه، ويجاء بصاحب المال الذي لم يُطع الله فيه وماله بين كتفيه، كلما تكفأ به الصراط قال له ماله: ويلك! ألا أديت حق الله فيَّ! فما يزال كذلك حتىٰ يدعو بالويل والثبور.

إلى الله تصير الأمور

ألا إلىٰ الله تصيرُ الأمور
ما أنتِ يا دُنيايَ إلّا غُرورُ
إنّ امرءاً يَصْفُو لَهُ عيشُهُ
لغافِلٌ عمّا تُجِنّ القُبُورُ
نحنُ بنو الأرض وسُكّانُها
مِنْها خُلِقْنَا وإليها نصِيرُ
لا والذي أمْسَيتُ عبداً لهُ
ما دامَ في الدّنيا لحَيٍّ سُرورُ
حتىٰ متىٰ أنْتَ حَريصٌ علىٰ
كثير ما يكفيكَ مِنْهُ اليسيرُ
إذا عَرَفْتَ الله فاقْنَعْ بهِ
فَعِنْدَكَ الحَظّ الجزيلُ الكثيرُ
تبارَكَ الله فسُبْحانَهُ
مَنْ جَهِلَ الله فذاكَ الفقيرُ

من ديوان أبي العتاهية

أنعم أهل الأرض

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«يُؤتىٰ بأنعم أهل الدُّنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قطُّ، هل مرَّ بك نعيم قطُّ؟ فيقول: لا والله يا رب، ويُؤتىٰ بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنَّة، فيُصبغ صبغةً في الجنَّة فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بُؤساً قط، هل مرَّ بك شدَّة قط؟ فيقول: لا والله ما مرَّ بي بُؤسٌ قطُّ ولا رأيت شدَّة قط» رواه مسلم.

ثلاث منجيات

مرّ عمر بن الخطاب بمعاذ بن جبل رضي الله عنهما فقال: ما قوامُ هذه الأمة؟ قال معاذ: ثلاث وهنَّ المنجيات:

الإخلاص: وهي الفطرة فطرة الله التي فطر الناس عليها.

والصلاة: وهي الملة.

والطاعة: وهي ترك المعصية.

فقال عمر: صدقت، فلما جاوزه قال معاذ لجلسائه: أما إن سنيِّك خيرٌ من سِنيهم، ويكون بعد اختلافٌ، ولن يبقىٰ إلا يسيراً.

متى تتوب

أَلا للهِ أَنتَ مَتى تَتوبُ
وَقَد صَبَغَتْ ذَوائِبَكَ الخُطوبُ
كَأَنَّكَ لَستَ تَعلَمُ أَيَّ حَثٍّ
يَحُثُّ بِكَ الشُّروقُ كَما الغُروبُ
أَلَسْتَ تَراكَ كُلَّ صَباحِ يَومٍ
تُقابِلُ وَجْهَ نائِبَةٍ تَنوبُ
لَعَمْرُكَ ما تَهُبُّ الرِّيحُ إِلّا
نَعاكَ مُصَرِّحاً ذاكَ الهُبوبُ
أَلا للهِ أَنتَ فَتىً وَكَهْلاً
تَلوحُ عَلى مَفارِقِكَ الذُّنوبُ

من ديوان أبي العتاهية

المال يستطيع.. ولكنه

المال لا يصنع السعادة، ولكن السعادة قد تستلزم وجود قدر من المال.
المال يستطيع أن يشتري أشياء ثمينة، ولكنه لا يستطيع أن يشتري سعادة.
المال يستطيع أن يشتري الدواء، ولكنه لا يستطيع أن يشتري الصحة.
المال يستطيع أن يشتري الكتب، ولكنه لا يستطيع أن يشتري العلم والعقول.

الشكر مع العافية

قال عون بن عبدالله:

الخير الذي لا شرَّ فيه، الشكرُّ مع العافية، فكم من منعم عليه غير شاكرٍ، وكم من مبتلىٰ غير صابرٍ، وكان يقول: الحمدُ لله الذي إذا شئتُ أي ساعة من ليل أو نهار وضعتُ عنده سري بغير شفيع، فيقضي لي حاجتي ربي عز وجل، والحمد لله الذي أدعوه فيجيبني، وإن كنتُ بطيئاً حين يدعوني.

المؤمن الزاهد

قال كعب الأحبار:

المؤمن الزاهد والمملوك الصالح آمنان من الحساب، وطوبىٰ لهم كيف يحفظهم الله في ديارهم، إن الله إذا أحبَّ عبده المؤمن زوى عنه الدنيا ليرفعه درجات في الجنة، وإذا أبغضَ عبدَه الكافرَ بسط له في الدنيا حتىٰ يسفله درجات في النار.

وقال كعب: ويقول الله لعباده الصابرين الراضين بالفقر: أبشروا ولا تحزنوا، فإن الدنيا لو وزنت عند الله جناح بعوضة مما لكم عندي ما أمهلتهم منها شيئاً.

وقال أيضاً: إذا اشتكىٰ إلىٰ الله عباده الفقراء الحاجة قيل لهم أبشروا ولا تحزنوا فإنكم سادة الأغنياء، والسابقون إلىٰ الجنة يوم القيامة.

البكاء من خشية الله

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظله: إمامٌ عادل، وشابٌّ نشأ في عبادة الله تعالىٰ، ورجلٌ قلبه معلَّق بالمساجد، ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه، ورجلٌ دعته امرأة ذاتُ منصبٍ وجمال فقال: إنِّي أخاف الله، ورجلٌ تصدَّق بصدقة فأخفاها حتىٰ لا تعلمَ شماله ما تُنفقُ يمينَه، ورجلٌ ذكر الله خالياً ففاضتْ عيناه» أخرجه البخاري ومسلم.

الصلاة والصيام

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«تجيءُ الأعمالُ، فتجيءُ الصلاةُ فتقول: يا ربِّ! أنا الصلاةُ، فيقول: إنكِ علىٰ خير.

فتجيءُ الصدّقةُ، فتقولُ: يا ربِّ! أنا الصدّقةُ، فيقولُ: إنكِ علىٰ خير.

ثم يجيءُ الصيامُ، فيقول: يا ربِّ! أنا الصيامُ، فيقول: إنك علىٰ خير، ثم تجيء الأعمال علىٰ ذلك. يقول الله تعالىٰ: إنك علىٰ خير.

ثم يجيء الإسلام فيقول: يا ربّ! أنتَ السلامُ وأنا الإسلامُ فيقولُ الله تعالىٰ: إنكَ علىٰ خيرٍ، بكَ اليومَ آخذُ، وبكَ أُعطي.

قال الله تعالىٰ في كتابه: ﴿ومن يبتغِ غيرَ الإسلامِ ديناً فلَنْ يُقْبلَ منه وهو في الآخرةِ مِنَ الخاسرين﴾ أخرجه أحمد.

ألا أيها المغرور

تخفّفْ مِنَ الدّنيا لعلكَ أن تنجو
ففي البِرّ والتّقوىٰ لكَ المسلكُ النّهجُ
رأيتُ خرابَ الدّارِ يُحليه لهوها
إذا اجتمع المِزْمَارُ والطّبْلُ والصنّجُ
ألا أيّها المغرورُ هل لك حُجّة
فأنت بها يوم القِيامة مُحتجُّ
تُديرُ صُروفَ الحادِثاتِ فإنّها
بقلْبك منها كلَّ آونَةٍ سَحجُ
ولا تحسَب الحالاتِ تبقىٰ لأهلِها
فقد يستقيمُ الحالُ طَوْراً ويعوجُ
مَنْ استظرفَ الشيء استلذّ بظرْفِهِ
ومَنْ ملّ شيئاً كان فيهِ لهُ مَجّ
إذَا لجَّ أهلُ اللّؤمِ طاشَتْ عُقولُهم
كذاكَ لجاجاتُ اللّئامِ إذا لجّوا
تباركَ مَنْ لم يشفِ إلا التّقىٰ به
ولم يأتَلِفْ إلاّ بهِ النّارُ والثّلْجُ

من ديوان أبي العتاهية

أقوال في الصبر

قال عمر بن عبدالعزيز:

جعل الله في الصبر معولاً حسناً، ولما مات عبدالملك ابنه، صلىٰ عليه، ثم قال: رحمك الله لقد كنت لي وزيراً وكنت لي معيناً. قال: والناس يبكون وما يقطر من عينيه قطرة.

وأصيب مطرف بن عبدالله في ابن له، فأتاه قوم يعزونه، فخرج إليهم أحسن ما كان بشراً، ثم قال: إني لأستحيي من الله أن أتضعضع لمصيبة.

وقال عمرو بن دينار، وقال عبيد بن عمير: ليس الجزع أن تدمع العين ويحزن القلب، ولكن الجزع القول السيء والظن السيء.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني الحسين بن عبدالعزيز الحروزي: قد مات ابن لي نفيس، فقلت لأمه: اتقي الله واحتسبيه واصبري، فقالت: مصيبتي أعظم من أن أفسدها بالجزع.

قال ابن أبي الدنيا: وأخبرني عمر بن بكير، عن شيخ من قريش، قال: مات الحسن بن الحصين أو عبيدالله بن الحسن، وعبيدالله يومئذ قاض علىٰ البصرة وأميراً، فكثر من يعزيه، فتذاكروا ما يتبين به جزع الرجل من صبره، فأجمعوا أنه إذا ترك شيئاً مما كان يصنعه فقد جزع.

وقال خالد بن أبي عثمان القرشي: كان سعيد بن جبير يعزيني في ابني، فرآني أطوف بالبيت متقنعاً، فكشف القناع عن رأسي، وقال: الاستكانة من الجزع.

الصدقة خير

قام عمر بن عبدالعزيز رحمه الله يوم عيد، فصعد المنبر فأتىٰ بعصا مضببة بفضة عرضها بين يديه، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم تلا آيات من كتاب الله ثم قال:

أيها الناس إني وجدت هذا القلب لا يعبر عنه إلا باللسان ولعمري ـ وإن لعمري مني لحق ـ لوددت أنه ليس من الناس عبد ابتلي بسعة إلا نظر قطيعاً من ماله فجعله في الفقراء والمساكين واليتامىٰ والأرامل، بدأت أنا بنفسي وأهل بيتي، ثم كان الناس بعد، ثم كان آخر كلمة تكلم بها حين نزل: لولا سنة أحييها، أو بدعة أميتها، لم أبال أن لا أبقىٰ في الدنيا فواقاً.

هوان الدنيا

لما استخلف عمر رضي الله عنه صعد المنبر فلما رأىٰ الناس أسفل منه حمد الله، ثم كان أول كلام تكلم به بعد الثناء علىٰ الله تعالىٰ وعلىٰ رسوله ﷺ:

هــوّن عليـك فإنَّ الأمــورَ
بكــفِّ الإلــه مقــاديــرُهــا
فلـيــسَ يأتـيـكَ منهـيـهــا
ولا قاصرٌ عنـكَ مأمـورُهـا

أمثلة في الكرم

قال أسماء بن خارجة: ما أحب أن أرد أحداً عن حاجة. لأنه إن كان كريماً أصون عرضه، أو لئيماً أصون عنه عِرْضي.

وباع طلحة بن عثمان رضي الله عنه أرضاً بسبعمائة ألف درهم فلما جاءه المال قال: إن رجلاً يبيت هذا عنده لا يدري ما يطرقه لغرير بالله تعالىٰ، ثم قسمه بين المسلمين.

ولما دخل المنكدر علىٰ عائشة رضي الله عنها قال لها: يا أم المؤمنين أصابتني فاقة، فقالت: ما عندي شيء، فلو كان عندي عشرة آلاف درهم لبعثت بها إليك، فلما خرج من عندها جاءتها عشرة آلاف درهم من عند خالد بن أسيد فأرسلت بها إليه في أثره.

وجاء رجل إلىٰ طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه فسأله برحم بينه وبينه، فقال: هذا حائطي بمكان كذا وكذا وقد أعطيت فيه مائة ألف درهم، فإن شئت فالمال، وإن شئت فالحائط.

وقال زياد بن جرير: رأيت طلحة بن عبيدالله فرق مائة ألف في مجلس وإنه ليخيط إزاره بيده.

كلمات في الحكمة

من لا يعرف الخير من الشر فألحقه بالبهائم.
إذا انقطع رجاؤك عن صديقك فألحقه بعدوك.

من لا يقدر علىٰ جمع الفضائل، فلتكن فضائله ترك الرذائل.
من استبدَّ برأيه خفت وطأتُهُ علىٰ أعدائه.
كرم المرء دينُهُ، ومروءتُهُ عقله، وحسبه خُلُقُهُ.
رُبَّ موتٍ يجيء من طلب الحياة.
لسان المرء من خدم الفؤاد.
المرء توّاق إلىٰ ما لم ينل.
أحب شيء إلىٰ الإنسان ما مُنِعَ.
من حسد الناس بدأ بمضرة نفسه.
لا خير في القول إلّا مع العمل.
ولا في الفقه إلّا مع الورع.
ولا في الصدقة إلا مع النية.
ولا في المال إلّا مع الزكاة.
ولا في الصدق إلّا مع إنجاز الوعد.
لا عقل كالتدبير، ولا ورع ككفٍّ الأذىٰ.

دعاء

يحكىٰ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كوم كومة من بطحاء، ثم ألقىٰ عليها طرف ثوبه، ثم استلقىٰ عليها فرفع يديه إلىٰ السماء ثم قال: اللهم كبرتْ سني، وضعفَتْ قوتي، وانتشرَتْ رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط.

الفهرس

مقدمة ٥
الطاعة والمعصية ٧
كثرة الضحك ٨
حب الدنيا رأس كل خطيئة ٨
القرآن نور الليل المظلم ٩
الموت قادم ١٠
اتقاء الشبهات ١٠
خصلتان ١١
علو الهمة ١٢
كرم المال والنفس ١٢
مناجاة ١٣
حوار جميل ١٤
علاج الغضب ١٤
كلمات من الحكمة ١٥
مفتاح وأسنان ١٦
الدنيا لا بقاء لها ١٧
العز والغنى ١٧
كتمان الشكر جحود ١٨
لنكن إخوانه ١٨
أهل الصفة ١٩
ترك المعاصي ١٩
عظة الأحياء بالأموات ٢٠
بين عمر وابنه ٢١
موعظة ٢٢
أهل الجنة ٢٢
احذر الإعجاب ٢٣
الأطيبان الأخبثان ٢٣
أفضل الأعمال ٢٤
علامة المؤمن والمنافق ٢٤
حقيقة الكرم ٢٥
ثلاث له وثلاث عليه ٢٦
ما أغر الدنيا ٢٦
التذلل في الطاعة ٢٧
صحة اليقين ٢٧
الجنازة تشهد ٢٨
العمل لما بعد الموت ٢٨
أكثر من ذكر الموت ٢٩
أيها المغرور ٢٩
الإنسان والدنيا ٣٠
لو تعلمون ما أعلم ٣١
طريق القيامة ٣١
الهجرة إلى الله ٣٢
دار القرار ٣٢
تقوى الله ٣٣
موت القلوب ٣٣
مشية الخيلاء ٣٤
أربع وصايا ٣٥
الفناء والبقاء ٣٥

الرحمة والمغفرة	٣٦	إخلاص القليل من العمل	٥٢
عاقبة الأمور	٣٦	سلعة الله غالية	٥٢
من أقوال عثمان	٣٧	الأجل المعلوم	٥٢
ميت حي وحي ميت	٣٨	حاسب نفسك	٥٣
الذنب والقلب	٣٨	تعجيل وتأخير	٥٣
السؤال بين يدي الرحمن	٣٩	الذاكرين والغافلين	٥٤
ما لكَ لا تتعظ؟	٣٩	الفاحشة تقصم القلب	٥٥
الأجر عند الله	٤٠	إذ أسأت فأحسن	٥٦
يوم النشور	٤١	صحبة المتقين	٥٧
تصابي الكهول	٤١	الدنيا الغرور	٥٧
الغضب والحلم	٤١	هذه الخواتيم	٥٨
الحق والباطل	٤٢	تبلغ من الدنيا	٥٩
الحق فوق الجميع	٤٣	ظلمات القبور	٦٠
الاجتهاد في الطاعة	٤٣	الدنيا والآخرة	٦٠
دار زوال ودار مقام	٤٤	لا أجر ولا وزر	٦١
حفّت الدنيا بالشهوات	٤٤	بين الدعاء والإجابة	٦١
تمسك بالتقى	٤٥	إخلاص النية	٦٢
من صفات الكفّار والمنافقين	٤٦	البيع الخاسر	٦٢
اليقين والصدق	٤٧	العلم خليل الرجال	٦٣
الخير الكثير	٤٧	أهل الخلود والبقاء	٦٣
أمسك عليك لسانك	٤٨	نِعَم كثيرة	٦٣
بين المغيرة ورستم	٤٨	ثلاثة وثلاثة	٦٤
الراغب في الدنيا عبد لها	٤٩	محاسبة وعتاب	٦٥
من صفات المؤمنين	٥٠	ثمانية تطلبك كل يوم	٦٦
الفرج قريب	٥٠	القبر وساكنه	٦٦
الدنيا والنساء	٥١	أهوال شديدة	٦٧
يوم إلى الليل	٥١	أداء حق الله	٦٨

المال والبنون ٦٨
جواب وسؤال ٦٩
المأمون والمغتاب ٧٠
وعاشروهن بالمعروف ٧١
هكذا تكون الصدقة ٧١
من الدعاء المأثور ٧٢
قالوا في الأمانة ٧٣
كتم السّر ٧٣
الدنيا والآخرة ٧٤
فراق الأحباب ٧٥
وصيّة ٧٦
إياك والمعصية ٧٦
المؤمن والناس ٧٧
خصال الإيمان ٧٨
في الصدق النجاة ٧٨
من صفات المنافقين ٧٩
ذنوب ومغفرة ٨٠
نذير الموت ٨١
الأسوة الحسنة ٨١
الطمع هلاك ٨٢
زيادة الدنيا ونقصان الآخرة ٨٣
الجوع أخرجهم ٨٣
من صفات الكفار ٨٤
مطالب عالية ٨٥
من صفات المؤمنين ٨٧
المعصية مهلكة ٨٨
التمسك بالقرآن ٨٩
الرجال والمصائب ٩٠
وصية بالذهب ٩١
أرض الله واسعة ٩١
المرء يأمل والآمال كاذبة ٩٢
الاستعداد للرحيل ٩٢
النصيحة والغيبة ٩٣
إخلاص السريرة ٩٤
لكل سفر زاد ٩٤
الدنيا لا تساوي شربة ماء ٩٥
ديوان الحسنات والسيئات ٩٥
اعملوا وأبشروا ٩٦
البخل والنفاق ٩٧
الخير والشر ٩٧
حتى متى تصبو؟ ٩٨
أقوال مأثورة ٩٩
فوائد عظيمة ١٠١
عليك بخمس ١٠٢
النية والعمل ١٠٢
معاتبة النفس ١٠٣
البكاء والحزن ١٠٤
الحكمة مع الناس ١٠٤
خير الزاد التقوى ١٠٥
بادروا بالأعمال ١٠٦
الذل والشرف ١٠٦
العمر فرصة ١٠٧
أكثر ذكر النار ١٠٧
أبواب الجنة ١٠٨

إفشاء السّر	١٠٨	الثناء والجزاء	١٢٧
شاكر وجاحد	١٠٩	الترغيب بالعلم	١٢٧
آفات	١١٠	ثلاث خصال	١٢٨
لا طاعة في المعصية	١١١	العلم النافع	١٢٨
لو أقمنا ما نفعناك	١١١	العدل والسلطان	١٢٩
أصول الفضائل	١١٢	إحسان مع العفو	١٢٩
أمة محمد	١١٣	سلوك قبيح	١٣٠
الناس في الخير	١١٤	رأس التقوى	١٣١
الرجاء والخوف	١١٥	الأخلاء الثلاثة	١٣١
وصية	١١٥	من صفات الكفّار	١٣٢
الصبر والتقوى	١١٦	إسلام سفانة	١٣٣
لي ساعة وشيكة	١١٦	استغنِ بالله	١٣٤
معاتبة النفس	١١٧	وصية	١٣٤
رحمة الله	١١٨	طرائف الحكمة	١٣٥
مغفرة ورحمة	١١٩	التواضع والغرور	١٣٦
الدنيا والآخرة	١١٩	إقبال وإدبار	١٣٧
صحبة الفاجر	١٢٠	الحامدون المكبّرون	١٣٨
التنافس في الخير	١٢٠	الحسنة والسيئة	١٣٨
عفو من الرحمن	١٢١	ذكر الله	١٣٩
بلغوا ما تسمعون	١٢١	طبقات الذاكرين	١٣٩
البكاء من الجود	١٢٣	يا ساكن الدنيا	١٤٠
المجد والكرامة	١٢٣	حكم عادل	١٤١
الموت والحرص	١٢٤	الخوف والطمع	١٤٢
الخير في كثرة العلم	١٢٥	خلال سيئة	١٤٣
كأس الموت مرة	١٢٥	السر والعلانية	١٤٤
بين الأمس واليوم والغد	١٢٦	قالوا في العدل	١٤٥
أعلم وأكبر منك	١٢٦	مكارم الأخلاق	١٤٦

إخوان الصدق ١٤٦
صفة الشيطان ١٤٧
القرآن الكريم ١٤٧
ينابيع العلم ١٤٨
مجالسة العلماء ١٤٨
قالوا في الموت ١٤٩
حاتم الطائي والأعرابي ١٥٠
كرم الصحبة ١٥٠
الشاهد والكفيل ١٥١
شجاعة وجهاد ١٥٢
نعيم الدنيا لا يدوم ١٥٣
الساعات والليالي ١٥٤
عمل الليل لا يقبل بالنهار ١٥٥
الموت مكتوب علينا ١٥٦
اليقين والعمل ١٥٦
كلمات من الحكمة والمروءة ١٥٧
شكر المنعم ١٥٨
لا يدوم إلا وجهه الكريم ١٥٨
أجوبة سديدة ١٥٩
الراغبون في الآخرة ١٦٠
الدهر رواغ ١٦١
عزائم الصبر ١٦١
الشكر والصبر ١٦٢
من مواعظ ابن عبدالعزيز ١٦٣
المرء كثير بإخوانه ١٦٤
كفارات الذنوب ١٦٥
الدنيا زائلة ١٦٦
ملك هالك ١٦٦
انتباهة عند الاحتضار ١٦٧
الدنيا دار بلاغ ١٦٧
نوادر من الحكمة ١٦٨
حديث الغار ١٦٩
الناس والعلوم ١٧٠
كرم المؤمن تقواه ١٧١
البراءة من الظلم ١٧١
دليل قدرة الله ١٧٢
اتقوا الدنيا والنساء ١٧٣
صفة المؤمنين ١٧٤
أسرع بالخير ١٧٥
بين اليأس والطمع ١٧٦
اغتنم يومك ١٧٦
تقلبات الدنيا ١٧٧
يوم القيامة وشدته ١٧٨
الأنبياء والفقهاء ١٧٩
احفظ أربعاً وأربعاً ١٧٩
لا شيء عنده ١٨٠
جوع وشبع ١٨٠
وصايا ومواعظ ١٨٠
رجاحة العقل ١٨١
العقل والمروءة ١٨٢
طريق الخائفين ١٨٢
الخليفة والشعراء ١٨٣
أحسن الكلام ١٨٤
أقوال في الصبر ١٨٥

جوع وظمأ ١٨٦
سعادة وشقاء ١٨٦
منازل العز ١٨٧
جوع يوم وشبع يوم ١٨٨
عبادة وشكر ١٨٩
قلب التائب ١٨٩
كن مع الله ١٨٩
الحسنة بعد السيئة ١٩٠
الرحمة لأهل التقوى ١٩٠
الدنيا تنعي نفسها ١٩١
احذر الشبهات ١٩١
الرحمة والعقوبة ١٩٢
جنة أو نار ١٩٢
يذكر منيته ويبكي ١٩٣
خوف الله ١٩٣
المال وخصاله ١٩٤
ثلاث اعمل لها ١٩٤
القلب القاسي ١٩٥
طريق الجنة ١٩٥
الثناء الحسن ١٩٦
أبواب الخير ١٩٦
قالوا في الموت ١٩٧
اعمل لآخرتك ١٩٨
صحبة الكرام ١٩٨
كلمات مضيئة ١٩٩
ثلاث تتبع الميت ١٩٩
عزة النفس والنفاق ٢٠٠
لولا ثلاث ٢٠٠
بكاء وابتهال ٢٠١
التحذير من المعصية ٢٠٢
عز الطاعة ٢٠٢
من أقوال ابن مسعود ٢٠٣
خصال سبعة ٢٠٤
سؤال وجواب ٢٠٤
الدنيا المنغصة ٢٠٥
ثلاث أقسم عليهن ٢٠٦
قالوا في الصدق ٢٠٧
الاستعداد لليوم والغد ٢٠٨
من فضائل الرسول ﷺ ٢٠٩
كرم عثمان ٢١٠
استعن بمالك ٢١٠
عمر ورسول قيصر ٢١١
لا تشرك بالله ٢١٢
أين من كان قبلنا ٢١٢
التوكل والتقوى ٢١٣
خوف وبكاء ٢١٣
التوبة الكاذبة ٢١٤
جهل وغفلة ٢١٤
التزود من الدنيا ٢١٥
التمر والماء ٢١٦
الخير والبلاء ٢١٦
حاسبوا أنفسكم ٢١٧
اترك الدنيا ٢١٨
بادروا بالأعمال ٢١٨

نهاية الأجل	٢١٩
لا يرد القضاء إلا الدعاء	٢١٩
ربيع القلوب	٢٢٠
العقل والأدب	٢٢٠
الدنيا مرض وحزن وفتن	٢٢١
نزول الموت	٢٢١
ليت الشباب يعود	٢٢٢
الفرح بالدنيا	٢٢٢
الدين والدنيا	٢٢٣
أخوف عمل	٢٢٤
موعظة بليغة	٢٢٤
رزق تطلبه ويطلبك	٢٢٥
احذر الشيطان	٢٢٥
العز تقوى الله	٢٢٦
الأعمال بخواتيمها	٢٢٧
اليوم الثقيل	٢٢٧
خلال حميدة	٢٢٨
تزينوا للعرض الأكبر	٢٢٩
قولوا مثل الأنبياء	٢٢٩
العيب فينا	٢٣٠
الإيمان بالقدر	٢٣٠
خذها من عمر	٢٣١
لذة تعقب ندامة	٢٣٢
فناء العُمُر	٢٣٢
ما عند الله أطيب	٢٣٣
اقتداء المهتدي	٢٣٣
اغتنم الفرصة	٢٣٤
مكارم الأخلاق	٢٣٥
الغلام والملك	٢٣٥
ما أجمل العيد	٢٣٦
صدق الحديث	٢٣٧
الدنيا لا تدوم	٢٣٧
أهل الله وذمته	٢٣٨
جنة أو نار	٢٣٨
عمارة القلب وموته	٢٣٩
صنائع المعروف	٢٤٠
الفقر الحاضر	٢٤٠
مما يعين على التقوى	٢٤١
هاذم اللذات	٢٤٣
العمل الخالص لله	٢٤٤
خوف ورجاء	٢٤٥
كلمات جميلة	٢٤٥
الموت كرامة	٢٤٦
العمل بالقرآن	٢٤٧
الأمن والعافية	٢٤٨
الرضا باليسير	٢٤٨
شكر النعمة	٢٤٩
ألهاكم التكاثر	٢٥٠
اغتنم خمساً	٢٥٠
حاسبوا أنفسكم	٢٥٠
خذ من حياتك لموتك	٢٥١
نهنه دموعك	٢٥١
الرضا بما قسم الله	٢٥٢
لا تأمن الدنيا	٢٥٣

الدنيا دار فناء	٢٥٣
ازهد في الدنيا	٢٥٤
لا تكن منهم	٢٥٥
عقاب وغفران	٢٥٥
الحلال والحرام	٢٥٦
برزخ الموتى	٢٥٧
مجاورة الرحمن	٢٥٧
الآخرة مقبلة	٢٥٨
اعتزل عدوك	٢٥٨
أصلح نفسك	٢٥٩
الدعاء عند الرضاء	٢٥٩
وصية الوالد لولده	٢٦٠
نسيت منيتي	٢٦١
أمنية	٢٦٢
الحرص لا ينفع	٢٦٢
موافقة القول العمل	٢٦٣
الحرص على الدنيا تعب	٢٦٣
تقرب إلى الله بطاعته	٢٦٤
نعيم دائم أو عذاب مقيم	٢٦٤
الاستعانة بالله	٢٦٥
عاقبة الذنوب	٢٦٥
دين ودنيا	٢٦٦
اغتنم الفرصة	٢٦٦
أين أبي؟	٢٦٧
قبح القطيعة مع الصلة	٢٦٧
المؤمن والكافر	٢٦٨
جرح لا يندمل	٢٦٨
لا تأتي نعمة إلا بفراق أخرى	٢٦٩
لا خلد في الدنيا	٢٦٩
شكر الله	٢٧٠
إلى الله تصير الأمور	٢٧١
أنعم أهل الأرض	٢٧٢
ثلاث منجيات	٢٧٢
متى تتوب	٢٧٣
المال يستطيع . . ولكنه	٢٧٣
الشكر مع العافية	٢٧٤
المؤمن الزاهد	٢٧٤
البكاء من خشية الله	٢٧٥
الصلاة والصيام	٢٧٥
ألا أيها المغرور	٢٧٦
أقوال في الصبر	٢٧٧
الصدقة خير	٢٧٨
هوان الدنيا	٢٧٨
أمثلة في الكرم	٢٧٩
دعاء	٢٨٠